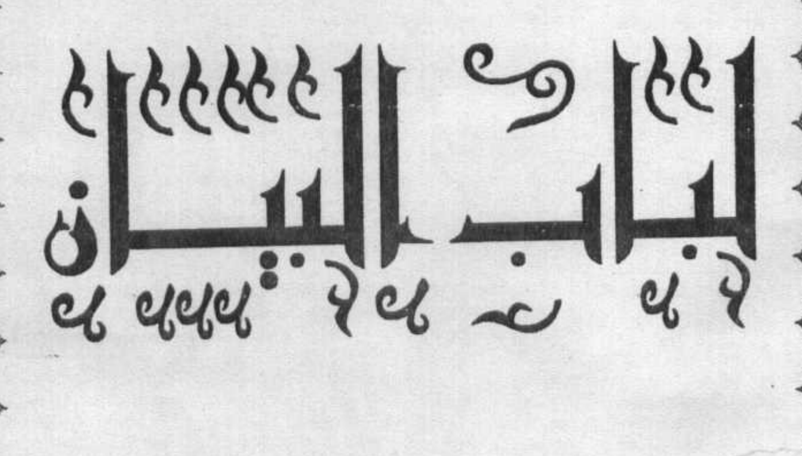

دكتور محمد حسن شرشر
أستاذ البلاغة والنقد
بجامعة الأزهر



الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانيه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل خلق الله أجمعين سيدنا محمد. وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، وسار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن منزلة البلاغة من علوم العربية منزلة الروح من الجسد، لأنها إلى جانب أنها ترشد الذوق الفنى إلى الكمال، توقفنا على موطن السر من إعجاز كتاب رب العالمين عن إيمان ويقين.

ويسعدنى أن أقدم الطبعة الثانية من كتاب «لباب البيان» توخيت فيها نقاء العبارة، وصفاء الكلمة، كما زخرت بشواهد ناصعة من القرآن الكريم والحديث الشريف، والمأثور من كلام أرباب الفكر القويم، مع زيادات وتعليقات فيها مزيد من المعرفة، وكشف عن خصائص اللغة.

والله أسأل أن ينفع بها، وأن تكون فى صحيفتى يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

د. محمد حسن شرشر



مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفضل خلق الله أجمعين .

وبعـــد :

فلما كانت البلاغة ، أجل علوم العربية نفعاً ، وأشرفها غاية ، وأعلاها منزلة ، وأرفعها درجه ، فهى إلى جانب أنها ترى الملكات الأدبية ، وترشد الذوق الفنى إلى الكمال ، وتكشف عما فى لغتنا الأصيلة من نفائس وكنوز توقفنا على موطن السر من إعجاز كتاب رب العـــالمين الذى بهر عقول أساطين البيان فخروا له ساجدين .

ولمـا كان لعلم البيان — بلا ريب — من هذا الفضل النصيب الأوفر، والحظ الأكبر ، لما للصور البيانية من أثر جليل فى التعبير عن الأحاسيس والمشاعر ونقل الأفكار والمعانى .

فإنه ليسعدنى أن أقدم هـذه الدراسات فى علم البيان ، توخيت فيها حسن الصياغة . وروعة المعنى ، وإلى جانب الحفـــاظ على القواعد البلاغية ، والاصطلاحات البيانية ، فقد اشتملت على كثير من التطبيقات والأساليب الأدبية الرفيعه ، متحلية بالشواهد الناصعة ، والأمثلة الرائعة ، من كتاب رب العالمين ، وحديث سيد المرسلين ، والحسن من شعر ونثر

الأدباء والمجيدين ، حتى تكون عوناً على تذوق البلاغة والشغف بها ، والحرص عليها .

أرجو أن ينفع الله بها ، وأن تكون لي ذخراً يوم الدين ، وماتوفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟

د . محمد حسن شرشر

المنادى في { ٢٧ من ذي القعدة سنة ١٤٠٠ هـ
٦ من أكتوبر سنة ١٩٨٠ م

تمهيد

وضع نظرية البيان ومنزع الدلالات

قبل أن نتحدث عن فن البيان وقضاياه، ينبغى أن نشيد بالجهود الطيبة التى بذلها شيخ البلاغة العلامة الذواقة الإمام عبدالقاهر الجرجانى فى وضع نظرية البيان، ومنزع الدلالات.

وإذا كانت صور البيان من تشبيه ومجاز وكناية، قد وجدت مبثوثة بين تضاعيف كتب من سبقه من العلماء والأدباء والبلاغيين الذين تناولوها بالبحث والدرس، وكان لهم — بلا ريب — قصب السبق فى ميدان البحث البلاغى، كما نجد فى «مجاز القرآن» لأبى عبيدة معمر بن المثنى المتوفى ٢٠٩ ﻫ، «والبيان والتبيين»، و «الحيوان» للجاحظ المتوفى ٢٥٥ﻫ «وتأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة المتوفى ٢٧٦ ﻫ، و «الكامل» للمبرد المتوفى ٢٨٥ ﻫ، و «البديع» لابن المعتز المتوفى ٢٩٦ ﻫ، و «نقد الشعر» لقدامه بن جعفر المتوفى ٣٣٧ ﻫ، و «الموازنة» للآمدى المتوفى ٣٨٦ ﻫ، و «النكت فى إعجاز القرآن» للرمانى المتوفى ٣٨٩ ﻫ، و «البيان فى إعجاز القرآن» للخطابى المتوفى ٣٨٨ ﻫ، و «الوساطة بين المتنبى وخصومه» لعلى ابن عبد العزيز الجرجانى المتوفى ٣٩٢ ﻫ، و «الصناعتين» لأبى هلال العسكرى المتوفى ٣٩٥ ﻫ، و «إعجاز القرآن» للباقلانى المتوفى ٤٠٣ ﻫ، و «تلخيص البيان فى مجازات القرآن»، و «حقائق التأويل فى متشابه التنزيل»، و «المجازات النبوية» للشريف الرضى المتوفى ٤٠٦ ﻫ و «أمالى المرتضى» للشريف المرتضى المتوفى ٤٣٦ ﻫ، و «العمدة فى صناعة الشعر ونقده» لابن رشيق القيروانى المتوفى ٤٦٣ ﻫ.

فإن الإمام عبد القاهر الجرجانى الذى وهبه الله الذوق السليم والفكر

القويم والرأى السديد قد تعهد قضايا البيان في كتابيه «أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز» وعالجها بالشرح والتحليل، وبيان ما فيها من قيم جمالية ولمح بيانية.

ولم يقصر الإمام جهده على تحرير مسائل البيان، وبحث دقائقها وتحليل أمثلتها وشواهدها تحليلا أدبياً رائعاً، يبرز مافيها من نفائس وكنوز، بل عمد بما أتاه الله من قريحة وقادة، وعلم غزير، وذكاء نادر وفكر ثاقب، إلى وضع الأساس لنظرية البيان، حتى غدا قبلة الباحثين وموئل الدارسين، وأمل المجيدين.

يقول الإمام: الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت «خرج زيد»، وبالانطلاق عن عمرو فقلت: «عمرو منطلق»، وعلى هذا القياس.

وضرب آخر، لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذى يقتضيه موضوعه فى اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية، تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل.

أولا ترى إنك إذا قلت: هو كثير رماد القدر، أو قلت: طويل النجاد، أو قلت في المرأة: نؤوم الضحى، فإنك فى جميع ذلك لا تفيد غرضك الذى تعنى من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذى يوجبه ظاهره ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك كمعرفتك من كثير رماد القدر أنه مضياف، ومن طويل النجاد، أنه طويل القامة ومن نؤوم الضحى فى المرأة، أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها.

وكذا إذا قال : رأيت أسدا — ودلك الحال على أنه لم يرد السبع — علمت أنه أراد التشبيه . إلا أنه بالغ فجعل الذى رآه بحيث لا يتميز عن الأسد فى شجاعته .

وكذلك تعلم من قوله : بلغنى أنك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، أنه أراد التردد فى أمر البيعة ، واختلاف العزم فى الفعل وتركه على ما مضى شرح فيه .

وإذ قد عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة مختصرة ، وهى أن تقول المعنى ومعنى المعنى ، تعنى بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ ، والذى تصل إليه بغير واسطة وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ، ثم يفضى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر ، كالذى فسرت لك .

وجملة الأمر أن صور المعانى لا تتغير بنقلها من لفظ إلى لفظ حتى يكون هناك اتساع ومجاز ، وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت له فى اللغة ، ولكن يشار بمعانيها إلى معان أخر[1] .

هذا . وكلام الإمام كان المنزع لبحث الدلالات ، فقد وجد فيه المتأخرون المتكأ الذى أخذ منه دراسة الدلالات ، وقبول دلالة وطرح أخرى[2] .

(١) أنظر : دلائل الإعجاز تعليق الأستاذ محمود شاكر ٢٦٢

(٢) أنظر : المفتاح ١٥٧ ، وشرح التلخيص جـ٣ — ٢٦١

البيـــان

يطلق البيان فى اللغة على الحجة ، والمنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير والكلام يكشف عن حقيقة حال ، أو يحمل فى طياته بلاغاً(١) .

كما يطلق أيضاً على الفصاحة واللسن ، وكلام بين : فصيح ، والبيان : الإفصاح مع ذكاء ، والبين من الرجال : الفصيح ، وفلان أبين من فلان ، أى أفصح منه وأوضح كلاماً .

أنشد شمر :

قَدْ يَنْطِقُ الشِّعْرَ الْغَبِيُّ وَيَلْتَئِى
عَلَى الْبَيِّنِ السَّفَّاكِ وَهُوَ خَطِيبُ(٢)

روى ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال : « إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكما » .

وقد قيل فى معناه : إن الرجل يكون عليه الحق ، وهو أقوم بحجته من خصمه ، فيقلب الحق ببيانه إلى نفسه ، لأن معنى السحر قلب الشىء فى عين الإنسان وليس قلب الأعيان .

وقيل : معناه إنه يبلغ من بيان ذى الفصاحة أنه يمدح الإنسان فيصدق فيه ، حتى يصرف القلوب إلى قوله وحبه ، ثم يذمه فيصدق فيه حتى

---

(١) المعجم الوسيط ٨٠ ط دار المعارف .

(٢) يلتئى : يبطىء من اللأى وهو الإبطاء ، والسفاك : القادر على الكلام .

يصرف القلوب إلى قوله وبغضه ، فكأنه سحر السامعين بذلك ، وهو وجه قوله : إن من البيان لسحراً(١) .

يقول الجاحظ : إن النبي عليه السلام لما سأل عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر قال : « مانع لحوزته ، مطاع في عشيرته ، فقال الزبرقان : « أما إنه قد علم أكثر مما قال . ولكنه حسدني شرفي ، فقال عمرو : « أما لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر ، زمر المروءة(٢) لئيم الخال ، حديث الغنى ، فلما رأى أنه خالف قوله الآخر قوله الأول ، ورأى الإنكار في عيني رسول الله وقال : « يارسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الآخرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : « إن من البيان لسحرا »(٣) .

ولا ينكر مع هذا أن يكون الجمال في اللسان ، ولا أن تكون المروءة في البيان ولا أنه زينة من زين الدنيا ، وبهاء من بهائها ، ما صحبه الاقتصاد وساسة العقل ، ولم يعل به الاقتدار على القول ، إلى أن يصغر عظيما عند الله تعالى ، أو يعظم صغيرا ، أو ينتصر للشيء وضده ، كما يفعل من لا دين له — وهذا هو البليغ الذي يبغضه الله عز وجل ، وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبغضكم إلى الثرثارون(٤)

---

(١) لسان العرب ٤٠٧ ط دار المعارف .

(٢) زمر المروءة : قليلها .

(٣) البيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون ج ١ — ٥٣

(٤) الثرثارون : جمع ثرثار : وهو الشخص الذي يكثر الكلام ، وقد يصل به الحال إلى درجة الهذيان .

المتفيهقون(١) المتشدقون(٢) ، وإن أبغض الناس إلى الله تعالى من اتقاه الناس للسانه ، وإن من البيان لسحرا » .

يريد أن منه ما يقرب البعيد ، ويباعد القريب ، ويزين القبيح ، ويعظم الصغير فكأنه سحر(٣) .

وقال ابن بطال : أحسن مايقال فى هذا : أن الحديث ليس ذماً للبيان كله ، ولا مادحاً لقوله صلى الله عليه وسلم « من البيان » فأتى بلفظة «من» للتبعيض .

وكيف وقد امتن الله به على صفوة خلقه قال : « علمه البيان » وقد اتفق العلماء على مدح الإيجاز ، والإتيان بالمعانى الكثيرة بالألفاظ اليسيرة وعلى مدح الإطناب فى مقام الخطابة بحسب المقام ، نعم الإفراط فى كل شيء مذموم وخير الأمور أوسطها(٤) .

والبيان اصطلاحا : علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه(٥) .

---

(١) المتفيهقون : مأخوذ من الفهق وهو الامتلاء — قال الأصمعى : المتفيهق الذى يتوسع فى كلامه ويفهق ، أى يملأ به فمه ، وقد فسره عليه السلام بأنه المتكبر يتبجح بكلامه ويشمخ بأنفه استعلاء على الناس وتكبراً .

(٢) المتشدقون : جمع متشدق ، وهو الذى يتكلم بملء فمه ، والمتشدق الذى يلوى شدقه للتفصح كما جاء فى اللسان .

(٣) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبه ٢٠٢

(٤) فضل الله الصمد فى توضيح الأدب المفرد ج ٢ — ٣٣٢

(٥) الإيضاح تعليق الشيخ عبد المتعال الصعيدى ج ٣ — ٢

والمراد بـ « علم » أصول وقواعد . أو ملكة ، وهى كيفية أوصفة راسخة فى النفس .

يعرف به : الضمير فى « به » يعود على العلم ، أى يعرف بمراعاة ذلك العلم .

والمقصود بالمعنى الواحد: كل معنى يدخل تحت قصد المتكلم، كالشجاعة أو الكرم ، أو الحلم ، أو الصبر .

واللام فى « المعنى » للإستغراق العرفى ، أى المعنى الذى يريد المتكلم الحديث عنه، وليس المقصود الإستغراق الحقيقى، لأن المعانى لاتتناهى وهى فوق طاقة البشر .

وقيد المعنى «بالواحد» لتخرج المعانى المتعددة التى تؤدى بطرق مختلفة كأن تعبر عن معنى الشجاعة بقولك: «محمد كالأسد فى الشجاعة»، ثم تعبر عن معنى الكرم فتقول : «غمر محمد بفضله الأنام» فإن المثال الأول فى معناه «الشجاعة» أوضح دلالة من الثانى فى معناه «الكرم»، وليس هذا من علم البيان، لأن المعنى مختلف فى المثالين.

والمراد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة: أن المعنى الواحد «كالكرم» يمكن أن يعبر عنه بتراكيب مختلفة بعضها أوضح دلالة من بعض .

فيعبر عنه بطريق التشبيه كقول المتنبى :

وإذا اهْتَزَّ لِلنَّـدَى كَانَ بَحْراً
وَإِذَا اهْـتَزَّ لِلْوَغَى كَانَ نَصْلاً

وإذا الأرضُ أظلَمَتْ كانَ شمساً
وإذا الأرضُ أمحلَتْ كانَ وَبْلاَ(١)

يريد أنه إذا اهتز للعطـــاء كان كالبحر فى كثرة مواهبه ، وعموم مكارمه ، وإذا اهتز للحرب كان كالسيف فى نفاذ عزمه ، وقوته فيما يحاوله من أمره .

وأن سيف الدولة إذا أمحلت الأرض، وأعتمت خطوبها، كان كالشمس المشرقة ، وإذا اتصلت محولها كان جوده كالسحاب المغدقة ، فينير إذ استبهم الأمر ، ويجود إذا اشتد الخطب .

وكقول زياد بن جميل
هُمُ البحورُ عطاءً حيـــنَ تسألُهُمْ
وفى اللقاءِ إذا تَلْقَى بهم بُهَمُ(٢)

فقد شبه الشاعر الممدوحين بالبحور فى العطاء والإمداد ، والفيض والسخاء ، أو الإستعارة كقول المتنبى :

تَعَرَّضَ لِي السحابُ وَقَـــدْ قَفَلْنَا
فقلتُ إليكَ إنَّ مَعِى السَّحَابَا(٣)

والإستعارة فى كلمة السحاب الأخيرة ، فقد شبه الشاعر الممدوح

---

(١) الإهتزاز : الإرتيــاح ، والوغى : الحرب ، والنصل : السيف ، والمحل : قلة النبات فى الأرض من عدم المطر ، والوبل : المطر الكثير .

(٢) البهمة : بالضم . الشجاع ، وقيل هو الفارس الذى لايدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه ، والجمع بهم ، وقيل هم جماعة الفرسان .

(٣) قفلنا : رجعنا ، إليك : اكفف .

بالسحاب لاشتراكهما من الأثر النافع ، ثم تنوسى التشبيه ، وأدعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وهو « السحاب » وداخل فى جنسه ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، علـى طريق الإستعارة التصريحية الأصلية والقرينـة هى : « معى » لأن السحاب الحقيق لا يصحب الإنسان .

وقوله أيضاً :

وَلَم أَرَ قَبلِي مَنْ مَشَى البحرُ نَحْوَهُ
ولا رَجُلاً قَامَتْ تُعَانِقُه الأُسْدُ

يريد : لم أر رجلا قبلى مشى إليه البحر ، وعانقته الأسد .

فقد شبه الشاعر الممدوح بالبحر بجامع الجود فى كل منهما ، ثم تنوسى وأدعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، على طريق الإستعارة التصريحية الأصلية ، والقرينة هى «مشى» لأن البحر لا يمشى ، وفى الشطر الثانى شبه الممدوح بالأسد فى الشجاعة ثم استعير له لفظ المشبه به ، وهو « الأسد » والقرينة تعانقه ، لأن الأسد الحقيقة لا تعانق ، والإستعارة — أيضاً — أصلية .

أو المجاز المرسل كقول أبى تمام :

وَكَم يَدٍ لَكَ لَولَا ما أُخَفِّفُها
به من الشكرِ لم تحمل ولم تطق

ففى التعبير باليد عن النعمة مجاز مرسل علاقته السببية ، لأن اليد سبب فى إيصال النعمة إلى مستحقيها .

وقول المتنبى :

له أيادٍ علىَّ سابِغَةٌ أعدُّ منها ولا أعدِّدُها

والمعنى له عندى نعم كثيرة ، وأنا بعض نعمه .

ومن روى : (أعد) بضم العين كان المعنى أنه يعد بعض أياديه ، ولا يأتى على جميعها ، بالعد لكثرتها . وهو معنى قوله « لا أعددها »(١) .

وقد عبر الشاعر عن النعم (بالأياد) لأنها هى التى تمتد بالعطايا والنعم وهى — كما ترى — فى الذهن أوضح ، وإليه أقرب .

كما قد يأتى معنى (الكرم) بطريق الكناية ، كقول الخنساء فى رثاء أخيها صخر :

طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ العِمَادِ
كَثِيرُ الرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَا(٢)

ففى البيت ثلاث كنايات ، ففى : (طويل النجاد) كناية عن طول القامة وفى (رفيع العماد) كناية عن السيادة والشرف ، وفى (كثير الرماد) كناية عن الكرم .

ويلاحظ فى الكناية الثالثة (كثير الرماد) أن الذهن ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة الإحراق ، ومنها إلى كثرة الطبخ ، ثم إلى كثرة الآكلة ومنها إلى كثرة الضيوف ومنها إلى الكرم .

وقول نصيب بن رباح عبد العزيز بن مروان :

لِعَبْدِ العزيزِ عَلَى قَوْمِهِ وغيرِ
هم مِنَنٌ ظَاهِرَة

---

(١) ديوان المتنبي بشرح العكبرى جـ ١ — ٣٠٤
(٢) شتا بالمكان : أقام به شتاء .

فَبَابُكَ أَسهلُ أَبْوَابِهِم ودارُكَ مأهُولةٌ عامِرَة
وَكَلْبُكَ آنَسُ بالزائرينَ مِنَ الأُمِّ بالابنةِ الزائرة(١)

فبالتأمل نجد أن استئناس الكلب بالزائرين عنوان معرفته بهم ، لأن الكلب لا يأنس إلا بمن يعرف ، ومعرفته بهم دليل على اتصال مشاهدته إياهم ليل نهار ، وهذا دليل على أن دار الممدوح محط الرحال ، وملتقى الآمال وهذا يدل على ما أراده الشاعر من كرم الممدوح ووفور إحسانه ، وسعة جوده ، وعموم أياديه .

وقد بعدت المسافة بين أنس الكلب بالزائرين ، وكرم الممدوح ، وكون الكلب آنس من الأم مبالغة فى استئناسه بالزوار ، وهو يستتبع المبالغة فى وصف الممدوح بالكرم .

ومن ثم يتبين أنه فى مقدور البلاغى أن يعبر عن المعنى الواحد بالتشبيه كما يستطيع أن يعبر عنه بالمجاز والكناية .

كما يتبين — أيضاً — أن طريق التشبيه أوضح فى الدلالة على المعنى المنشود من المجاز ، كما أن المجاز أوضح من الكناية .

وقيد الإختلاف فى وضوح الدلالة ليخرج إيراد المعنى بطرق مختلفة فى مجرد اللفظ والعبارة ، كأن تورد كلامك بألفاظ مترادفة ، فتقول: على كالأسد فى الشجاعة ثم تقول: على كالليث فى الجرأة ، فليس هذا — أيضا — من علم البيان ، لأن الإختلاف فى مجرد اللفظ والعبارة ، وليس فى وضوح الدلالة .

ولما كانت الدلالة تنقسم باعتبار ماتدل عليه إلى :

---

(١) المنن : جمع منة وهى النعمة — والدار المأهولة التى فيها أهلها .

دلالة مطابقية : وهى دلالة اللفظ على تمام معناه كدلالة الإنسان على (الحيوان الناطق) وسميت بالمطابقية لتطابق اللفظ والمعنى .

ودلالة تضمنية: وهى دلالة اللفظ على جزء المعنى الموضوع له كدلالة الإنسان على الحيوان فقط ، أو على الناطق فقط ، لأن الحيوان أوالناطق جزء من معنى الإنسان وداخل فى ضمنه .

ودلاله التزامية : وهى دلالة اللفظ على لازم معناه الموضوع له كدلالة الإنسان على الضاحك ، فإن الضحك ليس معنى الإنسان ، كما أنه ليس جزءاً من معناه ، وإنما هو أمر خارج عنه لازم له .

وتسمى الدلالتان: «التضمنية والإلتزامية » بالدلالة العقلية ، كما تسمى الدلالة المطابقية عند البيانيين دلالة وضعية، لأن السبب حصولها عند سماع اللفظ أوتذكره ، هو معرفة الوضع ، دون حاجة لشىء آخر .

ومن ثم فإن الدلالة العقلية بنوعيها — التضمنية والإلتزامية — هى المقصودة فى علم البيان، لأن الإختلاف فى الوضوح يحصل بها، لأن اللازم الواحد قد يكون له ملزومات كثيرة تدل عليه ، بعضها أوضح دلالة من بعض، (كالكرم) فهناك ملزومات كثيرة تدل عليه، منها : كثرة الضيوف، وكثرة الطبخ ، وكثرة الإحراق ، وكثرة الرماد ، كما أن هناك هزال الفصيل ، وجبن الكلب ، وأنسه بالزائرين ، بيد أن دلالة بعضها على معنى الكرم أوضح دلالة من البعض الآخر .

ولما كانت الوضعية لا يأتى فيها الإختلاف فى الوضوح فإنك إذاقلت محمد كالأسد فى الشجاعة ، ثم قلت : محمد كالليث فى الجرأة ، فإن السامع إما أن يكون عالما بوضع الألفاظ لمعانيها ، أو جاهلا بهذا الوضع فإن كان عالما فلا تفاوت عنده فى الدلالة على المعنى ، وإن كان جاهلا بالوضع

فلن يكون ثم فهم للمعنى ، فإنها بهذا تكون خارجة عن نطاق علم البيان(١) .

هذا . ومبحث الدلالات مبحث منطقى ، أقحم على علم البيان . مع أن الذوق البلاغى يأباه ، وجدير بعلم البيان أن ينأى عنه .

وقد ترتب على اتخاذ السكاكى الدلالة العقلية وحدها أساسا للوضوح والخفاء ، حصر البيان فى المجاز والكناية وخروج التشبيه من أن يكون هدفا مقصوداً لذاته . وغرضاً يرمى إليه لجماله وبهائه ، بل هو وسيلة لبناء الإستعارة عليه .

يقول السكاكى : إن محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالة عليه ، والنقصان بالدلالات الوضعيه غير ممكن ،فإنك إذا أردت تشبيه الخد بالورد فى الحمرة مثلاً ، وقلت: خد يشبه الورده امتنع أن يكون كلام مؤد لهذا المعنى بالدلالات الوضعية، أكمل منه فى الوضوح أو أنقص ، فإنك إذا أقمت مقام كل كلمة منها ما يرادفها ، فالسامع إن كان عالما بكونها موضوعة لتلك المفهومات كان فهمه منها كفهمه من تلك ، من غير تفاوت فى الوضوح وإلا لم يفهم شيئاً أصلاً . وإنما يمكن ذلك فى الدلالات العقلية(٢) .

والحق أن الدلالة الوضعية (المطابقية) يتحقق فيها — أيضا — الوضوح والخفاء ، تقول فى معنى (الكرم) محمد كالبحر فى الإعداد ، ومحمد كالبحر ، ومحمد بحر وأوضح هذه التراكيب — كما ترى — الأول للتصريح بوجه الشبه والأداة . ويليه الثانى للتصريح بالأداة دون وجه الشبه ، وأقلها وضوحا الثالث لعدم التصريح فيه بالوجه والأداة .

(١) أنظر شروح التلخيص حـ٣ — ٢٦٢
(٢) المفتاح ١٥٦

وقد ذكر الشيخ الدسوقى فى حاشيته أن الإختلاف فى وضوح الدلالة كما يرد فى المجاز والكناية يرد كذلك فى التشبيه .

يقول الدسوقى (ويمكن أن يقال إنه باب مستقل لذاته ، لأن الإختلاف فى وضوح الدلالة وخفائها موجود فيه ، كما تقدم ، فهو من هذا الفن قصداً وإن توقف عليه بعض أبوابه، لأن توقف بعض الأبواب على بعض لا يوجب كون المتوقف عليه مقدمة للفن(١) .

كذلك بعد أن عرض سعد الدين التفتازانى رأى السكاكى بين مايعتوره من خلل واضطراب .

يقول صاحب المطول: فإن قلت : إذا كان ذكر التشبيه فى علم البيان بسبب ابتناء الإستعارة عليه ، فلم جعل مقصوداً برأسه ، دون أن يجعل مقدمة لبحث الإستعارة . قلت : لأنه لكثرة مباحثه وجموم فوائده(٢) .

ارتفع عن أن يجعل مقدمة لبحث الإستعارة واستحق أن يجعل أصلاً برأسه . وهذا هو الكلام فى شرح مقدمة البيان على مااخترعه السكاكى وأنت خبير بما فيه من الإضطراب ، والأقرب أن يقال : علم البيان علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية ، ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث من غير التفات إلى الأبحاث التى أوردها فى صدر هذا الفن(٣) .

كما يقرر السيد الشريف القيمة البلاغية للتشبيه ، ويعترض على مالحق بالتشبيه من كونه ليس مقصداً من المقاصد البيانية ، بسبب ماذكره السكاكى . فيقول معلقاً على رأى سعد الدين التفتازانى : الحق أن التشبيه

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص حـ ٣ — ٢٦٠

(٢) الجم : الكثير من كل شىء والجمع جمام وجموم (المعجم الوسيط) .

(٣) المطول ٣٠٩

أصل برأسه من أصول هـذا الفن ، وفيه من النكت واللطائف البيانية مالا يحصى ، وله مراتب مختلفة فى الوضوح والخفاء ، مع أن دلالته مطابقية . وحينئذ يضمحل ماذهب إليه من أن الإيراد المذكور ، لايتأتى بالدلالة الوضعية أى المطابقية(١) .

هذا،ومن الأوفق أن يعرف علم البيان. كما عرفه سعد الدين التفتازانى بأنه : علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية .

---

(١) حاشية السيد على المطول ٣١٠

تعريف التشبيه

التشبيه لغة : التمثيل :

جاء فى اللسان : الشبه والشبه ، والشبيه : المثل : والجمع أشباه ، وأشبه الشيء الشيء ماثله ، وفى المثل : من أشبه أباه فما ظلم .. وشبهه إياه . وشبهه به مثله(١) .

واصطلاحا : الدلالة(٢) على مشاركة أمر لأمر ، فى معنى مشترك بينهما ، بإحدى أدوات التشبيه لفظا أو تقديراً ، لغرض يقصده المتكلم .

والمراد بالأمر الأول : المشبه ، والأمر الثانى . المشبه به والمعنى المشترك : وجه الشبه ؛ وأدوات التشبيه : كل لفظ دل على معنى التشبيه .

فى قول الشاعر :

كأنَّ أخلاقكَ فى لُطْفِها ... ورِقَّةٍ فيها نسيمُ الصباحِ

تجد المشبه (أخلاقك) والمشبه به (نسيم الصباح ، ووجه الشبه (اللطف والرقة) . وأداة التشبيه (كأن) .

وفى قول المعرى :

أنت كالشمس فى الضياءِ وإن جا ... وزتَ كيوانَ فى عُلُوِّ المكانِ(٣)

(١) لسان العرب ٢١٨٩

(٢) المراد بالدلالة هنا : أن يأتى المتكلم بما يدل على مشاركة أمر لأمر فى معنى أنظر مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ح ٣ — ٢٩٢

(٣) كيوان : أبعد الكواكب السيارة فى النظام الشمسى (زحل) .

تجد المشبه ضمير المخاطب : (أنت) والمشبه به (الشمس) ووجه الشبه (الضياء) وأداة التشبيه (الكاف) .

وقول الآخر :

كَمْ وُجُوهٍ مِثْلِ النهارِ ضياءً لنفوسٍ كالليلِ فى الإظلامِ

تجد المشبه (الوجوه) والمشبه به (النهار) ووجه الشبه (الضياء) وأداة التشبيه (مثل) . هذا فى الشطر الاول .

وفى الشطر الثانى من البيت تجد المشبه (النفوس) والمشبه به (الليل) ووجه الشبه (الإظلام) وأداة التشبيه (الكاف) .

هذا . وقد يستوفى التشبيه أركانه الأربعة — كما سبق — وقد يحذف وجه الشبه وتبقى الأداة كقوله تعالى : (وحـــور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون(١)).

وقوله ﷺ : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) .

كما قد يبقى الوجه وتحذف الأداة كقول البحترى :

ذاتُ حُسْنٍ لو استزادتْ من الحسـ
ـنِ إليهِ لَمَـا أصَابَتْ مَزِيدَا

فهى الشمسُ بَهْجَةً والقضيبُ الـ
ـغَضُّ لِيناً والرِّئْمُ طَرْفاً وَجِيدَا(٢)

وقول أبى الحسن بن اليسع الأندلسى :

هِيَ الظبيُ جِيْدًا والغزالةُ مُقْـلَةً
وروضُ الرُّبَا عَرْفاً وغصنُ النَّقَاقَدا

---

(١) الواقعة : ٢٢، ٢٣

(٢) الرئم : الظبي الأبيض — الطرف: العين — الجيد : العنق .

وقد يحذف الوجه والأداة ، كقوله تعالى : (هن لباس لكم ، وأنتم لباس لهن)(١) .

وقوله ﷺ : (المؤمن مرآة أخيه) .

وقول التهامي(٢) :

فالعيشُ نومٌ والمنيةُ يقظةٌ والمرءُ بينهما خيالٌ سارِ

فقد شبه الشاعر العيش بالنوم فى الغفلة . والمنية باليقظة فى الانتباه ، والمرء بالخيال السارى فى سرعة الزوال .

وكما يأتى المشبه به خبراً للمشبه — كما رأيت — فقد يأتى — كذلك خبراً لما دخل على المشبه من النواسخ : كقوله تعالى : (وجعلنا الليل لباسا)(٣) .

وقول البحترى :

بِنْتَ بالفضلِ والعلوِّ فأصبحـ ـتَ سماءً وأصبحَ الناسُ أرْضا(٤)

أو مصدرا مبيناً للنوع كقوله تعالى:(وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب)(٥) .

أى تمر مراً حثيثاً كمر السحاب ، فالمشبه هو مصدر تمر المحذوف به وقد جاء المشبه مبيناً لنوعه .

---

(١) البقرة — ١٧٧
(٢) شاعر مشهور من تهامه . (٣) النبأ ١٠
(٤) بنت: البون ، الفضل والمزيه : والمعنى:فضلت وامتزت .
(٥) النمل ٨٨

وقول المتنبي في وصف الحمى :

أراقبُ وقتَها مِنْ غيْرِ شوْقٍ   مراقبةَ المشوقِ المستهامِ
ويصدقُ وعدُها والصدقُ شرٌّ   إذا ألقاكَ في الكُرَبِ العظامِ

أي انتظر وقت مجيئها كما ينتظر المشوق مجيء حبيبه : ولما كانت الحمى من شأنها أن تضني الجسم وتنهكه ، فإني أراقب وقتها خوفاً لا شوقاً.

والحمى صادقة الوعد في ورودها ، وذلك الصدق شر من الكذب لأنه صدق يضر ولا ينفع لكن أوعد ، ثم صدق في وعيده(١) .

والمشبه هو مصدر أراقب المحذوف ، والمشبه به المصدر المبين للنوع وتقدير الكلام ، أراقب وقتها مراقبة كراقبه المشوق .

وقد يأتي المشبه به مضافا للمشبه كقول ابن خفاجه الأندلسي : في وصف اعتدال الريح وقت الأصيل :

والريحُ تعبثُ بالغصونِ وقدْ جرَى
ذهبُ الأصيلِ على لُجينِ الماءِ(٢)

أي فقد شبه الشاعر : الأصيل بالذهب في الصفرة ، كما شبه الماء باللجين في النقاء والصفاء والبياض .

كذلك فقد يأتي المشبه به حالا ، كقول البحتري في الفخر :

فإذا المحلُ جاءَ جاءوا سُيُولاً   وإذا النقعُ ثارَ ، ثاروا أُسودا(٣)

---

(١) ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ح ٤ ص ١٤٧ ط ١٩٧٢
(٢) اللجين الفضة .
(٣) ديوان البحتري المجلد الأول ٥٩٣ — دار المعارف ط الثالثة — والمحل الجدب .

فقد شبههم الشاعر بالسيول عند المحل (فى الفيض والعطاء، وكما شبهم بالأسود فى (الشجاعة والإقدام) عندما يدعو داعى الحرب والنزال، للدفاع عن العرض والمال . والمشبه به — كما ترى — وقع حالا .

وقول المتنبي :

بَدَتْ قمراً ومالتْ خُوطَ بانٍ   وفاحَتْ عنبراً ورنَتْ غزالا(١)

والمراد أنها بدت بوجه كقمر ، ومالت بقوام كخوط بان ، وفاحت برائحة كعنبر ، ونظرت بعين كعين غزال — والمشبه به وقع — أيضا — حالا .

وقد يحذف المشبه لقرينة تدل عليه كقوله تعالى : فى وصف المنافقين: (صم بكم عمى فهم لا يرجعون)(٢) .

والمراد أنهم صم عن الحق فلا يسمعونه سماع قبول (خرس عن الخير فلا يقولونه ، عمى عن طريق الهدى فلا يرونه ، فهم لا يرجعون عن الضلالة(٣) .

وقد عالج الزمخشرى فى كشافه وجه البيان فى الآية الكريمة ، ورأى أنها من قبيل التشبيه : وذلك إذ يقول :(فإن قلت :كيف طريقته عند علماء البيان ؟ . قلت طريقة قولهم : هم ليوث للشجعان ، وبحور للأسخياء .

فإن قلت : هل يسمى ما فى الآية استعارة ؟ قلت مختلف فيه ،

---

(١) الخوط : الغصن الناعم ، والبان شجر يمثل القوام لين ، ورنت : نظرت والعنبر : نوع من الطيب .

(٢) البقرة — ١٨

(٣) تفسير الإمامين الجليلين .

والمحققون على تسميته تشبيها بليغاً لا استعارة ، لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له، ويجعل الكلام خلواً عنه صالحاً لأن يراد به المنقول عنه ، والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام »(١) .

ومن حذف المشبه تقديراً — أيضا — قول عمران بن حطان يخاطب الحجاج بن يوسف الثقفي :

هَلَّا بَرَزْتَ إلى غَزَالَةَ في الْوَغَى
بَلْ كانَ قَلْبُكَ في جَنَاحَيْ طَائِرِ

أسدٌ عَلَيَّ وَفي الحروبِ نَعَامَـــةٌ
فتخاءُ تَنْفِرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ(٢)

والتقدير : هو أسد .

هـذا . ويخرج من التشبيه بمعناه الاصطلاحى الاستعارة بأنواعها لخلوها من ذكر أحد الطرفين ، وهو المشبه فى الاستعارة التصريحية كقول زهير بن أبى سلمى :

لَدَى أَسَدٍ شاكِي السلاحِ مُقَذَّفٍ
له لِبَدٌ أظفارُهُ لم تُقَلَّمِ

ومن المشبه به فى الاستعارة المكنية كقول قريط بن أنيف .

قومٌ إذا الشرُّ أبدى ناجذيهِ لهم
طارُوا إليهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْـــدَانا

---

(١) الكشاف ج١ — ٢٠٤، ٢٠٥

(٢) فتخاء ، مؤنث أفتح وهو استرخاء المفاصل ولينها .

وخلوها — أيضا — من ذكر أداة التشبيه لفظا وتقديراً .

كما يخرج من التشبيه الاصطلاحي أيضا التجريد المبني على التشبيه(١).

كقولك : لقيت بمحمد أسداً ، أو لقيني منه أسد، وكقول الشاعر :

تَرَى مِنْهُمُ الأُسْدَ الغِضَابَ إذا سَطَوْا

وتنظرُ منهمُ في اللقــاءِ بُدُورَا

لعدم ذكر الطرفين على وجه ينبيء عن التشبيه، وخلوه كذلك من أداة التشبيه لفظا وتقديراً .

قيل إنه تشبيه حقيقة لذكر الطرفين ، فيمكن التحويل فيهما إلى هيئة التشبيه لولا قصد التجريد ، وعليه فلا يحتاج لإخراجه — أنظر مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي ضمن شروح التلخيص ج٣ — ٢٩٥

التشبيه كنز البلاغة وإنسان مقلتها

التشبيه يضفى على المعنى حسنا وبهاء. ويزيده قوة وجمالا، ويرفع من من قدر الكلام فتهفوله النفس، ويتحرك إليه القلب.

إنه فن أخاذ من فنون البلاغة. لا يصل إليه إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، وهو عنصر من عناصر الأسلوب، يرسم صورة للحس والشعور، فينقل المعنى فى بيان ووضوح، وكلما جلا التشبيه المعنى، وزاده قوة ووضوحا، كان أملك للنفس، وأبعد للتأثير.

إن التشبيه سحر البلاغة وسرها ولبابها وإنسان مقلتها، كما يقول العلوى (١).

يقول الإمام عبد القاهر مشيدا به: واعلم أن مما أتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء فى أعقاب المعانى، أو برزت هي باختصار فى معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة (٢) ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف من قواها فى تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها.

فإن كان مدحا، كان أبهى وأفخم، وأنبل فى النفوس وأعظم.

وإن كان ذما، كان مسه أوجع، ووقعه أشد، وحده أحد.

---

(١) الطراز للعلوى حـ ٢/٢٢٦ — المقلة: العين كلها، وجمعها: مقل.

(٢) الأبهة: العظمة والبهجة، والمنقبة: الفعل الكريم والمفخرة، والجمع مناقب.

وإن كان حجاجا ، كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر .

وإن كان افتخارا ، كان شأوه (١) أبعد ، وشرفه أجد ، ولسانه ألد .

وإن كان اعتـــذارا ، كان إلى القبول أقرب ، وللقلوب أخلب ، وللسخائم أسل (٢)

وإن كان وعظا ، كان أشفى للصدر ، وأدعى إلى الفكر ، وأبلغ فى التنبيه والزجر ، ويبرىء العليل ، ويشفى الغليل . (٣)

وهكذا الحكم إذا استقريت فنون القول وضروبه ، وتتبعت أبوابه وشعوبه (٤) .

ولا غرو أن يكون للتشبيه ذلك الشأن ، وأن يكون له من المزايا والدقائق ماله ، وإذا رمت البرهان ، فإليك البيان .

أنظر إلى قوله تعالى يصف سفينة نوح عليه السلام : وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ، (٥)

ألا ترى الجبال تصور للعين هذه الأمواج الضخمة ، وتصور فى الوقت

---

(١) الشأو : الأمد والغاية ، ويقال : إنه لبعيد الشأو ، أى الهمة .

(٢) السخائم : الضغائن ، وأسل : أنزع ، من سل الشىء نزعه

(٣) الغليل : شدة العطش وحرارته ، والغيظ ، يقال شفى فلان غليله : أى غيظه .

(٤) شعوب الكلام : مناحيه كالغزل والرثاء والوصف والشكوى ، وأعمها الوصف — أسرار البلاغة ١٢٩

(٥) هود ٤٢

نفسه : ما كان يحس به ركاب هذه السفينة ، وهم يشاهدون هذه الأمواج ، من رهبة وجلال معاً ، كما يحس بهما من يقف أمام شامخ الجبال .

وقوله تعالى يصف الجبال يوم القيامة : «وتكون الجبال كالعهن المنفوش»(١) فالعهن المنفوش يصور أمامك منظر هذه الجبال ، وقد صارت هشة لا تتماسك أجزاؤها ، ويحمل إلى نفسك معنى خفتها ولينها(٢) .

وقوله ﷺ يصف المؤمنين الصادقين : (مثـــل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

الإيمان قوة واحدة تنتظم قلوب المؤمنين ، وتنبت فيها النبات الحسن المتماثل من التواد والتراحم والتعاطف ، فترى عند تجاورها رقعة واحدة لتعانقها وتجانس نتاجها ، والإيمان فى قلوب المؤمنين كالدم المتدفق فى الجسم به حياتها وتماسكها ، كما بالدم حياة الأعضاء وترابطها ، ومعه وجود الروح وفعلها ، وأظهر المظاهر المرشده إلى الإيمان بذل المؤمن وده ورحمته وعطفه للمؤمنين ، تألماً بما يؤلمهم ، وتداعيا لما يصيبهم ، فمن فقد هذا التداعى فلم تعطفه العواطف ولم تبكه البواكى ، فليتحسس قلبه ، وليسأل نفسه أين أنا من دلائل هذا الإيمان ؟

يريد عليه السلام أن يقرر حقيقـــة الإيمان فى قلوب المؤمنين ببيان اللوازم البينة لوجوده ، فضرب لهم مثلا يصورهم — متى كانوا عليها — صورة أعضاء الجسد فى الجسد ، إذا ألم أحدها لم ينفرد بالألم دون سائرها فيسهر الجميع لسهره ، ويحم الجميع لحماه .

---

(١) القارعة ٥
(٢) من بلاغة القرآن ١٩٢

هذه الحال الجسمية والوجدانية من المجرب المألوف ، مرت بكل إنسان وستمر بكل إنسان ، وما كانت الإنسانية قائمة ، وهى مقياس دقيق يقيس به النبى عليه السلام حال المؤمنين إذا تم إيمانهم ، ليحملهم على تزكية الأنفس وإرهاف الحس . ويقظة الروح ، لكل من يجمع الإيمان بينهم ، وليرشدهم إلى أن يجمعهم بخير ، وأمتهم بانتصار ما كانوا هكذا . لا يتصورون أنفسهم أفراداً فى انفصال ، شأن ، واستقلال حياة وإنما يرونها أعضاء جسم ، يصح بصحة الجميع ، ويقوى بقوته ، ويمرض بمرض الواحد ، ويضعف بضعفه .

أليس تأخر المسلمين وانحدار نجمهم آية صدق هذا الحديث ؟ ثم . أليس علاج قلوبهم وأداة انتصارهم ، وسبب عزتهم أن يعودوا فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم جسداً واحداً يسهر بسهر الجزء منه ويحم لحماه ؟ هذه الظواهر والآثار لحقيقة الإيمان جاءت بصيغة تتفاعل التى تدل على المشاركة فى إيجاد الفعل ، والمضاف إليه وهو ضمير الجمع أفراده متماثلون فى بذل الود والرحمة والعطف .

وإتباع (الجسد) بصفة (الواحد) تأكيد للوحدة الحاصلة من تماسك الأعضاء ، والتى هى سر السهر والحمى ، اللذين يصيبان الجميع بإصابة العضو منه ، ولا شك أن الممثل به كلما زاد تقرراً وتأكداً ، زاد الممثل مثله ، لأنه موضوع له ، ومقيس به للاعتبار والموعظة ، ثم مجانسة جواب الشرط لفعله فى المعنى ، مع إمكان أن يكون مضارعاً أدل على هذه الصفات ، لما فيه من إشعار بالمبادرة ، وإسراع بالنجدة ، للاقتران الزمنى بين الشكوى والتداعى .

وألطف اللطف فى التعبير ، وأدق الدقة ما يحمله لفظ « تداعى » من عجيب المعنى ، فهو يخيل إليك أن أعضاء الجسد قد هبت للنجدة ، يدعو

بعضها بعضا ويناديه لإسعاف صاحبها أو مواساته ، ثم يجعل تناديها ليس الصراخ بلا مغيث ، وإنما هو الجواب الملبى المسعف والمساعد ، وهو السهر والحمى(١).

ثم انظر إلى قول النابغة الذبيانى فى المدح :

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ
إذا طَلَعَتْ لم يبدُ منهن كَوْكَبُ

فقد جعل النابغة الملوك إلى جانب مليكه الممدوح صغارا يتضاءلون إلى جانبه ، حتى لا يبدو لهم ذكر كالشمس إذا أطلت أخفت كل كوكب.

لقد عمد الشاعر إلى بساطته ، وقوة نفاذه إلى ما يريد من أيسر السبل إلى القلوب عن طريق اللفظ اليسير المعبر ، إذ يصور غلبة النعمان وسلطانه على الملوك بغلبة الشمس التى متى تشرق تمحو سائر الكواكب وتتضاءل .(٢)

وقول مروان بن أبى حفصة :

بَنُو مَطَرٍ يومَ اللقاءِ كأنهم
أسودٌ لها فى غيلِ خَفَّانَ أَشْبُلُ(٣)

فالشاعر فى هذه القصيدة يصفهم بالشجاعة ، ولكنه لا يرضى بأن

---

(١) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ١٥٤

(٢) النابغة الذبيانى :

(٣) بنو مطر : قومه . بطن من شيبان — يوم اللقاء : يوم الحرب ، والغيل : الشجر المجتمع ، وخفان . مأسدة قرب الكوفة ، والأشبل : جمع شبل ، وهو ولد الأسد .

يشبههم فيها بالأسد ، بل لابد أن يضيف إلى ذلك أن لهم أشبلا يدافعون عنها والأسد فى هذه الحالة ، أعظم ماتكون شراسة وجرأة(١)

ويروى أن ابن وهب أنشد المعتصم :

ثلاثةٌ تُشْرِقُ الدنيا ببهجتها
شمسُ الضحى وأبو إسحاقَ والقمرُ

تحكي أفاعيلَهُ في كُلِّ نائبةٍ
الغيثُ والليثُ والصمصامةُ الذَّكَرُ(٢)

فسر المعتصم ، وأمر بإدخاله ، وأحسن صلته ، ووافق على شعر ابن وهب عند جعله مع الشمس والقمر ، مصدر ضوء الدنيا وبهجتها ، وعندما جعل الليث والسيف يتعلمان منه الكرم والشجاعة والبت فى الأمور ، وكل ذلك مبالغة فى المديح(٣)

وإلى قول المتنبى فى الذم

وإذا أشارَ محدِّثاً فكأنهُ
قردٌ يقهقهُ أو عجوزٌ تلطمُ

فقد شبه الشاعر هيئة إنسان غير مرغوب فيه ، وهو يشير بيديه فى حديثه بهيئة القرد الذى يضحك ، أو العجوز التى تصفع خدها ، وهو — كما ترى — فيه من القبح مافيه .

---

(١) أسس النقد الأدبى عند العرب ١٩٦

(٢) أبو إسحق : المعتصم ، الصمصامة : السيف لا ينثنى والذكر : السيف الصارم .

(٣) العمدة جـ ٢ — ١١٠

يقول أبو البقاء العكبري : أي إن شئت شبهت حديثه بقهقهة القرد، وإن شئت شبهته بعجوز تلطم قول ثان، وهو أنه شبه شيئين بشيئين، شبه حديثه بقهقهة القرد، وشبه إشارته في أثناء حديثه بلطم العجوز، لأنه من عيه لا يفهم، وجعله مشيراً بيديه، لأنه لا يقدر على الإفصاح، فهو يستعين بالإشارة إذا حدث .

وفي هذا التشبيه معنى آخر، وهو أنه أراد قبح وجهه، وكثرة تشنجه فهو في القبح كوجه القرد، وفي التشنج كوجه العجوز .

فإن قيل : كيف شبه شيئين بشيئين، وعطف بأو، وهي لأحد الشيئين، وحقه أن يعطف بالواو، قلنا : إن أو قد وردت في كلامهم بمعنى الواو(١).

وقول أبي محجن الثقفي :

تُرَفِّعُ الصوتَ أحياناً وتَخْفِضُه ... كما يَطِنُّ ذبابُ الروضةِ الغَرِدُ

فقد شبه صوت مغنية بطنين أجنحة الذباب . وفيه — أيضاً — من القبح ما فيه .

يقول ابن رشيق : فأي قينة تحب أن تشبه بالذباب(٢).

وقول مروان بن أبي حفصة :

زوامِلُ للأشعارِ لا علم عندهم ... بجيدها إلا كعلم الأباعر

لعَمْرُكَ ما يدري البعيرُ إذا غدا ... بأوساقه أو راحَ ما في الغرائر(٣)

---

(١) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ج٤ ص١٢٨.

(٢) العمدة ج١ — ٣٠٢

(٣) الزوامل : جمع زاملة ، وهي ما يحمل عليها من الإبل وغيرها ، والأباعر والأباعير جمع أبعرة التي هي جمع بعير ، والوسق بالفتح والكسر حمل البعير ، وجمعه أوساق والغرائر : جمع غرارة بكسر الغين .

يهجو مروان قوما من رواة الشعر ، بأنهم لا يميزون جيده من رديئه على كثرة استكثارهم من روايته ، والفرق واضح بين قولك : فلان يكد نفسه فى قراءة الشعر وحفظه ، وبين قول أبى حفصة السابق ، فقد شبه رواة الشعر الذين يستكثرون من حفظه ، ثم لا يميزون بين الجيد والردىء بالأباعر التى تحمل الأوساق والغرائر غاديه ورائحة ، وهى لا تدرى ما فى داخلها .

وإلى قول أبى العتاهية فى الحجاج :

تَرْجُو النجاةَ ولم تَسْلُكْ مَسَالِكَها
إنَّ السفينةَ لا تَجْرِى على اليَبَسِ

فقد شبه الشاعر من يرجو النجاة من عذاب الآخرة ، ولم يسلك السلوك الطيب الذى يؤدى إليها ، ويمكنه من الظفر بها ، بسفن تحاول الجرى على اليابس فلن تستطيع .

وقول أبى تمام :

وَطُولُ مُقَامِ المرءِ فى الحىِّ مُخْلِقٌ
لديباجَتَيْـــهِ فاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ
فإنى رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً
إلى الناسِ أنْ لَيْسَتْ عليهم بِسَرْمَدِ(١)

فقد شبه الشاعر حال المرء فى اكتسابه المحبة بالاغتراب ، بحال الشمس فى اكتسابها المحبة بطلوعها وغروبها .

يقول صاحب الإيضاح : قس حالك ، وأنت فى البيت الأول ، ولم تنته

(١) مخلق : إسم فاعل ، من أخلق الثوب أبلاه ، والمراد بديباجته : صفحتا الوجه ، السرمد : الدائم .

إلى الثانى على حالك وأنت قد انتهيت إليه ووقفت عليه ، تعلم بُعد ما بين حالتيك فى تمكن المعنى لديك(١) .

وانظر إلى قول السموءل فى الفخر .

فنحنُ كماءِ المزنِ ما فى نِصَابِنَا ... كَهَامٌ ولا فِينَا يُعَدُّ بَخِيلُ(٢)

يريد تشبيه صفاء أنسابهم ، بصفاء ماء المطر ، فهم كماء المزن ، وكل منهم نافذ ماض وليس فيهم بخيل .

يقول الدكتور أحمد بدوى: فهم قوم قد خلص نسبهم من كل ما يشينه وصاروا فيه كماء المزن نقاء وطهراء ، ليس فى أصولهم جبان ولا بخيل(٣).

وقول المتنبى :

ما أبعدَ العيبَ والنقصانَ عن شَرَفِى ... أنا الثريا وذانِ الشيبُ والهَرَمُ

يريد الشاعر : أنه بعيد عن العيب والنقيصة ، كبعد الثريا عن الشيب والكبر ، فكما لا يلحقهما الشيب والهرم ، فهو كذلك لا يلحقه العيب والنقصان ، فما أبعد العيب والنقصان عن شرفه ورفعته وعرضه وسلامته .

وانظر إلى قول النابغة الذبيانى فى الاعتذار :

ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما أتيتهم ... أُحَكَّمُ فى أموالهم وأُقرَّبُ

---

(١) الإيضاح ج٣ — ٩

(٢) المزن : السحاب الأبيض ، النصاب : الأصل، الكهام : الضعيف المسن .

(٣) أسس النقد الأدبى ٢٢١

كفعلكَ في قومٍ أراكَ اصطفيتهم   فلم ترهم في مدحِهِم لك أذنبوا
فلا تتركني بالوعيدِ كأنني   إلى الناسِ مطليٌ به القارُ أجربُ(١)

يريد النابغة : أنه لم يرتكب ذنباً ، سوى أنه زار ملوكاً وإخواناً له يقربونه إذا زارهم ، ويحكمونه في أموالهم ، وهو لم يزد على أن شكرهم ، مثله في ذلك ، مثل قوم أحسن إليهم النابغة فشكروه على إحسانه ، لم يزد على ذلك ، فكيف يؤاخذ على شكره لهم ، وهم لا يؤاخذون على شكرهم للنعمان .

إن مافعله الشاعر لا يستحق هذا الوعيد الذي تركه منبوذاً من الناس كأنما هو أجرب قد طلي بالقار .(٢)

إن الشاعر يقول معتذراً : أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك ، وأنا أحسن إلى قوم فمدحتهم ، فكما أن مدح أولئك لك لا يعد ذنباً ، فكذلك مدحي لمن أحسن إلي لا يعد ذنباً(٣) .

ويروى أن أبا تمام كان ينشد أحمد بن المعتصم قصيدته التي مدحه بها ، فلما وصل إلى قوله :

إقدامَ عمروٍ في سماحةِ حاتمٍ   في حلمِ أحنفَ في ذكاءِ إياسِ

---

(١) ملوك وإخوان : أراد الغسانيين الذين أكرموه حين نزل بهم ، أحكم في أموالهم : أتصرف فيها كما أشاء ، والوعيد : التخويف والتهديد ، وإلى الناس : أي في الناس ، والقار : القطران ، ومطلي به القار : أي مطلي بالقار .

(٢) أسس النقد الأدبي ٢٧٠

(٣) الإيضاح جـ٤ — ٥٢

قال الفيلسوف الكندى ، وكان حاضراً : الأمير فوق ما وصفت ، فأطرق رأسه قليلا ، ثم رفع رأسه وأنشد :

لا تُنْكِروا ضَرْبى لمَنْ دُونَهُ ... مَثَلاً شَرُوداً فِى النَّدَى والْبَاسِ

فالله قد ضرب الأقلَّ لِنُورِهِ ... مَثَلاً من المشكاةِ والنِّبراسِ (١)

فعجبوا من سرعة فطنته ، فقد اعتذر أبو تمام عن تشبيه ممدوحه ، بمن هم أقل منه فى المنزلة ، لاتصاف كل واحد منهم بصفة ، سارت مسير الشمس فى الشهرة ، حتى أصبحت علما فى الكشف والإيضاح ، وليس ذلك بغريب ، فالله سبحانه ، قد ضرب الأقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس ، إذ يقول : « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى »(٢) .

ومن ثم كان الاعتذار فى ثوب التشبيه أدعى للقبول ، وأخلب للقبول ، وأذهب للحقد والغضب .

وانظر إلى قول الشاعر فى الوعظ :

العمرُ مثلُ الضيفِ أو ... كالطيفِ ليسَ له إقامة

يقول الإمام عبد القاهر : تجد الفرق بين أن تقول الدنيا لا تدوم ،

---

(١) عمرو : هو عمرو بن معد يكرب : فارس مشهور ، والأحنف هو الأحنف بن قيس رئيس بنى تميم مشهور بالحلم ، وإياس : هو إياس بن معاوية قاضى البصرة . والشرود : النافر والمراد الفريد ، والندى : الجود ، والباس : مخفف بأس وهو الشدة فى الحرب ، والمشكاة : بكسر الميم : كوة غير نافذة ، والنبراس : المصباح انظر معاهد التنصيص ج١ ص٤٦ والبيان والتبيين ج٤ ص٧٩

(٢) النور ٣٥

ولا تبقى ، وبين أن تقول : هي ظل زائل ، وعارية تسترد ، ووديعة تسترجع ، أو تذكر قول النبي ﷺ : « من في الدنيا ضيف ، وما في يده عارية والضيف مرتحل ، والعارية مؤداه » أو تنشد قول لبيد :

وما المالُ والأهلونَ إلا ودائعُ ... ولابد يوماً أن تُرَدَّ الودائعُ

وقول الآخر :

إنما نعمةُ قومٍ مُتعةٌ ... وحياةُ المرءِ ثوبٌ مستعارُ

فهذه جملة من القول تخبر عن صنيع التمثيل ، وتخبر عن حال المعنى معه(١) .

وهكذا في سائر الألوان والأغراض، كالوصف والغزل والرثاء ، تجد للتشبيه هذا الأثر النفسي .

ثم إن التشبيه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين ، حتى يختصر بعد ما بين المشرق والمغرب ، ويجمع ما بين المشئم والمعرق(٢) وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبها في الأشخاص الماثلة والأشباح القائمة . ويريك الحياة في الجماد ، ويريك التئام عين الأضداد ، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين والماء والنار مجتمعين ، كما يقال في الممدوح : هو حياة لأوليائه ، موت لأعدائه ، ويجعل الشيء من جهة ماء ، ومن جهة أخرى نارا ، كقول أبي على محمد بن الحسين بن مقلة :

أنا نارٌ في مُرتقى نظرِ الحا ... سدِ ماءٌ جارٍ مع الإخوانِ(٣)

---

(١) أسرار البلاغة ١٣٥

(٢) المشئم من أتى الشام والمعرق من أتى العراق .

(٣) أسرار البلاغة ١٤٩

فقد شبه نفسه فى نظر الحاسد بالنار فى الهول والشدة ، ومع الإخوان بالماء الجارى فى العذوبة والصفاء .

وتأمل قول البحترى يمدح أبا الفضل إسماعيل بن إسحاق :

دانٍ على أيدى العُفَاةِ وشاسعٌ ... عَنْ كُلِّ نِدٍّ فى النَّدَى وضريبِ

كالبدرِ أفرطَ فى العلو وضوءُه ... للعصبةِ السارينَ جِدُّ قريبِ

فقد وصف البحترى — فى البيت الأول — ممدوحه بأنه قريب من المحتاجين والمعوزين البائسين ، وبعيد عن أن يكون له نظير ، وعندما شعر البحترى بأنه وصف الممدوح بوصفين متضادين، هما القرب والبعد ، وهذا أمر لا يستسيغه عقل ، ولا يقره منطق ، جاء بالبيت الثانى فشبهه بالبدر الذى هو فى السماء وضوءه على الأرض للسائرين ليلا قريب ، ومن ثم فقد أقره العقل ، وقبله المنطق واطمأنت إليه النفس .

يقول الإمام عبد القاهر : فكر فى حالك ، وحال المعنى معك ، وأنت فى البيت الأول لم تنته إلى الثانى ، ولم تتدبر نصرته إياه ، ثم قسهما على الحال ، وقد وقفت عليه ، وتأملت طرفيه ، فإنك تعلم بعد مابين حالتيك وشدة تفاوتهما فى تمكن المعنى لديك . وتحببه إليك ، ونبله فى نفسك ، وتوفيره لأنسك ، وتحكم لى بالصدق فيما قلت ، والحق فيما ادعيت(١) .

— وكما ترى — فالمشبه : الهيئة الحاصلة من رفعة الممدوح مع قرب نفعه للسائلين .

والمشبه به : الهيئة الحاصلة من ارتفاع البــدر ، مع قرب ضوئه والانتفاع به .

---

(١) المرجع السابق ١٢٩

ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من قرب النوال مع بعد المنال .

وقول محمد بن محمد بن لنكك :

إذا أخو الحسن أضحى فعله سمجاً
رأيت صورته من أقبح الصور

وهبه كالشمس في حسن ألم ترنا
نفر منها إذا مالت إلى الضرر

فقد أخبر الشاعر — في البيت الأول — بأن صاحب الوجه الحسن ، إذا بدا منه فعل ذميم ، فإن الناس ينفرون منه ويبغضونه ، ويشمئزون من لقائه . ولما شعر بأن هذا الأمر غير مسلم ، وأنه قد ينازع فيه ، لأنه غير مألوف جاء بالبيت الثاني مدللا به على صدق دعواه ، فشبهه بالشمس إذا اشتدت حرارتها ، وخشي الناس منها الضرر ، فإنهم يفرون منها اتقاء لشرها ، وتجنبا لخطرها .

يقول الإمام عبد القاهر ، معلقا على قول ابن لنكك : انظر كيف يزيد شرفه عندك(١) .

والمشبه : حال من حسنت صورته ، وساء فعله ، فنكر عليه الناس لأذاه

والمشبه به : حال الشمس يفر منها الناس إذا اشتد حرها ، وتوقعوا ضررها .

ووجه الشبه : الشيء يكره لضرره ، وإن راق في العين منظره .

وتأمل قول أبي تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود

---

(١) المرجع السابق ١٣٣

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورَتْ
ما كانَ يُعرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ

فالشاعر يرى أن الحسد قد يكون طريقا لنشر الفضيلة ، وسببا لإضفاء الثناء على المحسود ، ولما كان هذا الأمر قد ينازع فيه ، لأن الحاسد يتمنى زوال نعمة المحسود ، ومن شأنه أن يظهر المثالب ، ويخفى المحاسن ، جاء بالبيت الثانى ، فكان بمثابة الدليل والبرهان على ما رآه ، كما وضح المعنى وجلاه ، فشبه ظهور الفضيلة مع الحسد بالعود ذى الرائحة الطيبة عند إحراقه بالنار فتفوح رائحته الزكية .

يقول الإمام عبد القاهر مثنيا على قول أبى تمام : انظر هل نشر المعنى تمام حلته وأظهر المكنون من حسنه وزينته ، وعطرك بعرف عوده ، وأراك النضرة فى عوده ، وطلع عليك من مطلع سعوده ، واستكمل فضله فى النفس ونبله ، واستحق التقديم كله إلا بالبيت الأخير ، وما فيه من التمثيل والتصوير(١) .

كما يشيد الأستاذ أحمد الشايب بحسن التصوير ، ودقة التعبير فى قول أبى تمام إذ يقول : فإن المعنى فى البيت الأول استدعى الصورة فى البيت الثانى فكانت تمثيلا حسيا ، وخيالا تأليفيا وبرهانا على المعنى(٢) .

وكما ترى — فالمشبه : حال الفضلة تظهر على لسان الحسود .

والمشبه به : حال العود تظهر رائحته الطيبة عند إحراقه بالنار .

وجه الشبه : حصول الخير والنفع عند قصد الإيذاء والضرر .

---

(١) أسرار البلاغة ١٣٤
(٢) أصول النقد الأدبى ٢١٧

وأخيرا تأمل مرثية أبي الحسن محمد بن عمران الأنباري، لأبي الطاهر محمد بن بقية الملقب نصير الدولة وزير عز الدولة، حين صلب، وماصنع فيها من السحر، حتى قلب جملة مايستنكر من أحوال المصلوب، إلى خلافها، وتأول فيها تأويلات، أراك فيها وبها ماينقضي منه العجب.

يقول أبو الحسن :

علوٌّ في الحياةِ وفي المماتِ ... بِحَقٍّ أنتَ إحدى المعجزاتِ
كأن الناسَ حولكَ حين قاموا ... وفودُ نداك أيامَ الصِّلاتِ
كأنك قائمٌ فيهم خطيباً ... وكلُّهمُ قيامٌ للصلاةِ
مددتَ يديكَ نحوهمُ احتفاءً ... كمدهما إليهم بالهباتِ(١)

وعندما وصل خبر هذه القصيدة إلى عضد الدولة — الذي أمر بصلبه — تمنى أن يكون هو المصلوب دونه.

إن التشبيه — بحق — لون أخاذ من ألوان البلاغة، وفن رفيع من من فنونها، وكنز نفيس من كنوزها.

إنه كما يقول صاحب الصناعتين : يزيد المعنى وضوحاً، ويكسبه تأكيداً، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه، وقد جاء عند القدماء، وأهل الجاهلية من كل جيل، مايستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان(٢).

وكما يقول صاحب نقد النثر. وأما التشبيه فهو من أشرف كلام العرب

---

(١) أسرار البلاغة ٢٩٣
(٢) الصناعتين ٢٤٩

وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم ، وكلما كان المشبه منهم فى تشبيه ألطف ، كان بالشعر أعرف ، وكلما كان المعنى أسبق ، كان بالحذق أليق(١).

هذا ، والكلام عن القيمة البلاغية للتشبيه ، وأثره فى إبراز المعنى وتوضيحه ، وما يضفيه عليه من بهاء وجلال ، وحسن ورواء ، لا ينفد ، والحديث عنه لا يمل ، وإذا أردت المزيد ، فعليك بكتاب رب العالمين ، وحديث سيد المرسلين ، والأدب الجيد للشعراء والأدباء فى كل عصر وحين ، وستجد ما يروى ظمأك ويشبع نهمك .

---

(١) نقد النثر ٥٨

أركان التشبيه

من تعريف التشبيه، ومن الأمثلة السابقة يتضح أن للتشبيه أربعة أركان .. هي :

١ — المشبه . وهو الذي يراد إلحاقه بالمشبه به .

٢ — والمشبه به : وهو الذي يلحق به المشبه، ويسميان طرفي التشبيه

٣ — ووجه الشبه : وهو المعنى المشترك بين الطرفين .

٤ — وأداة التشبيه: وهي اللفظ الدال على التشبيه ، اسماً كان ، أو فعلا أو حرفاً .

ففي قول رشيد الدين الوطواط :

فوجهك كالنارِ في ضوئها وقلبِيَ كالنارِ في حَرِّهَا

تجد المشبه «وجهك» ، والمشبه به «النار» ، ووجه الشبه «الضوء» ، وأداة التشبيه «الكاف» ، في الشطر الأول .

وفي الشطر الثاني تجد المشبه «قلبي» ، والمشبه به «النار» ، ووجه الشبه «الحرارة» ، وأداة التشبيه (الكاف) .

وفي قول الشاعر :

كأنما الماءُ في صفاءٍ وقد جَرَى — ذائبُ اللجين(١)

تجد المشبه (الماء) ، والمشبه به (ذائب اللجين) ، ووجه الشبه الصفاء ، وأداة التشبيه (كأن) .

---

(١) اللجين الفضة .

وقول الآخر :

أنت عندى كليلة القدر فى القد رِ ولكنْ لاتستجيبُ دُعائى

تجد المشبه (ضمير المخاطب أنت)، والمشبه به ، ليلة القدر ووجه الشبه، (القدر) وأداة التشبيه (الكاف) :

وقد تحذف أداة التشبيه ، كما قد يحذف وجه الشبه ، وقد يحذف الوجه والأداة — كما علمت —

هذا. والكلام فى التشبيه يتناول: الطرفين ، ووجه الشبه ، كما يتناول أداة التشبيه والغرض منه .

مبحث الطرفين

المحسوس والمعقول

طرفا التشبيه — كما علمت ، هما المشبه و (المشبه به) ، وهما الركنان الأساسيان في كل تشبيه ، وهذان الطرفان ، قد يكونان حسيين كما قد يكونان عقليين ، وقد يكون أحدهما حسي ، والآخر عقلي .

ومن ثم فإن التشبيه ينقسم — باعتبار حسية الطرفين وعقليتهما — إلى أربعة أقسام :

١ — تشبيه المحسوس بالمحسوس :

وهو — أن يكون الطرفان حسيين . أي يدركان هما أو مادتهما بإحدى الحواس الخمس الظاهرة ، وهي . البصر ، والسمع ، والشم ، والذوق ، واللمس .

فما يدرك بالبصر كقوله تعـــالى : (وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام(١) فقد شبهت (الجوارى) وهي السفن (بالأعلام) في الضخامة والإرتفاع ، والعظم ، وسر إيثار كلمة (الأعلام) جمع علم) بمعنى (جبل) ، هو أن الكلمة المشتركة بين عدة معان تتداعى هذه المعانى عند ذكر هذه الكلمة ولما كان من معانى (العلم) الراية التى تستخدم للزينة والتجميل ؛ كان ذكر الأعلام محضراً إلى النفس هذا المعنى ، إلى جانب إحضارها صورة الجبال ، وكان إثارة هذا الخاطر ملحوظاً عند ذكر السفن الجارية فوق البحر تزين سطحه ، فكأنما أريد الإشارة إلى جلالها وجمالها معاً ، وفي كلمة الأعلام وفاء بتأدية هذا المعنى أدق وفاء(٢) .

---

(١) الرحمن ٢٤ — الجوار : السفن جمع جارية .

(٢) من بلاغة القرآن ٢٠١

وقوله سبحانه في الحديث عن بني إسرائيل (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم)(١) .

وذلك عندما أبى بنو إسرائيل أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها ، رفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم ، وكان فرسخاً في فرسخ ، وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها ، وإلا ليقعن عليكم ، فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجداً على حاجبه الأيسر ، وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقاً من سقوطه(٢) .

ففي الآية الكريمة تشبيه الجبل في الإرتفاع فوق الرؤوس بالظلة ، وفيه — كما ترى — أعظم الآية لمن فكر في مقدورات الله تعالى عند مشاهدته لذلك ، ليطلب الفوز من قبله ، ونيل المطالب بطاعته(٣) .

وإذا أنت تأملت أسلوب الآية الكريمة وجدت هذا التعبير أقوى من أن يقال : وإذ صار الجبل كأنه ظلة) لما في كلمة نتق من تصوير لانتزاع الجبل من الأرض تصويراً يوحي إلى النفس بالرهبة والفزع ، ولما في كلمة فوقهم من زيادة هذا التصوير المفزع ، وتأكيده في النفس ، وذلك كله يمهد التشبيه خير تمهيد ، حتى إذا جاء مكن الصورة في النفس ، ووطد من أركانها ، وفيه إتمام المعنى وإكماله ، فهو يوحي بالإحاطة بهم وشموله لهم والقرب منهم قرب الظلة من المستظل بها ، وفي ذلك ما يوحي بخوف سقوطه عليهم(٥) .

---

(١) الأعراف ١٧١ — نتقنا الجبل ، قلعناه ورفعناه ، والظلة كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب وظنوا أنه واقع بهم : علموا أنه ساقط عليهم .

(٢) الكشاف حـ ٢ ، ١٢٩ — فرقاً : خوفاً .

(٣) النكت في إعجاز القرآن ٨٣ .

(٤) من بلاغة القرآن ١٩٩ .

وما يدرك بالسمع : كقول ابن سناء الملك يصف ساقية :

وسافيةٍ نزلت بها وَإِنّي أودعُه كتوديعِ المروع
فصوتُ أنينها يحكِي أنيني وفيضُ دموعها يحكِي دُموعى(١)

فقد شبه الشاعر صوت أنين السافية بأنينه ، وهما يدركان — كما ترى بحاسة السمع .

وقول شوقى فى مصطفى كامل :

جمعتهمُ على نبراتِ صوتٍ كنفخ الصورِ حركتِ الرِّجاما
لك الخطبُ التى غُصَّ الأعادِى بسورتِها وساغتْ للنَّدامى
فكانتْ فى مرارتها زئيراً وكانت فى حلاوتها بُغاما(٢)

فقد شبه شوقى نبرات صوت الزعيم بنفخ الصور فى القوة وشدة التأثير كما شبه خطبته بزئير الأسد تارة ، وبصوت الظبى تارة أخرى .

وما يدرك بالشم كقول الشاعر :

تضوعَ المسكُ من ثغرِ الحبيبِ كما تنفسَ الروضُ إثرَ العارضِ الهطلِ(٣)

فقد شبه الشاعر طيب ثغر الحبيب بالروائح الصاعدة من أزهار الرياض .

---

(١) المروع : الخائف المذعور .

(٢) الرجام : القبور ، السورة : الشدة والحدة ، النديم : المصاحب للشراب المسامر البغام : صوت الظبيه .

(٣) تضوع المسك : فاحت رائحته ، العارض : المطر ، الهطل : تتابع المطر . والروض : جمع روضة .

وقول أعرابية وهي تداعب ولدها :

يا حبذا ريحُ الولدْ ريحُ الخزامى في البلدْ
أهكذا كل ولدْ أم لم يَلِدْ قبلي أحدْ(١)

فقد شبهت الشاعرة : ريح ولدها بريح الخزامى — ووجه الشبه — كما ترى — الرائحة الطيبة .

وما يدرك باللمس كقول ذي الرمة :

لها بشرٌ مثلُ الحريرِ ومنطقٌ
رخيمُ الحواشي لاهراءٌ ولا نزرُ(٢)

فقد شبه الشاعر البشره بالحرير في النعومة.

وقول شوقي في رواية كليوباترا :

يالَكِ كَفًّا كَنَقِيّ العاجِ ناعمةٍ كَخَمَلِ الديبَاجِ(٣)

فقد شبه شوقي أولا : «الكف» بالعاج النقي في الصفاء والبياض، وهذا مما يدرك بالبصر . ثم شبهها ثانيا بخمل الديباج في النعومة ، وهو — كما ترى — يدرك باللمس .

وما يدرك بالذوق كقول القاضي للتنوخي :

أَحِبُّ إلَيَّ بنهرِ مَعْقِل الذي فيه لِقَلْبِيَ من همومِيَ مَعْقِل

---

(١) الخزامى . جنس نبات له زهر طيب الرائحة واحدته : خزاماه .
(٢) رخم الصوت والكلام : لان وسهل . والهراء : الهذيان والكلام الكثير الفاسد ، والنزر : القليل .
(٣) الديباج : ضرب من الثياب سداه ولحمته حرير ؛ فارسي معرب ؛ والخمل : القطيفة .

عَذْبٌ إِذَا مَا عَبَّ مِنْهُ نَاهِلٌ   فَكَأَنَّهُ مِنْ رِيقِ حِبٍّ يَنْهَلُ(١)

والمشبه فى قول التنوخى هو الضمير العائد على النهر ، والمشبه به ريق الحبيب .

٢ — تشبيه المعقول بالمعقول :

وهو — أن يكون الطرفان عقليين ، أى لا يدركان ، ولا مادتهما بإحدى الحواس الخمس الظاهرة كقول شوقى يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أخوكَ عيسى دَعَا مَيْتاً فقامَ لهُ
وأنتَ أحييتَ أجيالاً من الرِّمَمِ

والجهلُ موتٌ فإن أُوتيتَ مُعْجِزَةً
فابعثْ منَ الجهلِ أو فابعثْ من الرَّجَمِ

فقد شبه شوقى — فى البيت الثانى — الجهل بالموت وكلاهما معقول .

تشبيه المعقول بالمحسوس :

كثر هذا اللون من التشبيه فى كتاب الله تعالى، وفى حديث رسول الله ﷺ ، وفى شعر الشعراء المجيدين ، لإبراز المعانى فى صور محسوسة حتى تتمكن فى النفس فضل تمكن .

---

(١) المراد بمعقل الأولى : معقل بن يسار من الصحابة رضى الله عنهم وينسب إليه نهر بالبصرة - مختار الصحاح وبمعقل الثانية : الملجأ والحصن والعب: شرب الماء من غير مص ، والحِب. الحبيب.

من ذلك قوله تعالى .(والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً،ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب(١) .

استمد التشبيه القرآنى عناصره من الطبيعة ، انظر إليه يجد فى السراب وهو ظاهرة طبيعية يراها الناس جميعـــاً . فيغرهم مرآها ، ويمضون إلى السراب يظنونه ماء فيسعون إليه ، يريدون أن يطفئوا حرارة ظمئهم ، ولكنهم لا يلبثون أن تملأ الخيبة قلوبهم ، حينما يصلون إليه بعد جهد جهيد ، فلا يجدون شيئا مما كانوا يؤملون ، إنه يجد فى هذا السراب صورة قوية توضح أعمال الكفرة تظن مجدية نافعة ، وما هى بشىء(٢) .

فهذا بيان قد خرج ما لا تقع عليه الحاسة ، إلى ما تقع عليه ، وقد اجتمعا فى بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة .

وتأمل . دلالة كلمة الظمآن ، وما تضفيه على المعنى من بهاء وجلال .

ولو قيل يحسبه الرائى ماء ثم يظهر أنه على خلاف ماقدر لكان بليغا ، وأبلغ منه لفظ القرآن ، لأن الظمآن أشد حرصا عليه . وتعلق قلب به ، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذى يصيره إلى عذاب الأبد فى النار — نعوذ بالله من هذه الحال — وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه ، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ ، وكثرة الفائدة وصحة الدلالة(٣) .

---

(١) النور ٣٩ — السراب . مايرى نصف النهار فى اشتداد الحر كالماء فى المفاوز ،والقيعة جمع قاع ، والقاع ماانبسط من الأرض واتسع ولم يكن فيه نبت ، وفيه يكون السراب — القرطبى ٤٦٧٤ ط الشعب .

(٢) من بلاغه القرآن ١٩٦

(٣) النكت فى إعجاز القرآن ٨٢

والمشبة فى الآية — كما ترى — حال الكافرين يأتون أعمالا يحسبون أنها مجدية نافعة لهم ، وأنهم سيثابون عليها ، ثم يخيب ظنهم ، ويرجعون بالخيبة والخسران ، بحال شخص رأى فى الصحراء سراباً ظنه ماء حتى إذا جاءه ، لم يجد ما كان يأمله بل وجد العذاب الأليم ، والشقاء المقيم .

وقوله ﷺ . (ألا وإن الغضب جمرة فى قلب ابن آدم ، أما رأيتم إلى حمرة عينيه ، وانتفاخ أوداجه ؟ فمن أحس بشىء من ذلك فليلصق بالأرض .

أصدر الرسول ﷺ حكمه على الغضب بأنه جمرة ، وقد أكد الحكم وقرره بوقوعه بعد أداة الاستفتاح الدالة على الإهتمام ، وبعد (إن) المؤكدة ، والحكم قائم على تشبيه الغضب — وهو انفعال نفس ، وحال معنوية ، بالجمرة وهى جسم محس ، فدركه بأكثر من حاسة ، وهو من تشبيه المبالغة المبنى على دعوى الإتحاد بين الطرفين لأنه مؤكد بحذف الأداة ، ومجمل بحذف الوجه ، ليباعد بين الذهن وقصد التشبيه ، وقد رشح هذا الإتحاد بلطيفة من السر النبوى ، وهى إيلاء الظرف (فى قلب ابن آدم) للجمرة دون الغضب ، وكان من الممكن أن يقال (وإن الغضب فى قلب ابن آدم جمرة) ، ولو قيل هذا لا نطمست القيمة الفنية للتعبير ، إذ تفقد الجمرة اتحادها بالغضب ، واقعه معه فى مكانه ، ويؤذن الفصل بينهما بانفصالهما ، فيسقط التأكيد المفاد بحذف أداة التشبيه ، لما بينهما من التعارض فى الهدف مع أن المقام للتخويف والتحذير الذى يقتضى آكد الوجوه لتجسيم الغضب فى هذه الصورة المنذرة بالخطر .

ولما كثرت المقررات المؤكدة للحكم ، حتى يمكن أن يتوهم من لم يتمكن من أسرار البيان ، أن يظن فيها المجازفة والتساهل الا أحوجت إلى دليل من المنطق الحسى والبرهان القريب المشاهد ، فاتخذ عليه السلام من المظاهر

الفسيولوجية الناشئة عن الغضب ذلك الدليل على حكمه،

وهنا ينبغى أن ننظر فى إكبار بالغ المدى إلى فلسفة التعبير وحكمته ، فالجمرة نار ، والقلب وعاء الدم ، يصل بدورته إلى كل عضو فى الجسم حتى الشعر،فإذا غلى الدم على نار الغضب فار فى العروق،وظهر فى الأعضاء، حتى تنتفخ الأوداج ، وتظهر فى العين حمرته .

وتشبيه الغضب بالجمرة واقع عن جهات :

فحرارة الجسم ترتفع عند الغضب نتيجة لصعود الإنفعال النفسى ، وزيادة النبضات حتى يهم الدم كله أن يجتمع فى مراكز الغضب كالجند الحاشد للهجوم .

والنار تحدث التورم فى الجسم والحمرة والإلتهاب فيما تمسه ، والغضب تنتفخ به الأوداج وتحمر العين . وتلتهب الأعصاب .

والأعظم لطفاً فى البيان النبوى ، أنه عليه السلام أحال المخاطب عن طريق الإستفهام إلى اكتناه الحقيقة بفكره هو ، ليؤكد عن روية ، ويقرر عن رؤية فإذا حصل له التصديق بالمشاهدة ، وقبح فى عينه المنظر بالتجربة وألم بالخطر الناشىء عن الغضب حاول الهرب بالعلاج الناجع الذى تركه الطبيب دون بيان .

عندما نرى الغضب مسيطراً علينا ، لنلصق بالأرض نفشاحره عن قلوبنا، ولنتشبث بها حتى لا يستخفنا شيطانه ، جوار حنا غالبة عقولنا لارتكاب الجنايات .

إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، فالغضب من النار ، وكلمات علت النـــار عن الأرض اشتد أو ارها ، ففى تطامن

الغاضب إلى الأرض انكسار لحدة الغضب(١) .

ومن تشبيه المعقول بالمحسوس — أيضاً — قول الشاعر :

خُلُقٌ كأنفاسِ النسيمِ تَضَوَّعَتْ مِسْكاً وطِيبا
وَحِجًا كمِثْلِ الشُّهْبِ يَهْتِـ ـكُ ضوءه حالِكَهُ المغيبا(٢)

فقد شبه الشاعر فى البيت الأول « الخلق الكريم » ، بأنفاس النسيم العطرة وهى — كما ترى — حسيه تدرك بحاسة الشم ، كما شبه فى البيت الثانى « الحجا » بالشهب وهى — أيضاً — حسيه تدرك بحاسة البصر .

٤ — تشبيه المحسوس بالمعقول :

لما كان من أغراض التشبيه ومراميه ، إبراز المعنى وتقريره ، وكان ادراك النفس للمحسوس أقوى من ادراكها للمعقول ، كان المحسوس هو الجدير أن يكون مشبها به .

ومن ثم فقد اختلف العلماء فى قبول تشبيه المحسوس بالمعقول ، لأنه خلاف الأصل المعروف : من أن وجه الشبه يكون فى المشبه به أقوى وأتم من المشبه .

فيرى جمهور المتأخرين عدم قبوله وما ورد منه يكون من قبيل قلب التشبيه المبالغة يقول سعد الدين التفتازانى فى مطوله : « وقيل أن تشبيه المحسوس

---

(١) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ١٤٤ — ١٤٦ — الأوار : حر الشمس والنار .

(٢) تضوعت : طابت وفاحت ، والحجا : العقل ، والشهب : جمع شهاب وهو شعلة من نار ساطعة ، والمغيب : ما غاب عنك ، ويهتك : يظهر ويكشف .

بالمعقول غير جائز ، لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ، ومنتهية إليها ، ولذلك قيل : « من فقد حسا فقد فقد علما » يعنى العلم المستفاد من الحسى ، وإذا كان المحسوس أصلا للمعقول فتشبيهه به يكون جعلا للفرع أصلا ، والأصل فرعا ، وهو غير جائز ، فلذلك لو حاول المبالغة فى وصف الشمس بالظهور ، والمسك بالطيب ، فقال . الشمس كالحجة فى الظهور ، والمسك كخلق فلان فى الطيب كان سخيفا من القول .

وأما ما جاء فى الأشعار من تشبية المحسوس بالمعقول فوجهه أن يقدر المعقول محسوسا ويجعل كالأصل لذلك المحسوس على طريق المبالغة، فيصح التشبيه حينئذ(١) ،

ويرى : شيخ الإسلام جلال الدين السيوطى : « أن هذا التشبيه لم يقع فى القرآن ، بل منعه الإمام أصلا . لأن العقل مستفاد من الحس ، فالمحسوس أصل للمعقول » وتشبيهه به يستلزم جعل الأصل فرعا والفرع أصلا وهو غير جائز »(٢) .

ويرى صاحب ، عروس الأفراح ، أن تشبيه المعقول بالمحسوس من قبيل التشبيه المقلوب .

يقول بهاء الدين السبكى . « لا يجوز عند بعضهم تشبيه المحسوس بالمعقول وبه جزم الزنجانى فى معيار النظر . والإمام فخر الدين ، إذ المشبه به يجب أن يكون أظهر من المشبه ، ولكون المعقول فرع المحسوس ، لأنه مستفاد منه ، وحيث جاء فى الأشعار يؤول على أنه جعل المعقول

---

(١) المطول ٣١٢

(٢) الاتقان فى علوم القرآن جـ٢ — ٤٢ ط الثالثة ١٩٥١ الحلبى .

محسوسا على سبيل المبالغة ، وهذا يستدرجك إلى أن تجعل جميع هذا النوع من باب قلب التشبيه(١) .

بينما يرى التنوخي في «الأقصى القريب» أن تشبيه المحسوس بالمعقول، وتشبيه المعقول بالمحسوس ، كلاهما يحتاج إلى تجوز ،ومن عد تشبيه المعنى بالصورة ولم يعد تشبيه الصورة بالمعنى،لامعنى لترجيحه أحدا ، بل الأمرين على الآخر ، إما أن يعدا معاً ، أو لا يعدا معاً(٢) .

أما ابن يعقوب المغربي فقد أجاز بعض صوره . «ولقائل أن يقول . لا شك أن الإدراك العقلي مستند للإدراك الحسي في غالب الأمر،ولكن لا يلزم من ذلك كون المحسوس أقوى أبدا في وجه الشبه ، وأشهر به ؛ وإنما يكون كذلك حيث يكون الوجه أصله الحسي ، ونحن نجوز أن يكون أصله العقلي ، فيكون العقلي به أشهر وأظهر ، فتشبيه العطر بالخلق مثلا في استطابة النفس يكون من عكس التشبيه كما قيل ، لأن استطابة النفس للمشموم المحسوس أقرب من استطابة المعقول ، وإنما تثبت له الاستطابة من طريق التوهم ، والقياس على الحسن ، وإنما تشبيهه به في الشرف عند العقول ، وفي الارتفاع والتلذذ الروحاني ، فالخلق به أظهر ، وعلى هذا فلا حاجة إلى جعل تشبيه الحسي بالعقلي من عكس التشبيه دائما ، وهو ظاهر(٣) .

كما يرى الرماني جواز هذا التشبيه ، وإن كان غير حسن . (واعلم أن التشبيه على ضربين ، تشبيه حسن ، وتشبيه قبيح . فالتشبيه الحسن هو

---

(١) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص جـ ٣ صـ ٣١٢

(٢) المرجع السابق ٣١٢

(٣) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ٣١٤

الذى يخرج الأغمض إلى الأوضح فيفيد بيانا ، والتشبيه القبيح ، ما كان على خلاف ذلك ».

وشرح ذلك أن ما تقع عليه الحاسة أوضح فى الجملة مما لا تقع عليه الحاسة ، والمشاهد أوضح من الغائب ، فالأول فى العقل أوضح من الثانى ، والثالث أوضح من الرابع ، وما يدركه الإنسان من نفسه أوضح مما يعرفه من غيره ، والقريب أوضح من البعيد فى الجملة ، وما قد ألف أوضح مما لم يؤلف . ثم عاب على بعض شعراء عصره .

صُدغُه ضِدُّ خدِّهِ مِثْلُ ما الوعـ
ـدُ إِذَا ما اعْتَبَرْتَ ضِدُّ الوعيدِ

من قبل أنه شبه الأوضح بالأغمض ، وما تقع عليه الحاسة بما لا تقع عليه(١).

فى حين يرى ابن رشيق جوازه مع حسنه ، يقول معلقا على رأى الرمانى قال صاحب الكتاب

أما ما شرط فى التشبيه فهو الحق الذى لا يدفع إلا أنه قد حمل على الشاعر فيما أخذ عليه إذ كان قصد الشاعر أن يشبه ما يقوم فى النفس ذليلة بأكثر مما هو عليه فى الحقيقة كأنه أراد المبالغة ، ولعله يقول ، أو يقول المحتج له . معرفة النفس والمعقول أعظم من إدراك الحاسة ، لا سيما وقد جاء مثل هذا فى القرآن . وفى الشعر الفصيح قال الله عز وجل «طلعها كأنه رؤوس الشياطين »(٢) :

هذا . الأولى جواز وقوعه ، لما فيه اللطافة ، والرقة كما أنه يوضح

(١) العمدة جـ١ — ١٩٥ ط الأولى ١٩٢٥

(٢) الصافات ٦٤ — أنظر للعمدة — ٢ — ١٩٥

المعنى وتجليه لأنه كتشبيه المحسوس بالمحسوس ، وفي ذلك من المبالغة ما لا يخفى .

ومن تشبيه المحسوس بالمعقول قول ابن بابك

وأرضٍ كأخلاقِ الكرام قطعتُها
وقد كَحَّلَ الليلُ السِّماكَ فأبصرا(١)

فإن الأخلاق لما كانت توصف بالسعة والضيق ، تشبيها لها بالأماكن الواسعة والضيقة ، تخيل الشاعر أخلاق الكرام شيئاً له سعة ، وجعل أصلا فيها ، فشبه الأرض الواسعة بها

وقول التنوخي في وصف البرد

فانهضْ بنـارٍ إلى فحمٍ كأنهما
في العينِ ظلمٌ وإنصافٌ قد اتفقا

فإنه لما كان يقال في الحق — إنه منير واضح — وفي الظلم خلاف ذلك ؛ تخيلهما الشاعر شيئين لهما إنارة ، وإظلام ، بل جعلهما أصلا في هاتين الصفتين ، فشبه النار . والفحم مجتمعين ، بالظلم ، والإنصاف — أيضاً — مجتمعين(٢)

وقول زكي مبارك يذم جفاة الكريم ، ورجاء اللئيم

---

(١) السماك ، نجم نير ، وضمير أبصر يعود عليه ، ومعنى أبصر ، تجلى وظهر ، وتكحيل الليل له معناه ، أن الليل إذا اشتدت ظلمته إزداد السماك تألقاً ، كأن الليل كحله بسواده .

(٢) الإيضاح جـ ٣ — ٢٠

وَجَنَّ عَلَىَّ الليلُ حتى حَسِبْتُهُ
جفاءَ كريمٍ أو رجاءَ لئيمٍ(١)

فلما كان جفاء الكريم أمرا غير مقبول ، لأن الكريم من طبعه الود ، والحب ، والتسامح والعفو . كذلك رجاء اللئيم ، شأنه أيضا غير مقبول لأن من شيمته الشح ، والظلم . والمكر ، والغدر ، فقد تصورهما الشاعر . شيئين فيهما ظلمة ، بل جعل الظلمة ، أصلا فيهما ، فشبه الليل بهما .

الخيالي والوهمي .

لما كان المراد بالحسي . ما يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة فإن الخيالي ، وهو المركب الذي توجد أجزاؤه في الخارج دون صورته المركبة يدخل فيه

وإنما دخل الخيالي في الحسي حيث لم يشترط كونه مدركا بالحواس الخمس بنفسه ، بل الشرط أن يدرك هو أو تدرك مادته ، ولو لم يدرك بها قط(٢) .

وذلك كقول الصنوبري في وصف الأزهار

وكأنَّ محمرَّ الشقيـ
ـقِ إذا تصوَّبَ أو تصعَّدْ

أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْ
نَ على رماحٍ من زَبَرْجدْ(٣)

---

(١) جن الليل . أظلم

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ — ٣١٤

(٣) محمر الشقيق . من إضافة الصفة للموصوف والمراد الشقيق الحمر ، وهو ورد أحمر في وسطه سواد ، وكثيرا ما ينبت في الأراضي الجبلية .

فقد شبه الشاعر هذا الزهر الأحمر حال تصوبه وتصعده ، بهيئة الأعلام المصنوعة من الياقوت ، والمنشورة على رماح من زبرجد، — وكما ترى — فصورة المشبه به غير موجودة فى الخارج بهذه الهيئة المركبة ، وإن كانت أجزاؤها موجودة وترى بالبصر .

ولما كان المراد بالعقلى : مالا يدرك هو ولا مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة ؛ فإن الوهمى وهو : ما ليس مدركا بشىء من الحواس ، مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها — يدخل فى العقلى(١) .

والفرق بين الوهمى والخيالى : أن الوهمى لا وجود لمادته ولا لنفسه حتى يدرك هو أو مادته بالحواس .

ويتميز الوهمى عن العقلى الصرف بأنه لو وجـــد وأدرك ، لأدرك بالحواس بخلاف العقلى المحض ، فإنه يوجد ويدرك بغير الحواس كالعلم والحياة .

وإنما جعل هذا الوهمى من قبيل العقلى هنا مع أنه لو وجد وأدرك فإنه يدرك بالحواس ، لأنه معدوم ، فصار إدركه إدراك مالا يحس فى الحالة الراهنة ، فألحق بالمعقول الذى لا يحس(٢) .

وذلك كقول أمرىء القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال(٣)

---

(١) الإيضاح ج٣-١٧

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ج٣-٣١٦

(٣) أيقتلنى : استفهام انكارى . أى كيف يقتلنى المشرفى . أى السيف المنسوب إلى مشارف اليمن ، فهو صفة لمحذوف — مضاجعى : ملازمى حال الاضجاع ، والمراد ملازمى مطلقاً ومسنونه : أى محدودة ، ووصفها بالزرقه اشارة إلى أنها مجلوة مصقولة معدة لتناولها واستعمالها .

فقد شبه الشاعر سهامه المسنونة فى حدتها بأنياب الأغوال، والغول فضلا عن أنيابه مما لا يدركه الحس لعدم تحققه فى الخارج، مع أنه لو وجد وأدرك فلن يدرك بغير الحواس الظاهرة .

ومن الوهمى قوله تعالى، فى وصف شجرة الزقوم « أنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم . طلعها كأنه رؤوس الشياطين »(١) .

فقد قال الجاحظ : قال أهل الطعن والخلاف : كيف يجوز أن يضرب المثل بشىء لم نره فنتوهمه ، ولا وصفت لنا صورته ، فى كتاب ناطق، أو خبر صادق ، ومخرج الكلام يدل على التخويف بتلك الصورة ، والتفزيع منها ، وعلى أنه لو كان شىء أبلغ فى الزجر من ذلك لذكره ، فكيف يكون الشأن كذلك ، والناس لا يفزعون إلا من شىء هائل شنيع قد عاينوه، أو صوره لهم واصف صدوق اللسان ، بليغ فى الوصف ، ونحن لم نعاينها . ولا صورها لنا صادق؟

ويجيب الجاحظ : وإن كنا نحن لم نر شيطاناً قط . ولا صور لنا رؤوسها صادق بيده ، ففى إجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان ، حتى صاروا يضعون ذلك فى مكانين : أحدهما أن يقولوا لهو أقبح من الشيطان .

ففى إجماع المسلمين والعرب ، وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على أنه فى الحقيقة أقبح من كل قبيح، والكتاب إنما نزل على هؤلاء الذين قد ثبت فى طبائعهم بغاية التثبيت(٢) .

وهذا ما رآه — أيضاً — أبو عبيده عندما سئل عن سر التشبيه

(١) الصافات ٦٤ ، ٦٥

(٢) الحيوان ح ٦-٢١١-٢١٣ تحقيق عبد السلام هارون . الحلبى

فى الآية الكريمة(١) .

وقال المبرد فى بيان المراد برؤوس الشياطين فى الآية الكريمة :

وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدين فى هذه الآية ، فقال: إنما يمثل الغائب بالحاضر ، ورؤوس الشياطين لم نرها ، فكيف يقع التمثيل بها ؟ ويسخر المبرد منهم : وهؤلاء فى هذا القول كما قال الله جل وعز : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولما يأتهم تأويله(٢) .

ويجيب أبو العباس المبرد : وهذه الآية قد جاء تفسيرها على ضربين :

أحدهما : أن شجراً يقال له الأستن(٣) منكر الصورة يقال لثمره « رؤوس الشياطين ، وهو الذى ذكره النابغة فى قوله :

* تَحِيدُ عَنْ أَسْتَنٍ سُودٍ أَسَافِلُهُ *

وزعم الأصمعى أن هذا الشجر يسمى الصوم .

والقول الآخر — وهو الذى يسبق إلى القلب — أن الله جل ذكره شنع صورة الشياطين فى قلوب العباد ، فكان ذلك أبلغ من المعاينة ، ثم مثل هذه الشجرة بما تنفر منه كل نفس(٤) .

أما ابن رشيق فيقول : قال قوم إن شجرة الزقوم وهى أيضاً الأستن

---

(١) أنظر ص ٣١ ، ٣٢

(٢) يونس ٣٩

(٣) الأستن : بوزن الخردل ـ نقل المرصفى عن أبى حنيفة الدينورى أن الأستن شجر يفشو فى منابته ويكثر إذا نظر إليه الناظر من بعيد شبهه بشخوص الناس ـ هامش الكامل حـ ٣ — ٩٣ تحقيق أبو الفضل إبراهيم .

(٤) الكامل حـ ٣ — ٩٣ ، ٩٤ — تحقيق أبو الفضل إبراهيم .

لها صورة منكرة وثمرة قبيحة يقال لها رؤوس الشياطين . . وقال قوم : الشياطين الحيات فى غير هذا المكان .

والأجود الأعرف أنه شبه بما لا يشك أنه منكر قبيح ، لما جعل الله عز وجل فى قلوب الإنس من بشاعة صور الجن والشياطين ، وإن لم يروها عيانا فخوفنا الله تعالى بما أعد للعقوبة ، وشبهه بما نخاف أن نراه . . وقال أمرؤ القيس :

أيقتلني والمشرفيُّ مُضَاجِعِي ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوالِ

فشبه نصال النبل بأنياب الأغوال لما فى النفس منها(١) .

ويقول الزمخشرى : شبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه فى الكراهية وقبح المنظر ، لأن الشيطان مكروه مستقبح فى طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير ، فيقولون فى القبيح الصورة . كأنه وجه شيطان ، كأنه رأس شيطان ، وإذا صوره المصورون جاءوا بصورته على أقبح مايقدر وأهوله ، كما أنهم اعتقدوا فى الملك أنه خير محض لاشر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة — قال الله تعالى « ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم »(٢) .

وقيل : الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جداً .

وقيل : إن شجراً يقال له « الأستن » خشناً منتناً مراً منكر الصورة يسمى ثمره « رؤوس الشياطين » ، وما سمت العرب هذا الثمر برؤوس الشياطين إلا قصدا إلى أحد التشبيهين(٣) .

---

(١) العمدة جـ ١ — ١٩٥ ، ١٩٦
(٢) يوسف ٣١
(٣) الكشاف حـ ٣ — ٣٤٢ ط ١٩٧٢

ويقول القرطبي «قيل يعني الشياطين بأعيانهم شبهها برؤوسهم لقبحهم، ورؤوس الشياطين متصور في النفوس وإن كان غير مرئي ومن ذلك قولهم لكل قبيح هو كصورة الشيطان ولكل صورة حسنة هو كصورة ملك .» ثم ذكر ماقيل من آراء أخرى : من أنها حيات أو نوع من النبات(١) .

ولعلك بعد هذا الفيض من آراء العلماء في توجيه معنى الآية الكريمة، تجد أن الرأي الذي يميلون إليه ، وتطمئن إليه صدورهم ، هو أن الشيطان في الآية الكريمة هم المردة من الجن ، المفسدون في الأرض ، المعروفون في أذهاننا .

وعلى ذلك فإن المشبه به في الآية «رؤوس الشياطين» يكون من قبيل العقلي .

أما على من رأى أن المقصود «بالشيطان» في الآية نوع من الحيات، أو النبات فيكون المشبه به من قبيل الحسي .

وكما ترى - الرأي الأول أولى بالقبول لما سبق من الأدلة والبراهين .

هذا . ويدخل في العقلي - أيضاً مايدرك بالوجدان أي الحواس الباطنة، كاللذة والألم ، والجوع والشبع ، والحزن والفرح ، والري والعطش .

ومن ذلك قول زكي مبارك :

حزنٌ يقطعُ في الحشا فكأنه غدرُ الصديق

فإن غدر الصديق، لما كان شأنه خطير، وضرره جسيم ، ويؤثر في النفس أيما تأثير ، لأن الصديق هو الأمل المرتجى عندما يشتد الخطب ، ويعظم الأمر ، ساغ حينئذ تشبيه الحزن الشديد به .

---

(١) أنظر تفسير القرطبي ط الشعب ٥٥٣٠ وما بعدها .

والحزن — كما ترى — من الأمور الوجدانية التى لا يدركها الحس الظاهر ، وإنما مناط إدراكها القوى الباطنية .

يقول ابن يعقوب المغربى : « وهذه الأمور الوجدانية سميت عقلية لخفائها وعدم إدراكها بالحواس الظاهرة ، كالطعم المدرك بالذوق واللون المدرك بالعين »(١) .

وواضح أن التشبيه فى البيت من قبيل تشبيه العقلى بالعقلى .

---

(١) مواهب الفتاح : ضمن شروح التلخيص جـ ٣ — ٣١٩ .

الافراد والتركيب

لما كان طرفا التشبيه ، المشبه والمشبه به ، قد يأتيان مفردين كما قد يأتيان مركبين ، وقد يأتى أحدهما مفردا والآخر مركبا ، فإن التشبيه ينقسم باعتبار الطرفين وتركيبهما إلى أربعة أقسام :

١ — الطرفان مفردان :

قد يكون الطرفان مفردين — غير مقيدين — بوصف أو إضافة أو حال أو ظرف أو نحو ذلك كقوله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن »(١).

وقد اختار القرآن كلمة « لباس » فى الآية الكريمة ، لما توحى به تلك الكلمة من شدة الإحتياج ، كاحتياج المرء للباس ، يكون مصدر راحة وعنوان زينة معاً(٢).

ووجه الشبه هو الملاصقة والإشتمال لأن كلا من الزوجين يلاصق صاحبه ويشتمل عليه ، كما يلاصق اللباس صاحبه ويشتمل عليه ، وقيل هو الصيانة والحفظ والستر ، لأن كلا من الزوجين يستر صاحبه عما يستكره من الفواحش ، كما يستر الثوب العودة .

هذا ولا يقال إن « لهن » ولكم » وصف اللباس فيكون المشبه به مقيداً ، لأنا نقول : إنه وإن كان وصفاً لكن لادخل له فى وجه الشبه ، لأنه اعتبر فى الوجه والإشتمال ، أو الستر عما يكره ، ولا شك أن اللباس

---

(١) البقرة ١٨٧

(٢) من بلاغة القرآن ٢٠٢

فى حد ذاته ، يوصف بكونه يشتمل به . ويستتر به من غير توقف على كونه للرجال ، ولا على كونه للنساء ،وحينئذ فإفادة المجرور «لكم،ولهن» من كون اللباس للنساء أو للرجال ، لا يتوقف عليه الوجه ، ومالا يتوقف عليه الوجه لا يعد من التقييد ، فلهـــذا قيل إنه من تشبيه المفرد بالمفرد بلا تقييد(١).

وقوله سبحانه : «وجعلنا الليل لباسا»(٢) أى ساترا بسواده ، فالمشبه «الليل» والمشبه به «اللباس» وهما مفردان غير مقيدين — كما ترى —

قال الزمخشرى فى بيان وجه الشبه فى الآية الكريمة «لباسا» يستركم عن العيون إذا أردتم هربا من عدو ، أو بياتاله ، أو إخفاء مالا تحبون الإطلاع عليه من كثير من الأمور(٣) .

وقد يكون الطرفان مفردين مقيدين : كقولهم : «الساعى الذى لم يحصل من سعيه على طائل كالراقم على الماء»(٤) .

فالمشبه «الساعى المقيد بأن سعيه لم يكلل بالنجاح» والمشبه به الراقم المقيد بكون رقه على الماء ، ووجه الشبه استواء وجود الفعل وعدمه فى عدم الفائده .

ولا شك أن هذا الوجه لا يستقل بأخذه مجرد معنى الراقم بدون نسبة رقه إلى كونه على المـاء ، وكذا لا يمكن أخذه من مجرد الساعى مالم يعتبر

---

(١) حاشيه الدسوقى . ضمن شروح التلخيص حـ٣ — ٤١٨ ، ٤١٩

(٢) النبأ : ١٠

(٣) الـكشاف حـ٤ — ٢٠٧

(٤) الرقم : الـكتابه قال تعالى كتاب مرقوم ، المطففين ٩

بكونه لا يحصل من سعيه على طائل فعدم حصوله على طائل من سعيه قيد فيـــه(١) .

وقولهم : « التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر » فليس المراد تشبيه مطلق تعليم ، بمطلق نقش ، بل المراد تشبيه التعليم مقيداً بكونه فى الصغر ، بالنقش مقيداً بكونه على الحجر ، ووجه الشبه — كما ترى — وجود الأثر وحصول النفع . وقول ابن الرومى :

إنّي وتَزْيِيني بِمدحِيَ مَعْشَراً كمعلّقٍ دُرّاً على خِنْزِيرِ

فالشاعر يشبه نفسه مقيداً بمدحه من لا يستحقون المدح ، بشخص مقيد بتعليقه الدر على الخنزير ، ووجه الشبه : هيئة من يضع الشيء فى غير موضعه فلا يكون له أثر.

يقول الإمام عبد القاهر : ألا ترى أن المعنى على أن مافعله فى التزيين بالمدح كفعل الآخر فى محاولة تزيين الخنزير بتعليق الدر عليه ، ووجه الجمع أن كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر، لأن الشيء غير قابل للتحسين ، ومتى كان المشبه به « كمعلق » فى البيت فلا شك أن التشبيه لا يرجع إلى ذات الشيء بل إلى المعنى المشتق منه الصفة .

ويرى الإمام ، أيضاً — أن الواو فى قول الشاعر « إنى وتزيينى » للمعية لا للعطف ، حتى يحسن المعنى ويستقيم ، وحتى تروق له النفس وتطمئن يقول عبد القاهر : [ولابد للواو فى هذا النحو أن تكون بمعنى مع ، وأمرها فيه أبين ، إذ لا يمكن أن يقال إنى كذا ، وإن تزيينى كذا ، لأنه ليس معنا شيئان يكون أحدهما خبرا عن ضميراً المتكلم فى [إنى] الذى هو المعطوف عليـــه ، والآخر عن تزيينى المعطوف(٢) ،

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ح ٣ ص ٤٩٠
(٢) أسرار البلاغة ٢٢٨

وكما رأيت — فإن للقيدين مدخلا فى تحقيق المراد من التشبيه ، لا يتم بدونهما .

وقد يكون المشبه مفرداً غير مقيد، والمشبه به مفرداً مقيداً كقوله تعالى فى وصف الكافرين (فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفره فرت من قسورة)(١) فالمشبه الضمير العائد على الكافرين ، والمشبه به الحمر المقيدة بكونها مستنفرة ، فرت من قسورة .

أنظر إلى أثر القيد فى جمال التشبيه القرآنى : فربما بدا أنه يكفى فى تصوير أعراضهم . وصفهم بأنهم كالحمير ، ولكن القرآن فى دقته لا يكتفى بذلك، فهو يريد أن يصور نفرتهم من الدعوة، وإسراعهم فى ابعاد أنفسهم عنها إسراعا يمضون فيه على غير هدى فوصف الحمر بأنها مستنفره تحمل نفسها على الهرب وتحثها عليه ، يزيد فى هربها وفرارها أسد هصور يجرى خلفها ، فهى تتفرق فى كل مكان، وتجرى غير مهتدية فى جريها ، أو لا ترى فى صورة هذه الحمر ، وهى تجرى فى هربها لا تلوى على شىء ، تبغى الفرار من أسد يجرى وراءها ، ماينقل إليك صورة هؤلاء القوم معرضين عن التذكره ، فارين أمام الدعوة لايلوون على شىء ، سائرين على غير هدى ثم ألا تلبث فيك هذه الصورة الهزء بهم والسخرية منهم .

ومن ذلك وصف الخشب بأنها مسنده فى قوله تعالى : (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم : وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسنده(٢) فهى ليست خشبا قائمة فى أشجارها لما قد يكون لها من جمال فى ذلك الوضع ، وليست موضوعة فى جدار لأنها حينئذ تؤدى عملا ، وتشعر بمدى فائدتها ، وليست متخذا منها أبواب ونوافذ ، لما فيها من الحسن والزخرف والجمال . ولكنها خشب مسنده قد خلت من الجمال ، وتوحى بالغفلة والإستسلام

(١) المدثر ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ — القسورة : الأسد

(٢) المنافقون ٤

والبلاغة ولم يكتف القرآن فى تشبيه الجبال يوم القيامة بالعهن ، بل وصفه بالمنفوش إذ قال: وتكون الجبال كالعهن المنفوش ،(١) للدقة فى تصوير هشاشة الجبال .

كما لم يكتف فى تشبيه الناس يخرجون يوم القيامة بأنهم كالجراد بل وصفه بالمنتشر فقال : يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر(٢) ، حتى يكون دقيقاً فى تصوير هذه الجموع الحاشدة ، خارجة من أجداثها ، منتشرة فى كل مكان تملأ الأفق ، ولا يتم هذا التصوير إلا بهذا الوصف الكاشف(٣) .

ومن ذلك — أيضاً — قول الشاعر :

والشمسُ كالمرآةِ فى كَفِّ الأَشَلّْ
لما رأيتُها بَدَتْ فوقَ الجبلْ(٤)

لقد تحلى الشاعر بالدقة فى التصوير ، والمهارة فى التخييل ، فجاءنا بهذه الصورة الرائعة من التشبيه :

فالشاعر فى تشبيه الشمس بالمرآة بقيد كونها فى يدر عشاء قد كسا التشبيه حلة زاهية ، وزاده جمالا ورواء ، فقد جعل الأوصاف كالأشكال والألوان مقترنة بحركة الشمس ، فغدا التشبيه صورة رائعة تنبض بالحياة

يقول عبد القاهر : أراد أن يريك مع الشكل الذى هو الإستدارة

---

(١) القارعة ٥
(٢) القمر ٧
(٣) من بلاغة القرآن ١٩٩ — ٢٠٠
(٤) الأشل : المرتعش اليد — والشلل فى الأصل : تعطل فى حركة العضو أو وظيفته .

ومع الإشراق والتلألؤ على الجملة، الحركة التي تراها للشمس إذا أنعمت التأمل، ثم ما يحصل في نورها من أجل تلك الحركة، وذلك أن للشمس حركة متصلة دائمة في غاية السرعة، ولنورها بسبب تلك الحركة تموج واضطراب عجيب، ولا يتحصل هذا الشبه إلا أن تكون المرآة في يد الأشل، لأن حركته تدور(١) وتتصل ويكون فيها سرعة، وقلق شديد حتى ترى المرآة لا تقر في العين، وبدوام الحركة وشدة القلق فيها يتموج نور المرآة ويقع الإضطراب الذي كأنه يسحر الطرف، وتلك حال الشمس بعينها حين تحد النظر، وتنفذ البصر حتى تتبين الحركة العجيبة في جرمها وضوئها، فإنك ترى شعاعها كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها ثم يبدو له فيرجع من الإنبساط الذي بدأه إلى انقباض كأنه يجمعه من جوانب الدائرة إلى الوسط، وحقيقة حالها في ذلك مما لا يكمل البصر لتقريره وتصويره في النفس، فضلا عن أن تكمل العبارة لتأديته. ويبلغ البيان كنه صورته(٢).

— وكما رأيت — فإن وجه الشبه في البيت هو «الهيئة الحاصلة من الاستدارة والحركة السريعة المتصلة مع تموج الإشراق».

وقد يكون المشبه مفرداً مقيداً، والمشبه به مفرداً غير مقيد، كعكس المثال السابق، بأن تشبه المرآة في كف الأشل بالشمس:

وكقول الشاعر:

---

(١) يرى الشيخ أحمد مصطفى المراغي أن الصواب «تدوم» أنظر هامش أسرار البلاغة ٢٠٧ بتعليق الشيخ المراغي.

(٢) أسرار البلاغة ٢٠٧، ٢٠٨.

كَأَنَّ فِجَاجَ الأَرْضِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ
عَلَى الخَائِفِ المَطْلُوبِ كِفَّةُ حَابِلِ(١)
يُؤَدَّى إِلَيْهِ أَنَّ كُلَّ ثَنِيَّةٍ تَيَمَّمَهَا تَرْمِي إِلَيْهِ بِقَاتِلِ(٢)

فالشاعر يشبه فجاج الأرض حال كونها واسعة على شخص يتوجس خيفة ، بكفة حابل ، — وكما ترى — المشبه مفرد مقيد ، والمشبه به مفرد مطلق ، هذا ، وينبغي أن تلاحظ أن القيد المعتبر في التشبيه ماله دخل في وجه الشبه لا يتحقق بدونه ، — كما رأيت في الأمثلة السابقة —

ومن ثم فإذا قلت : « محمد الكريم كالأسد في الشجاعة » كان قولك من قبيل تشبية المفرد المطلق بمفرد كذلك مطلق، لأن وصف المشبه « بالكرم » لا يعبأ به إذ لا دخل له في وجه الشبه « الشجاعة » .

٢ — الطرفان مركبان :

وقد يكون الطرفان مركبين كقوله تعالى يصف حال المنافقين وما هم فيه من حيرة واضطراب « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء(٣) فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين »(٤).

---

(١) الفجاج : جمع فج : وهو الطريق الواسع بين الجبلين ، والكفة بكسر الكاف : حبالة الصائد « الشبكة » ، والحابل : الصائد بالحبالة — المعجم الوسيط .

(٢) يؤدى إليه : أى يجىء إليه فى وهمه انظر الكامل للمبرد ج٢ — ١٣١

(٣) الصيب : المطر ، والمراد أصحاب صيب ، أو ذوى صيب فالكلام على حذف مضاف

(٤) البقرة : ١٧ ، ١٨ ، ١٩

هذا التشبيه الرائع من مميزات التشبيه القرآنى الذى يملك القلوب ، فإن المشبه قد يكون واحداً، ويشبه بأمرين أو أكثر لحالصلة تربط بين هذا الأمر وما يشبهه، تثبيتا للفكرة فى النفس ،أو لمحا لها من عدة زوايا.

فقد صور القرآن الكريم حيرة المنافقين ، واضطراب أمرهم ، وهذه الحيرة يشتد تصورها لدى النفس، إذا هى استحضرت صورة هذا السارى قد أوقد ناراً تضىء طريقه ، فعرف أين يمشى، ثم لم يلبث أن ذهب النور ، وشمل المكان ظلام دامس ،لايدرى السائر فيه أين يضع قدمه ، ولا كيف يأخذ سبيله ، فهو يتخبط ولا يمشى خطوة حتى يرتد خطوات .

أو إذا استحضرت صورة هذا السائر تحت صيب من المطر، قد صحبه ظلمات ورعد وبرق ، أما الرعد فتناه فى الشدة إلى درجة أنه يود اتقاءه بوضع أصابعه إذا استطاع فى أذنه ، وأما البرق فيكاد يخطف البصر ، وأما الظلمات المتراكمة فتحول بين السائر ، وبين الإهتداء إلى سواء السبيل(١) .

وفى الآيات الكريمة شبه حال المنافقين ، وقد أبصروا أمامهم بأعينهم نور الإيمان ، وشهدوا بأنفسهم دلائله وشواهده ، وهم مع ذلك مصرون على عقيدتهم الباطلة ، بحال قوم أوقدوا حولهم ناراً تبينوا على ضوئها ما أحاط بهم من معالم الأشياء ثم ، ما لبثت أن أطفئت ، فوقعوا يتخبطون فى ظلام دامس وليل حالك . أو بحال قوم دهمهم مطر غزير فى ليلة ليلاء فيها رعد وبرق وصواعق حتى امتلكهم الخوف فوضعوا أصابعهم فى آذانهم حذر الموت .

ووجه الشبه : وجود هداية قصيرة الأمد تلاها ظلام الحيرة والندم.

---

(١) من بلاغة القرآن ٢٠٢

— وكما ترى — فإن كلا من الطرفين هيئة منتزعة من متعدد تضامت وتلاصقت حتى صارت كالشيء الواحد بحيث لو حذف منها شيء، أو تفرقت لاختل جمال التشبيه .

وهذا القسم — ما كان طرفاه مركبين — نوعان :

أحدهما : مالا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر كقول القاضي التنوخي :

كأنما المريخُ والمشترِى قُدّامُهُ فِي شَامِخ الرِّفْعه

منصرفٌ بالليلِ عن دعوةٍ قد أُسْرِجَتْ قُدّامَهُ شَمْعَهْ(١)

فالمشبه : هيئة المريخ والمشترى أمامه يتألق .

والمشبه به : هيئة إنسان منصرف بالليل عن دعوة تتقدمه شمعة مسرجة والتشبيه — كما ترى — مركب الطرفين ، فإذا جزىء فألحق أحد أجزاء الطرف الأول بما يقابله من الطرف الآخر ، فقيل المريخ كمنصرف بالليل عن دعوة لكان سخفا من القول .

يقول الإمام عبد القاهر : لو قلت كأن المريخ منصرف بالليل عن دعوة، وتركت حديث المشترى والشمعة كان خلفا من القول(٢) .

---

(١) المريخ : أحد كواكب المجموعة الشمسية ، يقول القدماء إنه فى السماء الخامسة — المعجم الوسيط، والمشترى : أكبر الكواكب السيارة قدامة ، أسرجت : أضيئت .

(٢) الخلف - بفتح الخاء : الردىء من القول .

وذلك أن التشبيه لم يكن للمريخ من حيث هو نفسه ، ولكن من حيث الحالة الحاصلة له من كون المشترى أمامه وأنت وأن كنت تقول للمشترى شمعه على التشبيه العامى الساذج فى قولهم كأن النجوم مصابيح وشموع ، فإنه لم يضع التشبيه على هذا وإنما قصد الهيئة التى يكتسبها المريخ من كون المشترى أمامه(١) .

والثانى : ما يصح تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر كقول أبى طالب الرقى .

وكأنَّ أجرامَ النجومِ لوامعًا ... دُرَرٌ نُثِرْنَ على بِساطٍ أزرقَ(٢)

فإن مقابل النجوم من الطرف الآخر هو الدرر ، ومقابل السماء المفهومة من ذكر النجوم بساط أزرق ، وذلك ظاهر ، ويصح التشبيه فى كل منهما على الانفراد بأن يقال النجوم كالدرر ، والسماء كبسط أزرق . ولكن يفوت الحسن الذى اقتضاه التركيب المقصود للشاعر ، فإن إلحاق هيئة ظهور النجوم على السماء الزرقاء بهيئة الدرر على البساط الأزرق أحسن وأرق من إلحاق النجوم المجردة بالدرر ، والسماء بالبساط على انفراد كل بصاحبه عند قصد تعدد التشبيه ، والذوق السليم شاهد بذلك(٣) .

يقول الإمام عبدالقاهر : فأنت وإن كنت إذا قلت كأن النجوم درر ، وكأن السماء بساط أزرق وجدت التشبيه مقبولا معتادا مع التفريق ، فإنك تعلم بعد ما بين الحالتين ، ومقدار الإحسان الذى يذهب من البين .

---

(١) أسرار البلاغة ٢٢٥

(٢) يريد الشاعر : لوامعا فى السماء

(٣) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ج ٣ — ٤٢٠ — ٤٢١

وذلك أن المقصود من التشبيه أن يريك الهيئة تملأ النواظر عجبا ، وتستوقف العيون . وتستنطق القلوب بذكر الله تعالى : من طلوع النجوم مؤتلفه مفترقة فى أديم السماء وهى زرقاء زرقتها الصافية التى تخدع العين ، والنجوم تتلألأ وتبرق فى أثناء تلك الزرقة ، ومن لك بهذه الصورة إذا فرقت التشبيه . وأزلت عنه الجمع والتركيب ؟ وهذا أظهر من أن يخفى(١) .

وقول بشار بن برد :

كأن مُثارَ النقعِ فوقَ رُؤُوسِنا
وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كواكبُه(٢)

فالمشبه مركب من النقع مثارا فوق الرؤوس ، ومن السيوف المتلاحمة اللامعة فى أثنائه ، والمشبه به مركب من الليل ، ومن الكواكب المتهاوية فى مواقع مختلفة .

ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار فى جوانب شىء مظلم .

وبالتأمل تجد لبيت بشار من الفضل ، ومن كرم الموقع ، ولطف التأثير فى النفس مالا يقل مقداره ، ولا يمكن إنكاره . وذلك أن جعل الكواكب تهاوى فأتم التشبيه ، وعبر عن هيئة السيوف ، وقد سلت من الأغماد وهى تعلو وترسب وتجىء وتذهب .

وتلك الهيئة لا تقوم فى النفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة وذلك أن تعلم أن لها فى حال احتدام الحرب ، واختلاف الأيدى بها فى الضرب إضطرابا شديدا ، وحركات بسرعة ، ثم إن لتلك الحركات جهات

---

(١) أسرار البلاغة ٢٢١ ، ٢٢٢

(٢) مثار : اسم مفعول من أثاره بمعنى هيجه وأظهره . والنقع : الغبار ، تهاوى بمعنى تتساقط . والواو فى قوله ، وأسيافنا بمعنى « مع » .

مختلفة ، وأحوالا تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة ، والارتفاع والانخفاض . ولن السيوف باختلاف هذه الأمور تتلاقى وتتداخل وبقمع بعضها فى بعض ، ويصدم بعضها بعضا ، ثم إن أشكال السيوف مستطيلة ، فقد نظم هذه الدقائق كلها فى نفسه ثم أحضرك صورها بلفظة واحدة ، ونبه عليها بأحسن التنبيه وأكمله بكلمة وعى قوله « تهاوى » لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها وكان لها فى تهاويها: تواقع وتداخل ، ثم إنها بالتهاوى تستطيل أشكالها ، فأما إذا لم تزل عن أماكنها فهى على صورة الاستدارة(١) .

— وكما ترى — فإن الشاعر لم يرد تشبيه مثار النقع بالليل ، فإنه غير طائل ، ولا تشبيه السيوف بالكواكب فإنه غير طائل « أيضا » بل قصد تشبيه الهيئة الحاصلة من اجتماعهما على هذه الصورة بالهيئة الحاصله من الليل والكواكب المتهاوية(٢) .

يقول ابن يعقوب المغربى : إنما قلنا إن « أسيافنا » منصوب على المعية ولم نجعله منصوبا بكأن لئلا يتوهم أنهما تشبيهان مستقلان ، إذ يتوهم حينئذ التغاير ، وأن المعنى كأن مثار النقع ليل ، وكأن أسيافنا نجومة ، وهذا لا يصح الحمل عليه لأنه تفوت معه الدقة التركيبية المرعية للشاعر فى وجه الشبه(٣) .

وبهذه الصورة المشرقة فى التشبيه وما تحلى به من دقة المعنى وبديع التخييل سما بشار « كفيف البصر » سموا كبيرا ، وارتفع شأوا بعيدا مما جعله يزهو بهذا التشبيه الرائع ، وذلك التصوير البديع .

(١) أسرار البلاغة ٢٠١

(٢) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ج٣ — ٤٢١

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ج ٣ — ٣٦١

فقد حكى عن بشار أنه قال : ما قربى القرار مذ سمعت قول امرىء القيس .

كأن قلوبَ الطيرِ رَطْباً ويابساً
لدى وَكْرِها العنابُ والحشفُ البالي

حتى صنعت :

كأن مثارًا لنقع فوقَ رؤوسنا
وأسيافنَا ليلٌ تهاوَى كواكبُه(١)

٣ — المشبه مفرد ، والمشبه به مركب .

وقد يكون المشبه مفردا ، والمشبه به مركبا كقول الخنساء ترثى أخاها صخرا :

وإن صخرًا لوالينا وسيدُنا وإن صخرًا إذا نَشْتو لنحارُ
وإن صخرًا لتأتمُّ الهداةَ به كأنه علمٌ فى رأســه نارُ(٢)

---

(١) العمدة ج ١٩٧ ، ١٩٧

قد روى البيت بروايتين : « فوق رؤوسنا » و« فوق رؤوسهم » ، وقيل إن رواية « فوق رؤوسهم » أولى ، لأن السيوف إنما تتساقط وتنزل على رؤوسهم فهى مع الغبار فوق رؤوسهم ، لا على رؤوس أصحاب السيوف .

والمناسب لرواية رؤوسنا ، لأن السيوف فيما بين الصعود والنزول هى من رؤوس أصحابها إلى رؤوس الأعــداء فالرؤوس من الفريقين مشتركة فى فوقيه السيوف ، كما أن ضمير « نا » يدل على المشاركة فرواية رؤوسنا التى هى المشهورة أولى . أنظر مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ج ٣ — ٣٦١

(٢) الكامل ج ٤ — ٤٧ علم : جبل مرتفع تأتم : تقتدى — الهداه : الذين يهدون الناس إلى المعالى .

إن الخنساء لم ترض أن تشبه أخاها بالعلم الذي يأتم الهداة به حتى جعلت في رأسه نارا ، ولاشك أن في إلحاقه بالجبل المرتفع الذي هو أظهر المحسوسات في الاهتداء به مبالغة في ظهوره في الاهتداء ، ثم زادت المبالغة بوصف العلم بقولها في رأسه نار .

والمشبه — كأنه — مفرد وهو الضمير العائد على صخر ، والمشبه به مركب من علم ، ومن نار على رأسه .

٤ — المشبه مركب والمشبه به مفرد .

وقد يكون المشبه مركبا والمشبه به مفردا كقول أبي تمام .

يَا صَاحِبَيَّ تَقَصَّيَا نَظَرَيْكُمَا   تَرَيَا وُجوهَ الأرضِ كيفَ تَصَوَّرُ

تَرَيَا نَهاراً مُشْمِسًا قَدْ شَابَهُ   زَهْرُ الرُّبَا فَكَأنَّمَا هُوَ مُقْمِرُ(١)

لاشك أن عين أبي تمام عين شاعره ، وأنها تستهويها محاسن الطبيعة وجمال الربيع ، وأن قيثارته عذبة ورقراقة في كثير من أغانية الحلوة الجميلة .

ينادي أبو تمام : يا صاحبي تقصيا ، ومعروف أن النداء حين يقع بين يدي الأمر والنهي ، إنما يكون لأمر يهتم به المتكلم ويحرص عليه فيوقظ المخاطب ويهيئه له قبل أن يلقيه عليه .

أنظر إلى أبي تمام حيث رفع صوته ممتدا مع هذه الياء وما تبعها من مد في صاحبي ، وكيف أثارهما بهذا الصوت الطويل يا صاحبي .

---

(١) تقصى الشيء : بلغ أقصاه — تصور : أصله : تتصور بمعنى تتشكل — النهار المشمس : الذي لاغيم فيه — شابه : خالطه — الربا جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض ، مقمر : صفة لمحذوف والتقدير : ليل مقمر .

ثم أنظر إلى قوله «تقصيا نظريكا» ، ولم يقل انظرا لأنه لا يريد النظر فحسب وإنما يريد الأبعاد فيه لأن الرؤية التى رآها . والحسن الذى أحسه إنما هو فى هذا الامتداد المعجز لوجود الأرض ، وما فيها من تصاوير خيالية فاتنة ، فكلما أمعنوا فى مرى النظر بأن لهم هذا الطيف من الجمال الخالد الذى أحسه الشاعر يحوم حول هذه البقاع المصورة أحسن تصوير .

وأنظر إلى قوله «فكأنما هو مقمر» ، وكيف استطاع بهذه الكلمة الموجزة أن يريك وجوه الأرض التى كستها الخضرة الصادقة . والتى تصف نباتا سليما كامل السلامة ، وكيف امتزجت بخيوط الشمس الفضية اللامعة ، وكيف تداخلت هذه الخضرة الضاربة إلى السواد ، وهى لا تكون كما قلنا إلا فى الأرض المزعة الخصبة ، وفى النبات المعافى ، فصار من هذا التشابك الحالم بين الشعاع المتوهج وبين الخضرة التى تكاد تنطق بالحياة والنضارة ، هذه الغلالة الجميلة التى كأنها نسجت من خيوط ضباب وضوء ، وألقيت على الدنيا فصارت كأنها ليل مقمر .

كلمة مقمر ، طوت وراءها هذا المشهد الجليل ، لأن ما سبقها من ذكر النهار المشمس وزهر الربا ، وأنه شابه أى خالطه ، لم يبلغ بالمشهد مبلغ التمازج الذى ذابت فيه هذه العناصر — النهار المشمس ، زهر الربا — وتلاشت أصولها ، وصارت إلى شىء آخر تصفه كلمة مقمر ، هذه الكلمة التى كأنها نافذة دقيقة أطلت منها العين على هذا المشهد الجديد .

المشبه هنا مركب ، والمشبه به مفرد ، وهذا من دقيق التشبيه ونادره لأن التشبيه كشف وتحليل للشبه ، ولذلك ترى المشبه مفردا والمشبه به مركبا فى كثير من كلامهم ، لأن المشبه به يورد تفاصيل وأحوالا فى المشبه يصير بها مركبا ، ولكن التشبيه فى هذه الأبيات جاء على عكس هذا فكان المشبه به تركيزا غريبا لأحوال المشبه المركب وإبانة عن

خصائصه المقصودة فى وقاء نادر(١) .

— وكما ترى — فالمشبه فى قول أبى تمام مركب من نهار أشرقت شمسه ومن زهر نابت فى الربا ، والمشبه به مفرد مقيد بصفة وهو الليل المقمر ووجه الشبه : هيئة اختلاط شىء أسود بشىء أبيض مشرق .

هذا . والفرق بين المقيد من الطرفين والمركب منهما : أن المركب هيئة منتزعة من متعدد اثنان فأكثر كالأعلام الياقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية ، والمفرد المقيد ما كان مقيداً بقيد كالرام المقيد بكون رقه على الماء ، والمرآة بقيد كونها فى كف الأشل .

فنى المركب يكون المقصود بالذات الهيئة والأجزاء المنتزع منها تبع التوصل بها إليها . بخلاف المقيد فإن أحد الأجزاء مقصود بالذات والباقى تبع .

ومن ثم فإن تمييز كون هذا المشبه من قبيل المفرد المقيد ، أومن قبيل المركب يحتاج لتأمل ، ولا حاكم فى تمييز أحدهما عن الآخر عند الالتباس سوى ذكاء الطبع وصفاء القريحة .

والحاصل أن التفرقة بينهما لا تكون باعتبار التركيب اللفظى لاستوائه فيهما غالباً ، وإنما تكون باعتبار قصد المتكلم .

والحامل على أحد القصدين وجود الحسن فيه دون الآخر ، والحاكم فيه الذوق السليم ، وصفاء القريحة .

وهذه التفرقة باعتبار المتكلم ، وأما السامع فيفرق بينهما باعتبار القرائن الدالة على أن للمتكلم قصد الهيئة ، أو قصد جزءاً مرتبطاً بغيره(٢) .

---

(١) أنظر التصوير البيانى د/ محمد أبو موسى ٥٤—٥٦

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص حـ٣—٤٢٢

تعدد الطرفين أو أحدهما

ينقسم التشبيه باعتبار تعدد الطرفين أو أحدهما إلى أربعة أقسام(١) هي : الملفوف ، والمفروق ، والتسوية ، والجمع ، وإليك بيانها :

١ — التشبيه الملفوف :

وهو أن يتعدد طرفاه ، ويجمع كل طرف مع مثله ، بأن يؤتى بالمشبهات أولا ، ثم المشبهات بها ثانياً ، كقول امرىء القيس يصف عقابا بكثرة صيد الطيور(٢) .

كأن قلوبَ الطيرِ رَطْباً ويابساً لدى وَكْرِها العنابُ والحشفُ البالى(٣)

---

(١) اعترض الشيخ الدسوقى فى حاشيته على هذا التقسيم، لأنه لا يناسب التقسيمات الأخرى ، لأنها كانت تقسيمات لتشبيه واحد، وهذا تقسيم للتشبيهات المتعددة ، إذ لا يتعدد طرفا تشبيه واحد ، كما يرى أن هذه الأمور المنقسم إليها التشبيه وهى اللف والتفريق والجمع والتسوية ، الأقرب فيها أن تكون من البديع لأنها من أفراد اللف والنشر الذى هو من الصنائع البديعية ، وكأن وجه التعرض لها وسياقها فى التشبيه تكميل لأقسامه . انظر المرجع السابق جـ٣ — ٤٢٦ .

(٢) العقاب : طائر قوى المخالب ، له منقار قصير ، حاد البصر . وفى المثل : أبصر من عقاب لفظه مؤنث للذكر والأنثى والجمع أعقب وعقبان — المعجم الوسيط .

(٣) الوكر : عش الطائر ، والعناب : شجر حبه كحب الزيتون أحمر حلو لذيذ الطعم .

والحشف : التمر الردىء ، وهو الذى يجف ويصلب قبل نضجه .

وموقع قوله ، رطبا ويابسا ، حالان من القلوب ، والعامل فيهما كأن لتضمنها معنى التشبيه ، ولم يؤنث الحالان لكون الضمير فيهما راجع للقلوب باعتبار البعض أى حالة كون بعضها رطبا وبعضها يابسا .

فقد شبه أسرق القيس الرطب من قلوب الطير بالعناب في الشكل والمقدار واللون ، كما شبه اليابس منها بالحشف البالي في الشكل والمقدار واللون أيضاً فالمشبه في البيت متعدد من الرطب واليابس من قلوب الطير ، والمشبه به متعدد من العناب والحشف البالي ، وجمع بين المشبهين في الشطر الأول بالعطف ، كما جمع بين المشبهين بهما في الشطر الثاني بطريق العطف كذلك .

وسمي ملفوفا لأنه مأخوذ من اللف ، أي الضم ، وقد لف المشبهان أي ضم بعضها إلى بعض كما لف المشبهان بهما أيضاً .

وإنما جعل التشبيه في البيت من قبيل تشبيه المفرد المتعدد ولم يجعل من تشبيه المركب بالمركب ، لأنه ليس لانضمام الرطب من القلوب إلى اليابس منها هيئة يقصد ذكرها ، ولا لاجتماع العناب مع الحشف البالي هيئة حتى يكون من تشبيه المركب ، ولذا لو فرق التشبيه وقيل : كأن الرطب من القلوب عناب ، وكأن اليابس منها حشف ، لم يكن أحد التشبيهين موقوفا في الفائدة على الآخر ، فالتشبيه على هذا الوجه إنما يستحق الفضيلة من حيث الاختصار فقط بحذف أداة التشبيه من أحد التشبيهين(١) .

ويقرر الإمام عبد القاهر هذا الحكم معللا بأنه لا فائدة لأن ترى العناب مع الحشف أكثر من كونهما في مكان واحد ، ولو أن اليابسة من القلوب كانت مجموعة ناحية ، والرطبة كذلك في ناحية أخرى لكان التشبيه بحاله .

ولذلك لو فرقت التشبيه هنا فقلت كأن الرطب من القلوب عناب ، وكان اليابس حشف بال ، لم تر أحد التشبيهين موقوفا في الفائدة على الآخر ، وليس كذلك الحكم في المركبات التي تقدمت . وإنما يستحق الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه ، لا لأن للجمع فائدة في عين التشبيه(٢) .

---

(١) أنظر حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص جـ٣ — ٣٤٨

(٢) أسرار البلاغة ٢٢١ ، ٢٢٢

٢ — التشبيه المفروق :

هو ان يتعدد طرفاه ، ويجمع كل طرف مع صاحبه بأن يؤتى بمشبه ومشبه به وهكذا كقوله عليه الصلاة والسلام .

العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل دليله والعمل قيمه ، واللين أخوه ، والرفق والده ، والصبر أمير جنوده .

هذه الملكات والصفات والقوى النفسية أمور معنوية ، يريد عليه الصلاة والسلام أن يؤكد وظائفها ، ويقرر مزاياها في حياة الإنسان ، فيشخصها تشخيصا يعطيها الحياة والحس والارادة ، فلا تدرك من بعد إدراك المعقول المجرد على نوع من الخفاء والقصر وإنما تدرك من قرب إدراك الحس المشاهد المحدد العمل ، سواء أدركت أفرادا أو مجتمعة فى نظام مملكة مدبرة ، وجميع التشبيهات المتلاحقه المسماة بالمفروق ، قد ذكرت دون الأداة زيادة فى تأكيد مدلولها ، وحملا على تصور الطرفين فى كل منها .

أما الوجه فى الربط بين هذه المعانى والكيفيات النفسية ، وبين ماشبهت به فيكتفى فيه بتوجيه للشريف الرضى الذى يقول .

فالمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « العلم خليل المؤمن » أنه يأنس به من الوحشة ، ويسكن إليه فى الوحدة ، كما يأنس الخليل بخليله ، ويسكن الحميم إلى حميمه ، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « والحلم وزيره » أنه يقوى به على الأمور ، ويؤازره على كظم المكروه ، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « والعقل دليله » أنه بالعقل يهتدى فى ظلم المشكلات ، وينجو من مضايق الغمرات ، فهو كالدليل يرشد فى المضال ، ويجنب عن المزال ، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « والعمل قيمه » أن العمل يثقف ميله ، ويقوم زلله ، ويسد خلله ، فهو كالقيم الذى يأتى لمصالح

ما يقوم عليه، ومراشدما يوكل إليه، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام: «واللين أخوه» أن اللين يفيده مؤاخاة الاخوان ومخالصتهم ويحفظ عليه صفاءهم وودتهم ، فجعله عليه الصلاة والسلام أخاه من حيث كان سبب الاجتلاب الاخوان إليه وحفظ المودات عليه، والمراد بقولة عليه الصلاة السلام « والرفق والده » كالمراد بقوله : « واللين أخوه » لأن الرفق يقبل إليه بالقلوب ، ويظأر(١) عليه كوامن الصدور ، فيصير كل واحد فى الحنو عليه، والميل إليه كالوالد الرؤوف ، والجد العطوف، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « والصبر أمير جنوده » أن الصبر ملاك أمره ، وشداد أزره . وبه تبلغ الآراب ، وتدرك المحاب ،فهو كأمير جنده الذى يقوى به على اعدائه ، ويصل به إلى أغراضه وطلباته ، وقد يجوز أن يكون المراد أن الصبر رأس خلاله ، فهو متقدم عليها ،وكالأمير لسائرها ، كما أن الأمير متقدم على رعيته ، وله شان على من فى طبقته(٢) .

ومن ذلك أيضا قول المرقش الأكبر :

النشرُ مسكٌ والوجوهُ دنـا نيرٌ وأطرافُ الأكف عَنَم(٣)

فقد شبه الشاعر النشر بالمسك ، والوجوه بالدنانير ، وأطراف الأكف بالعنم وسمى هذا التشبيه « مفروقا » لأنه لم يجمع المشبهات على حدة والمشبهات بها كذلك على حدة ، بل فريق بينهما فوضع كل مشبه بجوار المشبه به .

---

(١) يظأر : يعطف

(٢) أنظر : الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ١٤٧، ١٤٨، والمجازات النبوية تحقيق د/ طه الزينى ١٩٥ ؛ ١٩٦

(٣) النشر الرائحة الطيبة والعنم بفتح العين شجر له ثمر أحمر يشبه به البنان المخضوب

٣ — تشبيه التسوية :

وهو أن يتعدد المشبه دون المشبه به كقول بديع الزمان الهمذانى :

يكادُ يحكيكَ صوبُ الغيثِ منسكباً
لو كانَ طلْقَ المحيّا يمطرُ الذّهبا

والبدرُ لو لم يغبْ والشمسُ لو نطقت
والأسْدُ لو لم تَصُدْ والبحرُ لو عَذُبا(١)

فقد شبه الشاعر: صوب الغيث، والبدر، والشمس، والأسد بالممدوح المدلول عليه بضمير المخاطب فى قوله « يحكيك » — وكما ترى — فقد تعدد المشبه دون المشبه به .

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر :

صُدْغُ الحبيبِ وحالِي كِلاهما كالليالِي
وثغرُهُ فِي صَفاءٍ وأدمُعِي كاللآلى(٢)

فقد شبه الشاعر صدغ الحبيب وحاله بالليالى فى السواد ، كما شبه ثغر الحبيب ودموعه باللآلى أى الدرر فى الصفاء والاشراق .

وقول الآخر :

آراؤكُم ووجوهكُم وسيوفُكم فى الحادثاتِ إذا دَجَوْنَ نجومُ

فالمشبه فى البيت : آراء الممدوحين ووجوهم وسيوفهم ، والمشبه به النجوم :

وسمى « تشبيه التسوية » لأنه سوى بين شيئين أو أشياء فى الالحاق بشىء واحد :

---

(١) الغيث : المطر ، وصوبه عطاؤه ، والمحيا : الوجه .
(٢) الصدغ : الشعر المتدلى على الخد .

٤ — تشبيه الجمع :

وهو أن يتعدد المشبه به دون المشبه كقول الشاعر :

أنتَ بدرٌ حسنا وشمسٌ علوا ... وحسامٌ حزماً وبحرٌ نوالا

فالمشبه ضمير المخاطب «أنت» والمشبه به البدر والشمس والحسام والبحر.

وقول أبي العلاء المعري :

وسهيلٌ كوَجْنَةِ الحِبِّ في اللو ... نِ وقلبِ المحبِّ في الخفقانِ(١)

فالمشبه سهيل والمشبه به وجنة الحب، وقلب الحب — وكما ترى — تعدد المشبه به دون المشبه .

وقول البحتري :

كأنما يَبْسِمُ عن لُؤلُؤٍ ... مُنَضَّدٍ أو بَرَدٍ أو أَقَاحِ(٢)

والمعنى : كأنما يبسم عن ثغر كلؤلؤ منضد، أو برد، أو أقاح . فالمشبه هو الثغر والمراد به الأسنان والمشبه به اللؤلؤ والبرد والأقاح .

يقول ابن يعقوب المغربي : أجتمعت هذه الثلاثة في تشبيه الأسنان بها والفضيلة في اجتماعها في مشبه واحد على وجه الاختصار، ولو شبه كل واحد

---

(١) سهيل : نجم : قيل عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي القيظ — وفي المثل إذا طلع سهيل رفع كيل ووضع كيل — يضرب في تبدل الأحكام — والوجنة : ما أرتفع من الخدين والحب : بكسر الحاء، المحبوب .

(٢) يبسم : يكشف ، منضد : منظم ، البرد : بفتح الراء حب الغمام ، والأقاح بفتح الهمزة جمع أقحوان بضمها وسكون القاف : زهر ذكي الرائحة يتضح كالورد ، أوراقه تشبه الأسنان وفي رواية أخرى : كأنما يضحك عن لؤلؤ ... الخ — أنظر ديوان البحتري حـ١ — ١٧٦ تحقيق الصيرفي ط الثالثة — دار المعارف .

به على حدة صح فلذلك كان من المتعدد(١) .

هذا . وقد قيل : فى جعل هذا البيت من باب التشبيه نظر، لأن المشبه أعنى الثغر غير مذكور لا لفظا ولا تقديرا ، وحينئذ فهو من باب الاستعارة لا من باب التشبيه الذى كلامنا فيه .

وقد يجاب بأنه تشبيه ضمنى لا صريح . . ويدل على أنه المقصود منه التشبيه وجود كأن ، لأن المجاز يجب ألا يشم فيه رائحة التشبيه لفظا ولا تقديرا ، ولولا لفظ كأن لامكن أن يكون مجازا(٢) .

وهذا الرأى أولى بالقبول نظر الوجود أداة التشبيه فى البيت .

وقد سمى هذا التشبيه « تشبيه جمع » لاجتماع شيئين أو أكثر فى مشابهة شىء واحد .

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ج ٣ — ٤٣١

(٢) حاشية الدسوقى ج ٢ — ٤٣١

وجه الشبه

وجه الشبه — كما علمت — هو المعنى المشترك بين الطرفين ويعني به : أبرز صفات المشبه به .

يقول أبو العباس المبرد : واعلم أن التشبيه حداً ، فالأشياء تشابه من وجوه ، وتباين من وجوه ، فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع ، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر ، فإنما يراد به الضياء والرونق ، ولا يراد به العظم والإحراق ، قال الله عز وجل ، كأنهن بيض مكنون(١) .

والعرب تشبه النساء ببيض النعام ، تريد نقاوة ورقة لونه(٢) .

التحقيق والتخييل

ووجه الشبه إما أن يكون قائماً بالطرفين على وجه الحقيقة ، أو على وجه التخييل ، ومن ثم فإنه ينقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين : تحقيقي وتخييلي .

والمقصود بوجه الشبه التحقيقي : ما كان قائماً بالطرفين ، المشبه والمشبه به ، على وجه الحقيقة سواء أكان :

---

(١) الصافات ٤٩

(٢) الكامل ج ٢ — ٥٢ ، قد أفاض العلماء المتقدمون في الحديث عن وجه الشبه ، وأنه أبرز صفات المشبه به . ومن هؤلاء الأعلام الجاحظ ، وقدامه بن جعفر ، وأبو هلال العسكري ، والشريف المرتضي ، وابن رشيق . أنظر ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٨ من هذا الكتاب .

حسيا : كقوله تعالى «وهى تجرى بهم فى موج كالجبال(١)» فوجه الشبه: الضخامة والارتفاع ، موجود فى الطرفين على سبيل الحقيقة ،

أو عقليا : كقولك : العلم نور فوجه الشبه «الهداية» قائم بالطرفين — أيضا — على سبيل الحقيقة.

والمراد بالتخييلى : «ما لا يكون قائما بالطرفين ، أو بأحدهما إلا تخيلا» كقول القاضى التنوخى:

وكأن النجومَ بين دُجَاها ... سُنَنٌ لاحَ بينهنَّ ابتداعُ(٢)

فالمشبه : النجوم مقيدة بكونها بين قطع الليل المظلم ، والمشبه به السنن مقيدة بكونها لاحت ، بين البدع ، ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من وجود أشياء بيض مشرقة مستديرة فى جوانب شىء مظلم .

وهذه الهيئة غير موجودة فى المشبه به إلا على سبيل التخييل ، لأن الإشراق والظلام أمران حسيان ، أما السنة والبدعة فأمران عقليان ، لا يتصفان بالإشراق ولا بالظلام ، ومن ثم فوجه الشبه غير متحقق فى المشبه به إلا على سبيل التخييل ، وإنما جاز ذلك ، لأنه لما كانت البدعة وكل ما هو ضلال وفساد من شأنه أن يجعل صاحبه فى حكم من يمشى فى الظلمة فلا يهتدى إلى الطريق المستقيم ، شبهت البدعة بالظلمة وشاع وصفها بها ، ولزم على عكس ذلك أن تشبه السنة بالنور وشاع كذلك وصفها به .

يقول الإمام عبد القاهر : إنه لما شاع وتعورف وشهر وصف السنة

---

(١) هود ٤٢ .

(٢) الدجى : جمع دجيه وهى الظلمة ، والضمير المضاف إليه يعود إلى النجوم .

ونحوها بالبياض والإشراق، والبدعة بخلاف ذلك كما قال النبي ﷺ: «أتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها»(١).

وقيل هذه حجة بيضاء ، وقيل للشبهة وكل ما ليس بحق إنه مظلم ، وقيل سواد الكفر وظلمة الجهل ، تخيل أن السنن كلها جنس من الأجناس التي لها اشراق ونور وابيضاض في العين ، وأن البدعة نوع من الأنواع التي لها فضل اختصاص بسواد اللون .. : إنه خيل ما ليس بمتلون كأنه متلون ثم بنى على ذلك .

ومن هذا الباب قول أبي طالب الرقي :

ولقد ذكرتك والظلامُ كأنه   يومُ النوى وفؤادُ من لم يعشق

يقول الإمام معلقا على هذا البيت : لما كانت الأوقات التي تحدث فيها المكارة توصف بالسواد فيقال أسود النهار في عيني ، وأظلمت الدنيا عليّ، جعل يوم النوى كأنه أعرف وأشهر بالسواد من الظلام فشبهه به ، ثم عطف عليه فؤاد من لم يعشق تظرفا وإتماما للصفه ، وذلك أن الغزل يدعي القوة على من لم يعرف العشق والقلب القاسي يوصف بشدة السواد، فصار هذا القلب عنده أصلا في الكدرة والسواد فقاس عليه(٢).

ومثل ذلك أيضا قول الشاعر :

يا مَنْ له شعرٌ كحظي أســـودُ

جسمي نحيــــلٌ من فراقِكَ أصْفَرُ

---

(١) بالحنيفية : أي بالطريقة الحنيفية: وهي دين الإسلام، والحنيفية نسبة إلى الحنيف وهو المائل عن كل دين سوى دين الحق .

(٢) أنظر أسرار البلاغة ٢٦٢ ، ٢٦٣ تحقيق المراغي .

فإن وجه الشبه بين الشعر والحظ هو : « السواد » والطرفان يشتركان فيه — لكنه يوجد فى المشبه تحقيقا ، ولا يوجد فى المشبه به إلا على سبيل التخييل — لأن الحظ ليس من ذوات الألوان ، ولكن لما شاع وصفه الحظ بالسواد تخيل أنه ذولون أسود تدركه العيون ، ثم أدعى أنه أصل فى السواد مبالغة فشبه الشعر به.

ولما كان وجه الشبه لابد من وجوده فى الطرفين تحقيقا أو تخييلا، فإنه لا يصح أن يكون وجه الشبه فى قولك «النحو فى الكلام كالملح فى الطعام» كون القليل مصلحا والكثير مفسدا ، لأن المشبه وهو النحو لا يشترك مع المشبه به فى هذا المعنى.

يقول صاحب المطول : لأن النحو إذا كان من حكمه رفع الفاعل ونصب المفعول مثلا فإذا وجد ذلك فى الكلام فقد حصل النحو فيه ، وانتفى الفساد عنه وصار منتفعا به فى فهم المراد منه، وإن لم يوجد ذلك فيه لم يحصل النحو وكان فاسدا ألا ينتفع به ، بخلاف الملح فإنه يحتمل القلة والكثرة بأن يجعل فى الطعام القدر الصالح منه أو أقل أو أكثر ، فالحق أن وجه الشبه هو كون استعمالها مصلحا واهمالها مفسدا[1].

---

(١) المطول ٣١٦ ط ١٣٢٠ هـ.

المفرد والمركب والمتعدد

ينقسم وجه الشبه باعتبار كونه واحدا، أو مركبا، أو متعددا إلى ثلاثة أقسام :

١ — أن يكون وجه الشبه واحدا : والمقصود بالواحد مالا تركيب فيه ولا تعدد كالاستواء في قول رسول الله ﷺ : الناس كأسنان المشط .

٢ — أن يكون مركبا منزلة الواحد : والمراد به ما كان هيئة منتزعة من متعدد .

وإنما كان بمنزلة الواحد لأن أجزاءه تضامقت وتلاصت حتى صارت كالشيء الواحد وذلك كقوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا »(١) .

ففي الآية الكريمة تشبيه حال اليهود في حفظهم التوراة، وإعراضهم عما فيها، بحال الحمار يحمل كتب العلم النافعة ولا يستفيد منها شيئا، ووجه الشبه هيئة الحرمان من الانتفاع بأبلغ نافع مع معاناة الكد والتعب في استصحابه .

فالمشبه في الآية مركب من أجزاء هي : حمل، وحمل لكتاب نافع وهو التوراة، وعدم العمل بهذا النافع، وكذلك المشبه به مركب أيضا من أجزاء هي : حمار، وحمل، والمحمول نافع، وعدم الانتفاع به، وإذا أردنا المحافظة على الصورة التشبيهية الرائعة التي تقتضيها البلاغة القرآنية فإننا لا يمكن أن نفصل هذه الأجزاء بعضها عن بعض .

---

(١) الجمعة ٥ .

يقول الإمام عبد القاهر : الشبه منتزع من أحوال الحمار ، وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم ، ومستودع ثمر العقول ، لا يحس بما فيها ، ولا يشعر بمضمونها ، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء ، ولا من الدلالة عليه بسبيل . فليس له مما يحمل حظ سوى أنه يثقل عليه ، ويكد جنبيه ، فهو كما ترى مقتضى أمور مجموعة ، ونتيجة لأشياء ألفت وقرن بعضها إلى بعض .

بيان ذلك أنه احتيج إلى أن يراعى من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل ، وأنه يكون المحمول شيئاً مخصوصا وهو الأسفار التي فيها أمارات تدل على العلوم ، وأن يثلث ذلك بجهل الحمار ما فيها حتى يحصل الشبه المقصود .

ثم إنه لا يحصل من كل واحد من هذه الأمور على الانفراد ، ولا يتصور أن يقال إنه تشبيه بعد تشبيه من غير أن يقف الأول على الثاني ، ويدخل الثاني في الأول ، لأن الشبه لا يتعلق بالحمل حتى يكون من الحمار ، ثم لا يتعلق أيضاً بحمل الحمار حتى يكون المحمول من الأسفار ، ثم لا يتعلق بهذا كله حتى يقترن به جهل الحمار بالأسفار المحمولة على ظهره(1) .

وقول ابن الرومي :

إني وتزييني بمدحي معشرا كمعلق دُرّاً على خنزير

ووجه الشبه وهو : هيئة من يضع الشيء في غير موضعه فلا يكون له أثر .

وقول الشاعر :

والشمس كالمرآة في كف الأشل لما رأيتها بدت فوق الجبل

فوجه الشبه هو : الهيئة الحاصلة من الاستدارة ، والحركة السريعة المتصلة مع تموج الإشراق واضطرابه .

---

(1) أسرار البلاغة ١١٤ تعليق الشيخ المراغي

ويلاحظ أن وجه الشبه إذا كان مركبا ، فإن طرفيه يكونان مركبين أو مقيدين ، أو أحدهما مركب والآخر مقيد — كما رأيت — بمعنى أن يكون فى الطرفين تركيب أو تقييد ، لأن وجه الشبه قائم بالطرفين ، ولا يعقل أن تنتزع هيئة مركبة من عدة أمور من شيء واحد .

٣ — أن يكون متعددا ، بمعنى أن يكون مكونا من عدة أمور اثنين فأكثر ، جعل كل منها وجه شبه على حدة واستقلال ، كقول المتنبي يمدح الحسن بن اسحق التنوخي :

فَتًى كالسحابِ الجُونِ يُخْشَى ويُرْتَجَى
يُرَجَّى الحيا منها وتُخْشَى الصواعِقُ(١)

يقول المتنبي : هــو مهيب مرجو كالسحاب يرجى مطره ، وتخشى صواعقه ، فهو يرجى نفعه ويخشى ضرره .

ووجه الشبه — كما ترى — هو الرغبة والرهبة .

وقول ابن الرومى :

يا شبيهَ البـدرِ فى الحسنِ وفى بعدِ المنالِ
جُـدْ فقـد تنفجرُ الصخرةُ بالماءِ الزُّلالِ

فوجه الشبه الحسن وبعد المنال .

---

(١) روى أبو الفتح « الجون » مضمومة الجيم ، جعله نعتا للسحاب ، على أنه جمع سحابة ، وروى غيره «الجون» بفتح الجيم وجعله نعتا للسحاب على الافراد ، والجون : الأبيض الأسود ، والحيا بالقصر : المطر لأنه يحيي الأرض ، والصواعق جمع صاعقة — أنظر ديوان المتنبي بشرح العكبري جـ ٢ — ٣٤٦

وفى المثالين ترى وجه الشبه أموراً متعددة كل منها يصلح أن يكون وجه شبه على انفراده واستقلاله، لأن القصد تشبيه [illegible] كل واحد منها.

ومن ثم يظهر الفرق بين الوجه المركب من عدة أشياء، وبين المتعدد. فالمركب ينظر فيه إلى مجموع الأشياء، والهيئة المركبة منها بحيث تصير وحدة لا تتجزأ بحيث لو حذف أحد أجزائها لاختل التشبيه وقصر عن تحقيق الغرض المقصود والهدف المنشود — كما رأيت — فى أمثلة الوجه المركب.

أما المتعدد فينظر فيه إلى أمور متعددة، والمراد جعل كل واحد منها على حدة واستقلال وجه شبه، بحيث لو حذف واحد منها، أو قدم أو أخر لم يختل التشبيه — كما رأيت أيضا — فى أمثلة الوجه المتعدد.

الحسى والعقلى

ينقسم وجه الشبه باعتبار الحسى والعقلى إلى ثلاثة أقسام:

١ — أن يكون وجه الشبه حسيا: مفرداً كان أو مركبا، أو متعدداً:

فالمفرد الحسى: كقول الشاعر:

والوجه مثلُ الصبحِ مبيضٌّ   والفرعُ مثلَ الليلِ مسودُّ(١)

ضدانِ لما استجمعا حَسُنَا   والضد يُظهِرُ حسنَه الضدُّ

فقد شبه الشاعر الوجه بالصبح فى البياض، كما شبه — أيضا — الشعر بالليل فى السواد.

(١) الفرع: الشعر.

- المركب الحسي كقول الآخر :

والبدرُ في كبدِ السماءِ كدرهم
ملقىً على ديباجةٍ زرقاءَ

فقد شبه البدر في كبد السماء، بالدرهم الملقى على ديباجه زرقاء.

ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من ظهور صورة مشرقة مستديرة بيضاء في رقعة مبسوطة زرقاء .

والمتعدد الحسي : كقول البحتري يصف فرسا :

أو كالغرابِ غدا يُسارِي صَحْبَهُ
بسوادِ نُقْبَتِهِ وحسنِ قَوَامِهِ(١)

فالمشبه : الفرس ، والمشبه به الغراب ، ووجه الشبه : السواد وحسن القوام ويلاحظ أن وجه الشبه الحسي لايكون طرفاه إلا حسيين لاستحالة أن يدرك بالحسي شيء من غير الحسي(٢) .

فمثلا : الإشراق لايدرك إلا بالبصر، والنعومه لا تدرك إلا باللمس، والحلاوة لاتدرك إلا بالذوق، وحسن النغم لايدرك إلا بالسمع، والرائحة الطيبة لا تدرك إلا بالشم .

٢ — أن يكون وجه الشبه عقليا مفرداً كان أو مركبا أو متعدداً .

---

١ — النقبه بضم النون : اللون، وبكسرها الهيئة — ديوان البحتري جـ٣ — ١٩٩٢

٢ — أنظر : عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص جـ٣ — ٤٣٩

فالمفرد العقلي كقول شوقي:

تَرْكُ النفوسِ بلا علمٍ ولا أدبٍ
تركُ الجسومِ بلا طِبٍّ ولا آسي(١)

فالمشبه: ترك النفوس بلا علم ولا أدب، والمشبه به: ترك الجسوم بلا طب ولا علاج، ووجه الشبه: وجود الضرر.

والمركب العقلي. كقوله تعالى. «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً»(٢)

ووجه الشبه. الحرمان من الإنتفاع بأبلغ نافع مع معاناة الكد والتعب في استصحابه.

وقول الشاعر:

والمستجيرُ بعمروٍ عند كُرْبَتِهِ كالمستجيرِ من الرمضاءِ بالنارِ(٣)

فقد شبه الشاعر. حال من أصابته شدة فالتجأ إلى عمرو طمعاً في الإنتفاع به فإذا عمرو أشد خطراً مما وقع فيه، بحال من لدغته الرمضاء، فالتجأ إلى ما هو أشد لذعة وأكثر ألماً، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من الإلتجاء من الضار إلى ما هو أضر منه طمعا في الإنتفاع به.

---

١ — الآسي الجراح والطبيب.

٢ — الجمعة ٥

٣ — الرمضاء. الأرض التي حميت من شدة وقع الشمس، والمراد «بعمرو»، هنا هو جساس بن مرة البكري، يقال إنه لما رمى كليب ابن ربيعة التغلبي وقف على رأسه فقال له «ياعمرو، أغثني بشربة ماء فأتم قتله — أنظر جواهر البلاغة ٣٦١

والمتعدد العقلى . كقول ابن الرومى فى المدح .

كالدهرِ فى النفعِ ، والمضرَّةِ والحُنْكَةِ
لكنْ رَبيبُــهُ غَضَبُه(١)

فوجه الشبه — كما ترى — النفــع ، والمضرة ، والحنكة ، وهو متعدد عقلى .

٣ — أن يكون مختلفا بعضه حسى وبعضه عقلى كقول الشاعر .

أنتَ نجمٌ فى رفعةٍ وضياءِ
تجتليكَ العيونُ شرقا وغربا

فقد شبه الشاعر الممدوح بالنجم فى الرفعة والضياء — ووجه الشبه — كما ترى — متعدد بيد أن الأول عقلى والثانى حسى .

هذا . ووجه الشبه العقلى يجوز أن يكون طرفاه عقليين . كعظم الفائدة فى قولك : العلم ، كالحيــاة . أو حسيين كالشجاعة فى قولك محمد كالأسد ، أو مختلفين والمشبه عقلى كالهداية فى قولك . العلم نور ، أو مختلفين ، والمشبه حسى كاستطابة النفس فى قولك . عطر كخلق الكريم .

وذلك لجواز قيام المعقول بالمحسوس ، كقيام معنى الخطابة بالحجاج ، والشاعرية بشوقى ، والفصاحة بسحبان ، وأيضا لجواز أن يدرك العقل أمراً معقولا فى شيء محسوس كإدراك معنى الكرم فى حاتم ، ومعنى البخل فى مادر ، ومعنى الغباء فى باقل .

يقول بهـــا الدين السبكى . « والعقلى طرفاه إما عقليان أو حسيان »

---

١ — الحنكة : إحكام الأمور . وغضب الأمير هو نوائب الدهر تلحق من يغضب عليه .

أو مختلفان، فالعقل أعم، فمتى كان واحد من الطرفين عقليا كان الوجه عقليا لجواز أن يدرك بالعقل شيء من الحسي(١).

كما يقول صاحب المطول : «لا امتناع في قيام المعقول بالمحسوس، بل كل محسوس . فله أوصاف بعضها حسي ؛ وبعضها عقلي ؛ ولذلك يقال . التشبيه بالوجه العقلي أعم من التشبيه بالوجه الحسي ، بمعنى أن كل ما يصح فيه التشبيه بالوجه الحسي يصح بالوجه العقلي دون العكس(٢)».

---

١ — عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٤٩
٢ — المطول ٣٢٠ ط ١٣٢٠ هـ

تشبيه التمثيل

ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى تمثيل وغير تمثيل ، وقد اختلف العلماء فى المراد بتشبيه التمثيل ، ولهم فيه صولات وجولات ، ومذاهب وآراء .

رأى الإمام عبد القاهر :

يرى الإمام عبد القاهر أن التمثيل : ما كان وجه الشبه فيه أمرا غير بين بنفسه ، بل يحتاج إلى تأول وصرف عن الظاهر ، بمعنى أن يكون عقليا غير غرزى ولا طبعى ، سواء أكان مفردا كقولك : ألفاظ محمد كالعسل فى الحلاوة ، فإن وجه الشبه فى الحقيقة هو لازم الحلاوة وهو ميل الطبع .

يقول الإمام : اللفظ يشارك العسل فى الحلاوة لا من حيث جنسها ، بل من جهة حكم وأمر تقتضيه وهو ما يجده الذائق فى نفسه من اللذة والحالة التى تحصل فى النفس إذا صادفت بحاسة الذوق ما يميل إليه الطبع ويقع منه بالموافقة ، فلما كان كذلك احتيج لا محالة — إذا شبه اللفظ بالعسل فى الحلاوة — أن يبين أن هذا التشبيه ليس من جهة الحلاوة نفسها وجنسها ، ولكن من مقتضى لها ، وصفة تجدد فى النفس بسببها ، وأن القصد أن يخبر بأن السامع يجد عند وقوع هذا اللفظ فى سمعه حالة فى نفسه شبيهة بالحالة التى يجدها ذائق الحلاوة من العسل(١) .

أو كان مركبا : يقول الإمام ثم إن هذا الشبه ربما انتزع من شىء واحد كما مضى من انتزاع الشبه للفظ من حلاوة العسل ، وربما انتزع من

---

(١) أسرار البلاغة ١٠٦

عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض . ثم يستخرج من مجموعها الشبه، فيكون سبيله سبيل الشيئين يمزج أحدهما بالآخر حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الافراد(١) .

ثم يقول ، وعلى الجملة فينبغي أن تعلم أن المثل الحقيقي والتشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى تمثيلا لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر حتى إن التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليا محضا كانت الحاجة إلى الجملة أكثر ، ألا ترى إلى نحو قوله عز وجل « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس(٢) كيف كثرت الجمل فيه حتى إنك ترى في هذه الآية عشر جمل إذا فصلت ، وهي وإن كان قد دخل بعضها في بعض حتى كأنها جملة واحدة فإن ذلك لا يمنع من أن تكون صورة الجمل معنا حاصلة تشير إليها واحدة واحدة ، ثم إن الشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض ، وإفراد شطر من شطر . حتى إنك لو حذفت منها جملة واحدة من أي موضع كان أخل ذلك بالمغزى من التشبيه(٣) .

أما غير التمثيل عند الإمام فهو ما كان وجه الشبه فيه أمرا بينا بنفسه لا يحتاج إلى تأويل وصرف عن الظاهر . لأن المشبه يشارك المشبه به في نفس وجه الشبه وحقيقة جنسه ! ويتحقق ذلك في شيئين :

أحدهما : أن يكون وجه الشبه حسيا سواء أكان مفردا أو مركبا .

والآخر ، أن يكون وجه الشبه عقليا حقيقيا ، بمعنى أن يكون وصفا

---

(١) أسرار البلاغة ١١٣ (٢) يونس ٢٤

(٣) أسرار البلاغه ١٢٢

ثابتا كالغرائز والطباع والأخلاق، وذلك كالشجاعة والجبن، والكرم والبخل.

يقول الإمام في التشبيه غير التمثيلي: أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج إلى تأول.. كالتشبيه من جهة اللون كتشبيه الخد بالورد والشعر بالليل والوجه بالنهار.. وكذلك التشبيه من جهة الهيئة.. وكذلك كل تشبيه جمع بين شيئين فيما يدخل تحت الحواس، وكتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر وتشبيه اللين الناعم بالخز، والخشن بالمسح(١) أو رائحة بعض الرياحين برائحة الكافور، أو رائحة بعضها ببعض كما لا يخفى.

وهكذا التشبيه من جهة الغريزة والطباع كتشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة والذئب في النكر(٢)، والأخلاق كلها تدخل في الغريزة نحو السخاء والكرم واللؤم، وكذلك تشبيه الرجل بالرجل في الشدة والقوة وما يتصل بها.

فالشبه في هذا كله بين لا يجرى فيه التأول، ولا يفتقر إليه في تحصيله وأي تأول يجرى في مشابهة الخد للورد في الحمرة، وأنت تراها هنا كما تراها هناك؟ وكذلك تعلم الشجاعة في الأسد كما تعلمها في الرجل(٣).

رأي السكاكي:

يرى السكاكي أن تشبيه التمثيل ما كان وجه الشبه فيه وصفا غير حقيقي بمعنى أن يكون مركبا عقليا.

---

(١) المسح بكسر الميم: الكساء من الشعر والجمع أمساح ومسوح.
(٢) النكر والنكارة، الفطنة والدهاء.
(٣) أنظر أسرار البلاغة ١٠٠ — ١٠٣

يقول أبو يعقوب السكاكى ، وأعلم أن التشبيه متى كان وجه وصفا غير حقيقى ، وكان منتزعا من عـــدة أمور خص باسم التمثيل كالذى فى قوله :

اصبر على مَضَضِ الحسو ... دِ فإن صبرك قاتِله

فالنـــارُ تأكُلُ نفـسها ... إنْ لم تجِدْ ما تأكُلُه

فإن تشبيه الحسود المتروك مقاولته بالنار التى لا تمد بالحطب فيسرع فيها الفناء ليس إلا فى أمر متوهم .

وكالذى فى قوله :

وإنَّ من أدبته فى الصبا ... كالعودِ يُسقى الماءَ فى غَرْسِه

حتى تراهُ مورِقًا ناضرا ... بعد الذى أبصرتَ فيه من يُبْسِه

فإن تشبيه المؤدب فى صباه بالعود المسقى أوان الغرس المونق بأوراقه ونضرته ليس إلا فيما يلازم كونه مهذب الأخلاق مرضى السيرة حميد الفعال لتأدية المطلوب بسبب التأديب المصادف وقته من تمام الميل إليه ، وكمال استحسان حاله ، وأنه كما ترى أمر تصورى لا صفة حقيقية وهو مع ذلك منتزع من عدة أمور .

وكالذى فى قوله عز وجل « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار الذى يحمل أسفارا »(١) ، فإن وجه الشبه بين أحبار اليهود الذين كلفوا العمل بما فى التوراة ، ثم لم يعملوا بذلك ، وبين الحمار الحامل للأسفار هو حرمان الانتفاع بمـــا هو أبلغ شيء بالانتفاع به مع الكد والتعب فى استصحابه ، وليس بمشتبه كونه عائدا إلى التوهم ومركبا من عدة معان .

---

(١) الجمعه ٥

والذى نحن بصدده من الوصف غير الحقيقة أحوج منظور إليه إلى التأمل الصادق من ذى بصيرة نافذة ورؤية ثاقبه لالتباسه فى كثير من المواضع بالعقلى لا سيما المعانى التى ينتزع منها(١).

أما غير التمثيلى عند السكاكى فهو ما كان وجه الشبه فيه ليس مركبا عقليا . بأن كان مفردا عقليا حقيقيا كالشجاعة والجبن . أو مفردا عقليا غير غرزى ويحتاج إلى تأول ، كقولك ألفاظ محمد كالماء فى السلاسه فإن وجه الشبه فى الحقيقة هو لازم السلاسه . وهو إفادة النفس نشاطا وراحه . وكذلك ما كان وجه الشبه فيه حسيا سواء أكان مفردا أم مركبا .

رأى الخطيب والجمهور :

يرى الخطيب القزوينى وجمهور البلاغيين أن تشبيه التمثيل ما كان وجه الشبه فيه وصفا منتزعا من متعدد أمرين أو أمور(٢) .

بمعنى أن يكون وجه الشبه مركبا سواء أكان حسيا أو عقليا : كقوله تعالى « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور »(٣) .

فالمشبه هو حال الدنيا فى اقبالها وزهوها وكثرة مسراتها ثم سرعة

---

(١) المفتاح ١٦٤ — ١٦٦ ط الأولى ١٩٣٧

(٢) الإيضاح ج ٣ — ٥٧

(٣) الحديد ٢٠

مسرعة زوالها وإدبارها . والمشبه به حال غيث أنبت زرعاً فنما وقوى ، وأعجب به الزراع ثم أصابته آفة فيبس وأصفر . ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من حسن وبهجة وهناء يتلوها تلف وفناء وشقاء .

وقول أبى فراس الحمدانى :

والماءُ يفصلُ بين رَوْضِ الزّ   هرِ فى الشطينِ فَصْـلا
كبِساطِ وَشْيٍ جَرَّدَتْ   أيدِى القُيُونِ عليهِ نَصْلاَ(١)

والمشبه : حال الماء يجرى فى الجدول وعلى شياطئيه رياض مزدانة بأزهار متنوعة الألوان ومكسوة بالخضرة .

والمشبه به : حال سيف صقيل متألق على بساط مزخرف بزخارف شتى ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من البياض المستطيل المحاط بخضرة وألوان متعددة متنوعة .

ويدخل فى تشبيه التمثيل عند الخطيب والجمهور جميع الأمثلة التى سبق ذكرها فى وجه الشبه المركب — حسيا كان أو عقليا .

أما غير التمثيل عند الخطيب والجمهور فهو مالم يكن وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد سواء أكان واحداً كالشجاعة فى قولك خالد كالأسد ، والنعومة فى قولك شعر كالحرير ، أم كان متعدداً فى قولك محمد كأخيه فى العلم والخلق والشجاعة ، أو تشبه فاكهة بأخرى فى الطعم واللون والرائحة .

هذا ومن اليسير عليك أن تعرف بعد هذا البيان وجوه الإتفاق

---

١ — الوشى : نقش الثوب — القيون : جمع قين : صانع الأسلحة — النصل : حديدة الرمح والسيف والسكين .

والإختلاف بين العلماء فى المراد بتشبية التمثيل ، وإليك نموذجاً يزيدك إيضاحا .

فى قوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا »(١) .

تجد وجه الشبه : الحرمان من الإنتفاع بأبلغ نافع مع معاناة الكد والتعب فى استصحابه .

وهذا التشبيه من قبيل التشبيه التمثيلى عند الإمام عبد القاهر والسكاكى والخطيب القزوينى والجمهور ، لأن وجه الشبه — كما ترى — مركب عقلى .

وفى قول بشار بن برد :

كأنَّ مثارَ النقعِ فوقَ رؤوسنا ... وأسيافَنا ليلٌ تهاوَى كواكبه

تجد وجه الشبه : الهيئة الحاصلة من تساقط أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقادير فى جوانب شيء مظلم .

وهذا التشبيه من قبيل التشبيه التمثيلى عند الخطيب والجمهور ، وتشبيه فقط عند عبد القاهر والسكاكى لأن وجه الشبه مركب حسى .

وفى قولك : حجة كالشمس فى الظهور تجد وجه الشبه فى الحقيقة لازم الظهور وهو « عدم المانع من الإدراك » ، وهو — كما ترى — مفرد عقلى غير غرزى ، وبذلك يكون تشبيه تمثيل عند عبد القاهر ، وتشبيها فقط عند السكاكى والخطيب والجمهور لكونه مفرداً .

وينبغى أن تعلم أن التشبيه أعم من التمثيل « فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلا »(٢) .

---

١ — الجمعة ٥ ٢ — أسرار البلاغة ١٠٧

المفصل والمجمل

ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى مفصل ومجمل .

والمراد بالمفصل : ما صرح فيه بوجه الشبه على طريقته الخاصة ، بأن يكون مجرورا بفى أو منصوبا على التمييز كقول الشاعر :

أنت كالبحر فى السماحة والشمس علوا والبدر فى الإشراق

فقد شبه الشاعر الممدوح بالبحر فى السماحة ، والشمس فى العلو ، والبدر فى الإشراق ووجه الشبه — كما ترى — مصرح به فى البيت وقد جاء على طريقته الخاصة مجروراً بفى تاره ومنصوباً على التمييز تارة أخرى .

ومن التشبيه المفصل — أيضا — قول أبى بكر الخالدى :

يا شبيه البدرِ حُسْناً وضياءً ومنالا
وشبيهَ الغصنِ لِيناً وقَواماً واعْتِدالا
أنتَ مثلُ الوردِ لونا ونسيما وبِلالا
زارنا حتى إذا ما سَرَّنا بالقربِ زالا(١)

ومن المفصل — مع نوع من التسامح بذكر ما يستلزمه مكانه — قولك ألفاظ محمد كالعسل فى الحلاوة ، أو كالماء فى السلاسه ، أو كالنسيم فى الرقة « فوجه الشبه في الحقيقة هو لازم الحلاوة ، وهو « ميل الطبع » ، ولازم السلاسة والرقة وهو : « أفادة النفس نشاطاً وراحة .

---

١ — البلال «الندوة» ويروى ملالا أى سريع الزوال والمفارقة يريد . أن الزيارة لم تطل فما كاد ينعم بلقاء الزائر حتى فارقه ورحل ، شأنه فى ذلك شأن الورد لا يكاد يتفتح حتى يذبل ويزول .

هذا ويرى بعض العلماء أن المذكور هو وجه الشبه ، ولا داعى إلى ذلك التأول(١) لأنه إذا لم يكن موجوداً فى المشبه حقيقة فهو موجود بالتخيل .

يقول ابن يعقوب . يحتمل أن يكون مما ذكر فيه الوجه بنفسه ويكون وجود الحلاوه فى الكلام على وجه التخيل وهو الأقرب(٢) .

كما يقول بهاء الدين السبكى . إن قولهم ان الحلاوة ليست وجه شبه فيه نظر ، فإن الحلاوة إن لم تكن موجودة بالحقيقة فى الكلام فهى موجودة بالتخييل فهو من الجامع الخيالى(٣) .

كذلك يقول الشيخ الدسوقى فى حاشيته . يحتمل أن يكون المذكور فى هذا المثال وهو الحلاوة ، هى وجه الشبه نفسها ، ويكون وجودها فى الكلام على وجه التخييل كما فى تشبيه السنة بالنجم والبدعة بالظلمة وهذا هو الأقرب(٤) .

والمقصود بالمجمل . مالم يذكر فيه وجه الشبه ، وهو إما .

ظاهر . يفهمه كل أحد حتى العامة كقول المتنبى فى المدح .

وإذا اهتزَّ للندَى كان بحراً ... وإذا اهتزَّ للوغَى كان نصلا
وإذا الأرضُ أظلمتْ كان شمساً ... وإذا الأرض أمحلت كان وَبْلاً(٥)

---

١ — التأول لابد منه عند الإمام عبد القاهر لأنه هو المعول عليه عنده فى الفرق بين التشبيه والتمثيل .

٢ — مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص حـ ٣ — ٤٤٢

٣ — عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص حـ ٣ — ٤٤٢

٤ — حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص حـ ٣ — ٤٤٢

٥ — الوبل . المطر .

يقول المتنبي . إذا اهتز سيف الدولة للعطاء كان كالبحر في كثرة مواهبه وعموم مكارمه وإذا اهتز للحرب كان كالسيف في نفاذ عزمه وقوته فيما يحاوله من أمره .

وإذا أحلت الأرض وأعتمت خطوبها كان كالشمس المشرقة ، وإذا اتصلت محولها كان بجوده كالسحاب المتدفقة ، فيتير إذا استبهم الأمر ويجود إذا بخل الدهر(١) ووجه الشبه — كما نرى — واضح لا يحتاج إلى نظر وتأمل .

أو خفي . يدركه من له ذهن يرتفع به عن طبقة العامة ، لأنه يحتاج إلى فكر وتأمل كقول فاطمة بنت الخرشب الأنمارية عندما سألها أبو سفيان حين قدمت عليه : أي بنيك أفضل ؟ فقالت الربيع لا بل عماره ، لا بل أنس الفوارس ، ثم قالت في حيرة . ثكلتهم إن علمت أيهم أفضل ، هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ، فوجه الشبه هو التناسب الكلي الخالي عن التفاوت ، وقد أشعر بوجه الشبه ما ذكر بعد المشبه به من قولها لا يدرى أين طرفاها ، بيد أن التناسب في المشبه يراد به التناسب في الشرف والمنزلة وفي المشبه به تناسب أي صورة الأجزاء .

وقد نسب الإمام عبد القاهر هذه الرواية إلى كعب الأشقرى في وصف بني المهلب للحجاج بن يوسف ، ولعل كعب قد أخذ هذا المثل ووصف به بني المهلب .

وقد أتى الإمام على هذا التشبيه وذكر سر جماله يقول الإمام . فهذا كما ترى ظاهر الأمر في فقره إلى فضل الرفق به والنظر ، ألا ترى أنه لا يفهمه حق فهمه إلا من له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة ، وليس كذلك تشبيه الحجة بالشمس فإنه كالمشترك بين الإشتراك ، فأما ما كان

---

١ — ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري حـ ٣ — ١٢٢

مذهبه فى اللطف مذهب قوله : «م كالحلقة، فلا تراه إلا فى الآداب والحكم المأثورة عن الفضلاء وذوى العقول الكاملة(١)

هذا . ويدخل فى وجه الشبه المجمل ما ذكر من وصف لأحد الطرفين كما تبين فى المثال السابق وكقول زياد الأعجمى :

فَإِنَّا وَمَا تُلْقِى لَنَــا أَنْ هَجَوْتَنَا
لَكَالبحرِ مَهْمَا تُلْقِ فى البحرِ يَغْرَقِ

فقد شبه الشاعر حال قومه فى عدم تأثرهم بالهجاء لخطورتهم وقوة بأسهم بحال البحر لا يتأثر بما يلقى فيه من أقذاء .

ووجه الشبه : هيئة الأمر العظيم لا ينال منه كشىء الحقير ، وواضح أن عبارة « مهما تلق فى البحر يغرق » مشعرة بوجه الشبه .

وكذلك قول النابغة الذبيانى :

فإنكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ

ووجه الشبه : الشىء العظيم يتلاشى أمامه الشىء الحقير — وجملة إذا طلعت لم يبد منهن كوكب تنبىء عن وجه الشبه .

وقد يذكر وصف ملائم للمشبه .

كقولك . رأيت إنسانا كالأسد فوجه الشبه « الشجاعة وقدنبه قولك يهابه من يحدثه به

كما قد يذكر وصف لكلا الطرفين ينبىء عن وجه الشبه كقول أبى تمام

(١) أسرار البلاغة ١٠٦ ، ١٠٧ تحقيق الشيخ المراغى .

يمدح الحسن بن رجاء ببهر الضحاك

صدفتُ عنه ولم تصدِفْ مواهبُه عنى وعاوده ظنِّي فلم يخِبِ
كالغيث إن جئتَه وافاكَ ريِّقُه وإن ترحّلتَ عنه لجّ في الطلب(١)

فقد وصف المشبه بأن عطاياه سابغة عليه سواء أعرض عنه أو أقبل عليه كما وصف المشبه به «الغيث» بأنه يأتيك خيره إن رغبت فيه أو رغبت عنه.

ووجه الشبه — كما ترى — الإفاضة فى حال الإعراض والإقبال.

وقول الآخر:

إذا ما جئتَ أحمدَ مستميحاً فلا يغرركَ منظرُه الأنيقُ
له خَلْقٌ وليس له خُلُقٌ كبارقةٍ تروقُ ولا تريقُ(٢)

قد شبه الشاعر «أحمد» بالبارقة، وذكر وصفاً لكلا الطرفين فوصف المشبه «أحمد» بأن خلقه جميل بيد أن خلقه قبيح. كما وصف المشبه به «البارقة» بأن منظرها معجب بيد أنها لا تنزل غيثا — وكما ترى — الوصف ينبىء عن وجه الشبه وهو جمال المظهر مع سوء المخبر.

---

(١) صدفت: أعرضت — المواهب الهبات — وافاك. أتاك — ريقه أوله وأفضله — لج ألح.

(٢) البارقة. السحابة التى يلمع فيها البرق.

القريب المبتذل والبعيد الغريب

ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى قريب مبتذل وبعيد غريب .

والمقصود بالقريب المبتذل . ما ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر لظهور وجهه فى بادىء الأمر(١) .

ويرجع ذلك إلى كونه أمرا واحداً لا تعدد فيه ولا تفصيل كقول ذى الرمة . .

لها بَشَرٌ مثلُ الحرير ومنطقٌ رَخِيمُ الحواشِي لاهُراءٌ ولا نَزْرُ

فوجه الشبه النعومة .

وقول الشاعر .

العمرُ مثلُ الطيفِ أو كالضَّيْفِ ليسَ له إقامةْ

فوجه الشبه سرعة الانقضاء .

وقول الآخر :

وأدهم كالغرابِ سَوَادَ لَوْنٍ يطيرُ مع الرياحِ ولا جَنَاحُ(٢)

فوجه الشبه السواد .

وكما ترى — جاء الوجه أمرا واحداً لا تركيب فيه ولا تعدد .

أو لكونه قليل التفصيل بيد أنه يغلب حضور صورة المشبه به فى الذهن عند حضور صورة المشبه كقول البحترى .

ذات حسن لو استزادت من الحسن إليه لما أصابت مزيداً

---

(١) الإيضاح حـ ٣ — ٦٣

(٢) الأدهم : الفرس .

فهى الشمس بهجة والقضيب الـ ... غض ليناً والرئم طرفاً وجيداً(١)

فإنك ترى المشبه به يسرع حضوره إلى الذهن عند حضور صورة المشبه من غير إبطاء، ومن غير حاجة إلى توقف وانتظار، فإذا راعك الوجه الجميل قفز إلى ذهنك البدر المنير، وجاءتك تسعى الشمس طالعة وإذا خلب لبك القوام الحسن سارع إلى ذهنك الغصن المياد، وإذا سحرتك العيون وفتنتك الأعناق هرول إلى ذهنك الظبى فى ملاحة عينيه وجمال جيده(٢)

أو يكون فى الوجه شىء من التفصيل بيد أنه يغلب حضور صورة المشبه به فى الذهن نظراً لكثرة مشاهدته وتكراره على الحس كقول الشاعر:

أنت نجم فى رفعة وضياء ... تجتليك العيون شرقاً وغربا

فوجه الشبه وإن كان متعدداً، فإن المشبه به « النجم » يكثر حضوره فى الذهن بصرف النظر عن حضور صورة المشبه.

— وكما رأيت — فإن هذا التشبيه وإن كان فيه بعض التفصيل فإنه لا يخرجه من القريب المبتذل، لأن ما فيه من تفصيل قد عارضه كثرة دورانه على الحواس، وهذا بدوره يؤدى إلى سرعة الحضور إلى الذهن.

والمراد بالبعيد الغريب: مالا ينتقل الذهن فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر وتأمل لخفاء وجه الشبه (٣)

يقول الإمام عبد القاهر: ومن المركوز فى الطبع أن الشىء إذا نيل بعد طلب له أو اشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى وبالمزية

---

١ — الرئم: الظبى الأبيض — الطرف: العين — الجيد: العنق

٢ — البلاغة التطبيقية ٢٩

٣ — الإيضاح ج ٣ — ٦٣

أولى . فيكان موقعه من النفس أجل وألطف ، وكانت به أضن وأشغف ، فإنك تعلم على كل حال أن هذا الضرب من المعانى كالجوهر فى الصدف لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه ، وكالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه (١)

هذا الخفاء يرجع لأمرين :

١ — أن يكون وجه الشبه فيه تفصيل يحتاج إلى كثرة الملاحظات كقول بشار السابق .

كأنَّ مثارَ النقعِ فوقَ رُؤُوسِنَا … وأسيافَنَا ليلٌ تهاوى كواكبُهُ

فإن وجه الشبه : الهيئة الحاصلة من تساقط أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقادير متناثرة فى جوانب شىء مظلم — وهو كما ترى — يحتاج إلى تأمل وإنعام نظر .

وكقول الشاعر :

لاَ تعجبوا من خالِهِ فى خدِّهِ … كلُّ الشقيقِ بنقطةٍ سوداءَ (٢)

فالمشبه الخال على الخد والمشبه به شقائق النعمان « زهر أحمر فى وسطه نقطة سوداء » .

ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من وجود نقطة مستديرة سوداء فى رقعة مبسوطة حمراء .

وقول أبى محمد الحسن وزير معز الدولة بن بويه .

والشمسُ من مشرقِها قد بدتْ … مشرقةً ليس لها حاجبُ

١ — أسرار البلاغة ١٥٧ ، ١٦١

٢ — الخال . شامة فى البدن يضر لونها إلى السواد ، وقد توجد على صفحة الخد والشقيق : زهر معروف .

كَأَنَّهَا بُوتَقَةٌ أُحْمِيَتْ يَجُولُ فِيهَا ذَهَبٌ ذَائِبٌ(١)

لقد شبه الشاعر الشمس حين ظهورها من المشرق مشرقة واضحة الجبين بحال «البوتقة» المحماة وقد جال فيها الذهب الذائب، ووجه الشبه. الهيئة الحاصلة من الإستدارة والتوهج والحركة السريعة المتصلة.

هذا ويدخل في البعيد الغريب جميع الأمثلة التي سبق ذكرها مما كان وجه الشبه فيه: هيئة منتزعة من متعدد بمعنى أن يكون مركباً.

٢ — أن يندر حضور صورة المشبه به في الذهن عند حضور صورة المشبه لبعد الصلة بين الصورتين كقوله تعالى: والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم»(٢)

أنظر وتأمل إنه القمر بهجة السماء وملك الليل لا يزال يتنقل في منازله حتى يصبح بعد هذه الإستدارة المبهجة وهذا الضوء الساطع الغامر، يبدد ظلمة الليل ويحيل وحشته أنسا — يصبح بعد هذا كله دقيقاً نحيلا محدودبا لا تكاد العين تتنبه إليه كأنما هو في السماء كوكب تائه لا أهمية له، ولا عناية بأمره، أو لا ترى في كلمة العرجون ووصفه بالقديم ما يصوره لك هيئة الهلال في آخر الشهر، يحمل إلى نفسك ضآلة أمره معاً(٣)

إنك ترى صورة العرجون ذاتها غير نادرة الحضور في الذهن، ولكنها تندر حين حضور صورة القمر للبون الشاسع بين القمر والعرجون،

---

١ — الحاجب: الناتئ من الإشراق. البوتقة: الإناء الذي يذيب فيه الصائغ الذهب والفضة.

٢ — يس ٣٩

٣ — من بلاغة القرآن ١٩٢

فالقمر مسكنة السماء والعرجون مسكنة الأرض، والقمر مثال للعلو والهداية والعرجون شيء تافه لا يعبأ به فشتان ما بينهما.

ووجه الشبه . — كما ترى — هو الدقة والتقوس والإصفرار.

وكقول عدى بن الرقاع يصف ولد ظبية :

تُزجى أغنَّ كأنَّ إبرة رَوْقِه
قلم أصابَ من الدواة مِدادَها(١)

فقد شبه الشاعر طرف قرن الظبي الصغير بطرف قلم فيه شيء من المداد في أن كلا منهما شيء أسود دقيق الطرف على شكل معين، والتشبيه في غاية الدقة مع بعد ما بين الطرفين، فولد الظبية يسكن الصحراء، والقلم أداة حضرية.

ولذلك أجمع النقاد على الإعجاب بهذا التشبية، وباهتداء هذا الشاعر البدوي إليه حتى إن جريراً وهو شاعر أموى أسقط ثمانين شاعراً في زمانه حسد عدى بن الرقاع على إصابته في هذا التشبيه(٢)

قال جرير أنشدني عدى.

عَرَفَ الديارَ توَهُّماً فاعتادَهَا من بعدما شَمِلَ البِلَى أَبْلادَهَا(٣)

---

١ — تزجى . تسوق ، والضمير للظبية ، الأغن الذى فى صوته غنه وهو ولد الظبية الروق . القرن ، وإبرته . طرفه .

٢ — أسرار البيان ٨٩

٣ — توهم الشيء ظنه وتمثله وتخيله ، البلى . الفناء ، اعتادها . أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها، شمل . عم ، والبلد . الأثر والجمع أبلاد ، لسان العرب .

فلما بلغ إلى قوله .

« تُزْجِي أَغَنَّ كأنَّ إبرةَ رَوْقِهِ »

رحمته وقلت قد وقع ما عساه يقول وهو أعرابي جلف جاف ؟ فلما قال .

« قلمٌ أصابَ من الدواةِ مداداً »

استحالت الرحمة حسدا يقول الإمام عبد القاهر .

فهل كانت الرحمة في الأولى والحسد في الثانية إلا أنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر مالا يحضر له في أول الفكر وبديهة الخاطر ، وفي القريب من محل الظن شبه وحين أتم التشبيه وأداه صادفه قد ظفر بأقرب صنعة من أبعد موصوف وعثر على خبيء بمكان غير معروف(١)

وأما لندرة حضور صورة المشبه به في الذهن مطلقا وذلك لكونه وهميا . كقوله تعالى في وصف شجرة الزقوم « إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين »(٢)

وقول امرىء القيس .

أيقتلني والمشرفيُّ مضاجعي ومسنونةٌ زرقٌ كأنيابِ أغوالِ

وقول اسماعيل صبري في وصف العمال الذين بنوا الأهرام .

ويشبهون إذا طاروا إلى عمل جنًّا تطير بأمر من سليمانَ

---

(١) أسرار البلاغة ١٧٧، ١٨٧

(٢) الصافات ٦٤ ، ٦٥

فنحن لم نر الشياطين ، ولا أنياب الأغوال ، ولا الجن ، ومن ثم كان تشبيها وهميا أو خياليا . كقول الشاعر .

وروض عبقرى الوشى غض ... يشاكل حين زخرف بالشقيق
سماء زبرجد خضراء فيها ... نجوم طالعات من عقيق(١)

فالمشبه . روض ظهرت فيه شقائق النعمان وزينته أحسن تزيين والمشبه به . سماء من زبرجد ونجوم من عقيق .

ووجه الشبه . الهيئة الحاصلة من وجود أجرام مشرقة حمراء منثورة على رقعة مبسوطة خضراء .

— وكما ترى — صورة المشبه به غير موجودة لعدم وجود نجوم من عقيق فى سماء من زبرجد ، بيد أن الأجزاء ، سماء ، وزبرجد ، ونجوم وعقيق موجودة ومحسوسة ، ومن ثم كان خيالياً .

وإما لندرة تكرار المشبه به على الحس كقول الشاعر .

والشمس كالمرآة فى كف الأشل ... لما رأيتها بدت فوق الجبل

فوجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من الإستدارة والحركة السريعة المتصلة مع تموج الإشراق .

وإنما كان هذا نادرا على الحس لأن الإنسان ربما يقضى عمره دون أن

---

(١) الروضة . الأرض ذات الخضرة ، والبستان الحسن والجمع روض ورياض ، عبقر . موضع تزعم العرب أنه موطن الجن ، ثم نسبوا إليه كل شىء تعجبوا من حذقة . أو جودة صنعته الوشى . النقش ولايكون من كل لون ، الغض . الطرى الحديث من كل شىء .

يرى مرآة فى يد شلاء — وكما ترى — فإن هذا التشبيه إلى جانب ندرته على الحس ففيه كثرة التفصيل فالبعد والغرابة من الوجهين .

يقول بهاء الدين السبكى والغرابة فى قولنا كالمرآة فى كف الأشل من جهة ندرة المشبه به لقلة تكرره على الحس ومن جهة كثرة التفصيل(١) .

هذا. والتشبيه البعيد الغريب سواء أكان لما فيه من تفصيل، أو لندرة حضور صورة المشبه به فى الذهن هو التشبيه البليغ ذكرت فيه أداة التشبيه أم لم تذكر، لأن الشىء إذا ناله الإنسان بعد جهد وطلب كان نيله أحلى وموقعه فى النفس ألطف وأجل وبالمسرة أولى، ولهذا ضرب المثل لكل مالطف موقعه ببرد الماء على الظما(٢).

أما أطلاق البليغ على التشبيه المحذوف الأداة والوجه فهو مجرد اصطلاح لبعضهم وتسميه [illegible] تشبيه مؤكد»(٣).

---

(١) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص حـ ٣ — ٤٥٢

(٢) الإيضاح حـ٣ — ٧٢

(٣) انظر حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص حـ ٤ — ٤٥٧

تحويل القريب المبتذل إلى بعيد غريب

وإذا كان التشبيه القريب لا يحتاج إلى تأمل وروية كالتشبيه بالأسد فى الشجاعة، وبالبحر فى السخاء، وبالبدر فى النور والبهاء، وبالصبح فى الظهور والجلاء، ونفى الإلتباس عنه والخفاء، لأن هذا لا يختص بمعرفته قوم دون قوم ولا يحتاج فى العلم به إلى روية واستنباط، وتدبر وتأمل، وإنما هو فى حكم الغرائز المركوزة فى النفوس والقضايا التى وضع العلم بها فى القلوب(١).

فقد يتصرف الأديب الحاذق بصنعة الكلام فى التشبيه القريب المبتذل بما يجعله بعيداً غريبا، ويرجع ذلك لأمور منها :

١ — التشبيه الضمنى :

كقول أبي نواس يمدح العباس بن الفضل بن الربيع.

إن السحابَ لتستحي إذا نظرتْ   إلى نَداكَ فقاستْهُ بما فيها(٢)

فإن تشبيه الكريم بالسحاب قريب مبتذل بيد أن الشاعر قد عرضه فى معرض التشبيه الضمنى، مما رفع عنه الإبتذال، كما أضفى عليه مزيداً من الجمال عندما أوهم بقوله : « إن السحاب لتستحي » أن السحاب حي يعرف ويعقل، وأنه يقيس فيضه بفيض كف الممدوح فيخزى ويخجل(٣).

وقول المتنبي يمدح أبا على هارون عبد العزيز الكاتب :

---

(١) أسرار البلاغة ٣٨٥
(٢) الندى : الكرم .
(٣) أسرار البلاغة ٣٨٩

لم تلق هـــذا الوجهَ شمسُ نهارِنا ... إلا بوجهٍ ليس فيـــه حياءُ

يريد : أنه لا حاجة إلى الشمس مع ضيائك ونورك ، ولكنها لعدم حيائها تطلع عليك ،

إن تشبيه الوجه الحسن بالشمس مبتذل بيد أن مجيء التشبيه ضمنيا قد رفعه عن الإبتذال ، كما زاده بهاء ورواء حديث الحياء .

وقول المتنبي أيضا :

رأت من أهوى بليلٍ عواذلي ... فقلن نرى شمساً وما طلع الفجرُ

يريد أن عواذله تعجبن من رؤية الشمس في الليل ، لأنهن حسبن وجه من أهواه شمسا .

وخص العواذل لأنهن ينكرن حبه فكان ذلك أدل له على حسنها حتى يقوم عذره عند عواذله (١)

وفيه — كما ترى — تشبيه ضمني وزاده حسنا ما فيه من تعجب .

٢ — قلب التشبيه :

قد يلجأ البلغاء والقراء إلى قلب التشبيه كقول البحتري :

في طلعة البدر شيءٌ من محاسنها ... وللقضيب نصيبٌ من تثنيها (٢)

إن تشبيه الوجه بالبدر ، والقد بالغصن تشبيه مبتذل ، بيد أن الشاعر بمهارته الفائقة أدخل عليه من صنعته ما جعله بديعا خلابا ، فقلب التشبيه

---

(١) ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ح ٢ — ١٢٣

(٢) المحاسن . جمع حسن على غير قياس لأنه لا واحد له لفظة — القضيب . الغصن والمراد بتثنيها . تمايلها وتبخترها .

فيهما ولم يقصر جهده على ذلك بل أوهم أن البدر وهو المثل في الحسن والبهاء فيه شيء من محاسنها، وأن الغصن وهو الأصل الذى يقاس به القوام المعتدل فيه نصيب من تثنيها ، ومن ثم صار التشبيه بديعا جميلا .

٣ — التفضيل :

ويعنى به أن يفضل المشبه على المشبه به كقول الشاعر :

حسبتُ جماله بدرًا منيراً وأين البدرُ من ذاكَ الجمالِ

فإن تشبيه الجمال بالبدر المنير قريب مبتذل لاكثة الألسنة ، بيد أن الشاعر رفعه من الابتذال إلى الغرابة بتفضيله على البدر .

وقد يذكر الشاعر علة لتفضيله فيزداد التشبيه جمـــالا وبهاء كقول الآخر .

من قاسَ جدواكَ بالغمامِ فما أنصفَ الحكمَ بين شكلينِ(١)
أنت إذا جدتَ ضاحكٌ أبداً وهوَ إذا جادَ دامعُ العينِ

وكما تعلم فإن تشبيه العطاء بالغمام — أيضا — قريب مبتذل ، بيد أن الشاعر قد رفعه عن الابتذال بتفضيله على الغمام ، ثم زاده حسنا وجمالا عندما علل لسر التفضل .

٤ — التشبيه المشروط :

— المراد به تقييد المشبه أو المشبه به أو كليهما بشرط وجعل هذا الشرط قيدا يتوقف عليه تمام التشبيه كقول بديع الزمان الهمذاني :

(١) الجدوى : العطاء .

يكادُ يحكيكَ صوبُ الغيثِ منسكبا
لو كان طلْقَ المحيّا يمطرُ الذهبا
والبـــدرُ لو لم يَغِبْ والشمسُ لو نطقت
والأسْدُ لو لم تُصدْ والبحرُ لو عَذُبا

فإن المألوف أن الجواد يشبه بالغيث ، وحسن الطلعة يشبه بالبدر والشمس والشجاع يشبه بالأسد ، وهى – كما ترى – من التشبيهات المبتذلة بيد أن بديع الزمان بمهارته الإبداعية وذكائه النادر ، قد أخرج هذه التشبيهات من حد الابتذال إلى درجة الغرابة حيث قلب التشبيه فجعل المشبه مشبها به لقصد المبالغة ، ولم يقصر إبداعه على ذلك ، بل ألبس التشبيه حلة زاهية بأن قيد كل مشبه من هذه التشبيهات بقيد ، وجعله شرطا يتوقف على تحققه تمام التشبيه فارتفع بذلك إلى درجة عالية من الحسن والجمال .

وقول رشيد الدين الوطواط :

عَزَماتُهُ مثلُ النجومِ ثواقِباً لو لم يكن للثاقباتِ أفولُ (١)

إن تشبيه العزمات وإرادات الممدوح المتعلقة بمعالى الأمور بالنجوم فى النفوذ قريب مبتذل لوضوح وجه الشبه ، بيد أن الشاعر ألبس التشبيه ثوبا قشيبا حيث اشترط لتمام التشبيه عدم أفول النجوم ، ولما كانت النجوم يعتريها أفول فقد فاق عليه الممدوح لأن عزماته ثواقب ليلا ونهارا . هذا ، وقد يكون الشرط فى كلا الطرفين كقولك محمد فى علمه بالأمور إذا كان غافلا كعلى فى علمه إذا كان يقظان (٢) .

---

(١) عزماته : جمع عزمة وهى التصميم فى الإرادة . ثواقب : جمع ثاقب حال من النجوم والمقصود النوافذ فى الظلمات بإشراقها . وسمى لمعان النجوم ثقوبا لظهورها من وراء الظلمة فكأنها تثقبها – والأفول الغروب .

(٢) أنظر مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ج ٣ – ٤٦٤

٥ — تعدد التشبيه :

قد يخرج التشبيه عن الابتذال إلى الغرابة — أيضا — بسبب الجمع بين عدة تشبيهات كقول امرىء القيس فى وصف فرسه :

لهُ أيطلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ
وإرخاءُ سِرْحَانٍ وتقريبُ تتفلِ(١)

فقد جمع امرؤ القيس فى البيت عدة تشبيهات تعدد فيها المشبه والمشبه به حيث شبه خاصرتى الفرس بخاصرتى الظبى فى الضمور ، كما شبه ساقيه بساقى النعامة فى الدقة، وعدوه بالذئب فى الجرى بسهولة، وسرعته بالثعلب فى الجرى بسرعة .

— وكما ترى — فإن الجمع بين تشبيهات متعددة فى بيت واحد قد أضفى عليه حسنا وبهاء .

---

(١) أيطلا : تثنية أيطل وهو الخاصرة، ويجمع على أياطل، والسرحان : الذئب ، وأرخاؤه . جريه فى سهولة ، والتقريب ضرب من العدو، والتتفل الثعلب أو جروه .

أداة التشبيه

المراد بأداة التشبيه اللفظ الدال على معنى التشبيه سواء أكان :

حرفا نحو : الكاف ، وكأن .

أو فعلا ماضيا نحو : حاكى ، وشابه ، وضاهى . وماثل .

أو مضارعا نحو : يحاكى ، ويشابه ، ويضاهى ، ويماثل .

أو أسما جامدا نحو : مثل وشبه .

أو مشتقا نحو : محاك ومشابه ومضاه ومماثل .

والأصل فى الكاف ومثل وشبه ، أن يليها المشبه به لفظا كقوله تعالى : « وهى تجرى بهم فى موج كالجبال »(١) وقوله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقول البوصيرى :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

أو تقديرا كقوله تعالى : أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين(٢) .

فالكاف فى « كصيب » لم تدخل على المشبه به لفظا بل تقديرا إذ المراد كمثل ذوى صيب من السماء . وإنما قدر المشبه به . . لأن الضمائر فى قوله تعالى : يجعلون أصابعهم فى آذانهم أحوجت إلى تقدير المرجع وهو « ذوى » فلما فتح باب التقدير قدر المثل قبله ليناسب قوله تعالى : كمثل الذى استوقد نارا(٣) .

---

(١) هود ٤٢ (٢) البقرة ١٩

(٣) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ج ٣ — ٣٨٧ .

وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله »(١) .

لأن المعنى : كونوا أنصار الله كـكون الحواريين أنصار الله وقت قول عيسى من أنصارى إلى الله ، فالمشبه به ولى الأداة تقديرا ، وقول عيسى عليه السلام قيد فى المشبه به .

وقد يلى الكاف غير المشبه به مما له دخل فيه إذا كان المشبه به مركبا بمعنى أن يكون هيئة منتزعة من متعدد ، وذكر بعد الأداة بعض هذه الأمور كقوله تعالى « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح »(٢) .

إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ، بل المراد تشبيه حالها فى نضارتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارقا ثم يهيج فتطـــيره الرياح كأن لم يكن(٣) .

ووجه الشبه : وجود الهلاك والتلف بأثر الإعجاب والاستحسان والانتفاع(٤) — وكما ترى — قد ولى الأداة شىء له تعلق بالهيئة وهو الماء لأنه أحد أجزائها .

والأصل فى كأن والأفعال والأسماء المشتقة الدالة على معنى التشبيه أن يليها المشبه عكس الكاف كقوله تعالى « كأنهن الياقوت والمرجان »(٥) فالمشبه الضمير العائد على نساء أهل الجنة والمشبه به الياقوت والمرجان .

---

(١) الصف ١٤ (٢) الكهف ٤٥

(٣) الإيضاح ج٣ — ٣٧

(٤) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص ج ٣/٣٨٨

(٥) الرحمن ٥٨

قال الحسن : هن فى صفاء الياقوت وبياض المرجان(١).

هذا . و«كأن» أقوى فى الدلالة على إلحاق المشبه بالمشبه به ، ومن ثم قالت بلقيس عندما قيل لها : « أهكذا عرشك ، قالت كأنه هو »(٢) وقد كان هو فعلا ولشدة الشبه فى نظرها استعملت « كأن ».

يقول السيد الشريف فى حاشيته على الكشاف «إن كأنه هو» عبارة من قرب عنده الشبه حتى شكك نفسه فى التغاير بين الأمرين ، فكاد يقول: « هو هو وتلك حال بلقيس »(٣).

والمشهور أن « كأن » للتشبيه على الإطلاق ، وذهب الكوفيون والزجاجى وابن الطراوة ، وابن السيد ، إلى أنها إن كان خبرها اسما جامدا فهى للتشبيه وإن كان مشتقا فهى للشك بمنزلة ظننت وتوهمت، قال ابن السيد: إذا كان خبرها فعلا أو جملة أو صفة فهى فيهن للظن والحسبان ، ولا تكون للتشبيه إلا إذا كان الخبر مما يمثل به .

ومن أدوات التشبيه : نظير ، وعدل ، وعديل ، وكفء ، ومشاكل وموازن ، ومواز . ومضارع ، وند ، وصنو ، وما كان بمعناها ، أو مشتقة منها من فعل أو اسم .

وقد أشار الطيبى إلى أن من أدوات التشبيه أفعل التفضيل ، مثل : زيد أفضل من عمرو ، وفيه بعد(٤).

---

(١) تفسير القرطبى ٦٣٥٢ ط الشعب
(٢) النمل ٤٢
(٣) حاشية السيد على الكشاف ج٣ — ١٥٠
(٤) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ج٣ — ٣٩٣

ومن أدوات التشبيه — أيضاً — «لعل» فى البخارى فى قوله تعالى : «وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون»(١) عن ابن عباس معناه : كأنكم .

وجعل عبد اللطيف البغدادى من أدوات التشبيه كلمة «سواء» كقولهم رأيت رجلا سواء هو والعدم ، ولا يخفى أن هذه الألفاظ ، بعضها يصلح للتشبيه ، وبعضها يصلح للمشابهة ، ولكن اسم التشبيه قد يطلق على الجميع(٢) .

ويرى بعض العلماء أنه قد يقوم مقام الأداة فى الدلالة على التشبيه «فعل» غير ما تقدم من الأفعال المفيدة للتشبيه ، كقولك : زرت محمداً فوجدته بحراً . وسمعته فحسبته سحبان ، بيد أن الفعل فى المثال الأول يستعمل حيث أدعى كمال المشابهة بين الطرفين ، لأن «وجد» وأخواته من أفعال اليقين وأن الفعل فى المثال الثانى يستعمل حيث أدعى ضعف المشابهة بين الطرفين ، لأن «حسب» وأخواته من أفعال الظن والحسبان .

يقول ابن يعقوب : إنما يستعمل «علمت» لإفادة التشبيه — إن قرب ذلك التشبيه — بأن يكون وجه الشبه قريب الإدراك . فيتحقق بأدنى التفات إليه ، وذلك لأن العلم معناه التحقق ، وذلك يناسب الأمور الظاهرة البعيدة عن الخفاء ، فلذلك أفاد «علمت» حال تشبيه زيد بالأسد وأنه على وجه المشابهة ، وكذا الفعل فى قولك : حسبت زيداً أسدا فإنه يستعمل لإفادة التشبيه بين زيد والأسد — إن بعد ذلك التشبيه — لبعد الوجه عن التحقق وخفائه عن الإدراك العلمى(٣) .

هذا . والحق أنه لادلالة للفعل بنوعيه على التشبيه .

---

(١) الشعراء ١٢٩
(٢) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ج ٣ — ٣٩٣
(٣) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ج ٣ — ٣٩٠

يقول الشيخ الدسوقي : إنا لا نسلم أن الفعل المذكور ينبىء عن التشبيه للقطع بأنه لا دلالة للعلم والحسبان على ذلك ، بل المنبىء عنه عدم صحة الحمل لأنا نجزم أن الأسد لا يصح حمله على زيد ، وأنه إنما يكون على تقدير أداة التشبيه ، سواء ذكر الفعل أو لم يذكر ، كما في قولنا : زيد أسد(١) .

— وكما ترى — فإن قولك : محمد يضاهى القمر ، وعلى يماثل البحر ، وقول شهاب التلعفرى ، يصف الشمس عند طلوعها :

ولاحتِ الشمسُ تحكى عند مَطْلِعها ... مرآةَ تبرٍ بَدَتْ فى كَفِّ مُرْتَعِشِ

يكون الضمير المستكن فى الفعل أو الاسم المشتق هو المشبه(٢) .

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٣ — ٣٩٠
(٢) التبر : فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغا

المرسل والمؤكد

ينقسم التشبيه باعتبار الأداة إلى قسمين : مرسل ومؤكد .

والمراد بالمرسل : ما ذكرت فيه الأداة لفظا كقوله تعالى : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت إتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون »(١) .

وقوله ﷺ : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » .

وقول الشاعر :

جمالُ الوجهِ مع قبحِ النفوسِ ... كقنديلٍ على قبرِ المجوسِ

أو تقديراً كقولك : العالم سراج أمته — إذا قدرت فى نفسك الكاف لأن المقدر كالمذكور(٢) .

وسمى هذا النوع من التشبيه مرسلا لإرساله عن التوكيد أى خلوه منه .

والمراد بالمؤكد : ما تركت فيه الأداة لفظا وتقديراً ، بمعنى أن الأداة ترك التصريح بها وتنوس تقديرها فى نظم الكلام .

يقول الشيخ الدسوقى فى التشبيه المؤكد : أى تركت أداته بالكلية وصارت نسيا منسيا ، بحيث لا تكون مقدرة فى نظم الكلام ، لأجل الإشعار بأن المشبه عين المشبه به ، بخلاف ما لو كانت الأداة مقدرة فلا يفيد الاتحاد ، فلا يكون التشبيه مؤكداً(٣) .

---

(١) العنكبوت ٤١

(٢) انظر مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ ٣ — ٤٦٤

(٣) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ ٣ — ٤٦٤

والمؤكد كقوله تعالى : إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا(١) .

وقوله ﷺ : « القلوب أوعية بعضها أوعى من بعض »(٢) .

وقول الشاعر :

عزماتهمْ قضبٌ وفيضُ أكفهم ‏ ‏ ‏ سحبٌ وبيضُ وجوهِهم أقمارُ

ومن المؤكد ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه كقول ابن خفاجه :

والريحُ تعبثُ بالغصونِ وقد جَرَى

ذهبُ الأصيـــلِ على لجينِ المـاءِ

وسمى مؤكدا لأنه أكد بدعوى اتحاد الطرفين .

هذا . والتشبيه المؤكد — كما ترى — أوجز لحذف أداته ، وموقعه في النفس حسن لإيهامه أن المشبه عين المشبه به :

---

(١) الأحزاب ٤٥ ، ٤٦

(٢) المجازات النبوية ٣٩٠ ط ١٩٦٧

تشبيه المقلوب

الأصل فى التشبيه أن يشبه الشىء بما هو أبين منه وأوضح وقد يكون غرض المتكلم مبالغة أقوى فيجعل المشبه مشبها به ، مدعيا أنه أتم وأقوى فى وجه الشبه حتى صار أصلا يقاس عليه ، ويشبه به، ويسمى هذا النوع من التشبيه بالتشبيه المقلوب كقول محمد بن وهيب يمدح المأمون :

وبدَا الصباحُ كأنَّ غُرَّتَهُ ... وجهُ الخليفةِ حينَ يُمتدَحُ

فقد شبه الشاعر غرة الصباح بوجه الخليفه فى النور والضياء إيهاما منه أنه أتم منها فى وجه الشبه — وكما ترى — فإن هذا التشبيه قد خرج عن المألوف لقصد المبالغة .

يقول الإمام عبد القاهر معلقا على هذا البيت ، ومشيدا بهذا اللون من التشبيه :

فهذا على أنه جعل وجه الخليفة كأنه أعرف وأشهر وأتم وأكمل فى النور والضياء من الصباح فاستقام له بحكم هذه النية أن يجعل الصباح فرعا ووجه الخليفة أصلا .

واعلم أن هذه الدعوى وإن كنت تراها تشبه قولهم : لايدرى وجهه أنور أم الصبح ؟ وغرته أضوأ أم البدر؟ وقولهم إذا أفرطوا: نور الصباح يخفى فى ضوء وجهه أو نور الشمس مسروق من جبينه ، أو ما جرى فى هذا الأسلوب من وجوه الاغراق والمبالغه ، فإن فى الطريقة الأولى خلابة وشيئاً من السحر(١) .

---

(١) أسرار البلاغة ٢٥٨

وكقول البحترى يصف بركة المتوكل :

كأنها حين لجت فى تدفقها يد الخليفة لما سال واديها(١)

فقد أراد البحترى أن يوهم أن يد الخليفة أكثر تدفقا بالعطاء والفيض من البركة بالماء، فشبه هذه البركة بيد الخليفة إيهاما وتخيلا أن ما يجرى على يد المتوكل من العطاء والبذل يفوق ما يفيض من المياه فى هذه البركة .

وكقول الآخر :

أحبك لهم ودونهم فلاة كأن فسيحها صدر الحليم

فالأصل أن يشبه صدر الحليم بالفلاة الفسيحة فى الإتساع بيد أن الشاعر — لقصد المبالغه فى رحابة صدر الحليم — قلب التشبيه فشبه الفلاة بصدر الحليم مبالغة وإدعاء أنه أقوى وأتم فى وجه الشبه .

وهذا التشبيه — إلى جانب ما يفيده من قوة المبالغة — مظهر من مظاهر الافتنان والإبداع ولون أخاذ من ألوان التشبيه الظريف .

ومن هذا التشبيه قوله تعالى حكاية عن مستحلى الربا « إنما البيع مثل الربا »(٢) .

يقول الزمخشرى : فإن قلت هلا قيل إنما الربا مثل البيع لأن الكلام فى الربا لا فى البيع .. قلت جىء به على طريق المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم فى حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا فى الحل حتى شبهوا به البيع(٣)

---

(١) لج فى الأمر : تمادى واستمر (٢) البقرة الآية ٢٧٥

(٣) الكشاف ج ١ — ٢٩٩

وقوله سبحانه : إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم . أفنجعل المسلمين كالمجرمين(١) .

فقد زعم المشركون أنهم سيسودون فى الآخرة كما سادوا فى الدنيا فجاء الجواب على وفق معتقدهم منكرا عليهم ما زعموه .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : قال كفار مكة : إنا نعطى فى الآخرة خيرا مما تعطون فنزلت »(٢) .

كما يقول الزمخشرى . كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين فيها ، فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا : إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا إلا مثل ما هى فى الدنيا وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا ، وأقصى أمرهم أن يساوونا فقيل : أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين(٣) .

وقوله جل شأنه : « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون »(٤) .

فإن الظاهر العكس لأن الخطاب لعبدة الأوثان الذين سموها آلهة تشبيها بالله سبحانه وتعالى فجعلوا غير الخالق مثل الخالق فخولف فى خطابهم لأنهم بالغوا فى عبادتهم وغلوا حتى صارت عندهم أصلا فى العبادة فجاء الرد على وفق ذلك(٥) .

---

(١) القلم ٣٤ ، ٣٥
(٢) تفسير القرطبى ٦٧٢٥ ط الشعب .
(٣) الكشاف جـ ٤ — ١٤٦
(٤) النحل ١٧
(٥) انظر الإيضاح جـ٣ — ٤٥ ، والإتقان فى علوم القرآن جـ٢ — ٤٣

هذا . ويرى السكاكى : أن المراد بمن لا يخلق هو الحى العالم القادر من الخلق تعريضا بإنكار تشبيه الأصنام بالله عز وجل .

يقول أبو يعقوب يوسف السكاكى : وعندى أن الذى تقتضيه البلاغة القرآنية هو أن يكون المراد بمن لا يخلق الحى العالم القادر من الخلق لا الأصنام ، ويكون الإنكار موجها إلى توهم تشبيه الحى العالم القادر من الخلق به تعالى وتقدس عن ذلك علواً كبيرا تعريضا به عن أبلغ الإنكار لتشبيه ما ليس بحى عالم قادر به تعالى ويكون قوله : « أفلا تذكرون » تنبيه وتوبيخ على مكان التعريض(١) .

وقد أشاد بهذا اللون من التشبيه ذوو الذوق الرفيع يقول الأصمعى : سمعت أعرابيا يقول : أنكم معاشر أهل الحضر لتخطئون المعنى : إن أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة ، فيقول : كأنه الأسد ، ويصف المرأة بالحسن ، فيقول : كأنها الشمس ، ولم تجعلون هذه الأشياء بهم أشبه(٢) .

كما أشاد بهذا اللون — أيضا — ابن الأثير ، فيقول معلقا على قول ابن المعتز فى تشبيه الهلال :

ولاحَ ضوءُ قُمَيْرٍ كادَ يفضَحُنَا مثلُ القلامةِ قد قُدَّتْ من الظُّفُرِ

ولما شاع ذلك فى كلام العرب ، واتسع صار كأنه هو الأصل وهو موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ (٣) .

---

(١) المفتاح : ١٦٣ (٢) نهاية الأرب جـ ٣/١٨٥
(٣) المثل السائر جـ ٢ — ١٥٧

التشبيه الضمنى

صور التشبيه المعروفة — كما علمت هى ما ذكرت فيها الأداة كأن تقول الماء كاللجين، أو تحذف فيها الأداة ويكون المشبه به خبرا نحو الماء لجين، أو خبرا الناسخ نحو : كان لجينا، وإن الماء لجين، أو حالا نحو: سال الماء لجينا، أو مصدراً مبينا للنوع نحو : صفا الماء صفاء اللجين، أو مضافا إلى المشبه نحو : سال لجين الماء، أو مفعولا به ثانيا لفعل من أفعال اليقين أو الرجحان نحو علمت الماء لجينا أو خلته لجينا .

وقد ينحو الأديب منحى آخر يوحى فيه بالتشبيه من غير أن يصرح به فى صورة من صوره المعرفة، يدفعه إلى ذلك حب التجديد فى الأساليب أو إقامة الدليل على الحكم الذى أسنده إلى المشبه، أو الرغبة فى إخفاء التشبيه لأن التشبيه كلما دق وخفى كان أبلغ وأوقع فى النفس، وهذا اللون من التشبية يسمى التشبيه الضمنى كقول أبى الطيب المتنبى .

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهوانُ عليه ... مَا لِجُـرْحٍ بميتٍ إيلامُ

يريد المتنبى أن الذى يقبل المذلة والصغار يتعود بعد ذلك أن يحتمل أنواع الذل ولا يحس بغضاضة بل إنه يستسهله ولا يتألم منه، ويضرب على صدق هذه الفكرة مثالا هو أن الميت إذا جرح لا يحس ولا يتألم .

فالمشبه : حال من هانت عليه نفسه فلم يحس ولم يتأثر بما يصيبه من ذل وهوان والمشبه به، حال الميت إذا جرح لا يتألم .

ووجه الشبه : فقدان التأثر والإحساس فى كل .

وقول بشار :

إذا بلغَ الرأيُ المشورةَ فاستَعِنْ ... برأيِ نصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ

ولا تجعلِ الشورى عليك غضاضةً
فإنّ الخوافي قـــوةٌ للقوادمِ
وماخيرُ كفٍ أمسكَ الغلُّ أختها
وماخيرُ سيفٍ لم يُؤيَّدْ بقائمِ

يوصى بشار باستشارة الإنسان إذا احتاج الأمر إلى استشارة من يثق فى إخلاصه وفى صواب رأيه .

ويعقب على هذا بقوله : إن الريشات الخافية فى جناح الطائر تقوى الريشات الظاهرة القادمة فكأنه قال . إن آراء الذين تستشيرهم تقويك وتسندك مثلما تقوى الخوافى القوادم ، وهذا تشبيه ضمنى ، جاء فى عبارة لاحقة بالأولى ، الغرض منه ضرب المثال للدليل على صدق مايقول .

ثم يعقب مرة ثانية بقوله : إن الكف التى تعمل وحدها لأن أختها مغلوله كف ضعيفة لاخير فيها ، فكأنه قال : إن استقلالك برأيك وأنت تستطيع الانتفاع بآراء المخلصين الحازمين يشبه اليد التى تعمل وحدها لأن أختها مغلوله مكفوفة عن العمل ، وهذا تشبيه ضمنى ثان .

وتجد تشبيها ضمنيا ثالثا فى قوله إن السيف الذى لامقبض له لانفع فيه كأنه قال إنك حينما تستبد برأيك وتزدرى بآراء المشيرين المخلصين تشبه سيفا لامقبض له ، وغرضه من هذا التشبيه بشىء محسوس ليؤيد دعواه(١) .

وقول المتنبى يمدح الحسين بن على الهمدانى :

وجدتُ عليا وابنَه خـــيرَ قومه
وهم خيرُ قومٍ واستوى الحرُّ والعبدُ

---

(١) الأساس فى النقد والبلاغة ١٢٦ ، ١٢٧

وأصبح شِعْرِي منهما في مَكانِهِ
وفي عنقِ الحسناءِ يُستحسَنُ العِقدُ

يريد : أن عليا أبا الممدوح وابنه الحسين ، هما خير قومهما وهم خير قوم في الناس ثم بعد هؤلاء استوى الأحرار والعبيد ، فلا يكون لأحد على أحد فضل .

وأن شعري أصبح في المكان اللائق به عند ما مدحت الأمير وأباه لأنهما أهل للثناء فاستحسن وقعه فيهما ، كما يستحسن العقد في عنق الحسناء .

ووجه الشبه : جمال الشيء لجمال موضعه .

وقوله أيضا يمدح بدر بن عمار بن اسماعيل الأسدي :

كرمٌ تَبيَّنَ في كَلامِكَ ماثِــلاً
ويبينُ عِتْقُ الخيلِ مِنْ أصْواتِها(١)

يريد : إذا سمع أحد كلامك عرف كرمك ، كما أن الفرس الكريم إذا أصهل عرف عتقه بصهيله .

فالمشبه : حال الكلام وأنه يتم عن كرم وأصل قائله .

والمشبه به : حال الصهيل الذي يدل على كرم وأصل الفرس .

ووجه الشبه : دلالة شيء على شيء آخر .

وقول أبي تمام :

لا تُنكِرِي عَطَلَ الكريمِ من الغِنَى فالسيلُ حربٌ للمكانِ العالي(٢)

---

(١) العتق : الكرم .

(٢) العطل . يقال : عطل عطلا وعطلا وعطولا : أي : خلا ، وعطلت المرأة من خلت من الحلي فهي عاطل ،

يخاطب أبو تمام نفسه ، بأنه ليس غريبا أن يحرم ذو القدر الرفيع من نعمة الثراء والغنى ، فهذا شأن ذوى الأقدار الرفيعة ، ولا بدع فى ذلك ، فالأماكن العالية ، وقمم الجبال الشامخة ، لا يأوى إليها السيل ، ولا يستقر فيها ، بل سرعان ما ينحدر إلى ما دونها .

فالكلام يوحى بتشبيه ضمنى ، ولو صرح به لقال مثلا : إن الرجل الكريم المحروم من الغنى يشبه قمم الجبال ، وقد خلت من ماء السيل ، ولكن الشاعر ، لم يقل ذلك صراحة ، وإنما أتى بجملة مستقلة ، وضمنها هذا المعنى ، فى صورة برهان على إمكان وقوع ما أسنده للمشبه .

وقول أبى فراس الحمدانى :

سيذكرنى قومى إذا جدَّ جِدُّهم
وفى الليلةِ الظلماءِ يُفتقَدُ البدرُ

فهو هنا يريد أن يقول : إن قومه سيذكرونه عند اشتداد الخطوب والأهوال عليهم ويطلبونه فلا يجدونه ، ولا عجب فى ذلك ، لأن البدر يفتقد ويطلب عند اشتداد الظلام .

فهذا الكلام يوحى بأنه تضمن تشبيها غير مصرح به ، فالشاعر يشبه حاله ضمنا ، وقد ذكره قومه وطلبوه فلم يجدوه ، عند ما ألمت بهم الخطوب ، بحال البدر ، يطلب عند اشتداد الظلام ، فهو لم يصرح به ، وإنما أورده فى جملة مستقلة وضمنه هذا المعنى فى صورة برهان .

وقول البحترى :

ضحوكٌ إلى الأبطالِ وهْو يروعُهم
وللسيفِ حدٌّ حينَ يسطُو ورونقُ

فممدوح البحترى يلقى الشجعان بوجه ضاحك ، وهو يروعهم ويفزعهم .

فى الوقت ذاته بيأسه وسطوته ، وكذلك السيف له عند القتال والضرب رونق وفتك ، وهذا كلام يشم منه رائحة التشبيه الضمنى .

فالبحترى لم يأت بالتشبيه صريحاً، فيقول : إن حال الممدوح يضحك فى غير مبالاة عند ملاقاة الشجعان ، ويفزعهم بيأسه وسطوته ، تشبه حال السيف عند الضرب له رونق وفتك ، ولكنه أتى بذلك ضمنا .

وقول ابن الرومى :

قد يشيبُ الفتَى وليس عجيباً
أن يُرَى النَّوْرُ فى القضيبِ الرطيبِ(١)

فابن الرومى يريد أن يقول : قد يعترى الفتى الشيب فى ريعان شبابه وليس ذلك بالأمر العجيب ، لأن الغصن الندى ، قد يظهر فيه الزهر الأبيض قبل أوانه .

فالأسلوب الذى عبر به ابن الرومى عن فكرته هنا يتضمن تشبيها لم يصرح به ، فإنه لم يقل : إن الفتى وقد شاب مبكراً ، كالغصن الرطيب وقد أزهر قبل أوانه ، ولكنه أتى بالتشبيه ضمنا ، لإفادة أن الحكم الذى أسند للمشبه أمر ممكن الوقوع .

وقول أبى العتاهية :

ترجُو النجاةَ ولم تسلكْ مسالكها
إن السفينةَ لا تجرى على اليَبَس

فقد شبه أبو العتاهية حال من يرجو النجاة من عـــذاب الآخرة ،

---

(١) النور : الزهر الأبيض ، والقضيب الرطيب : الغصن الغض الندى .

ولا يسلك مسالك النجاة ، بحال السفينة التى تحاول الجرى على الأرض اليابسة فلا تصل إلى غايتها(١) .

ومن ثم يتضح أن التشبيه الضمنى هو مايلمح من المعنى ، ويؤتى به عادة للدلالة على أن الأمر الذى أسند إلى المشبه ، ممكن ومعقول .

وقد أشاد بهذا اللون من التشبيه الإمام عبد القاهر ، إذ يقول : فهذا كله ومغزاه وحقيقة معناه تشبيه ، ولكن كنى لك عنه ، وخودعت فيه ، وأتيت به من طريق الخلابة فى مسلك السحر ، ومذهب التخييل فصار لذلك غريب الشكل بديع الفن ، منيع الجانب لا يدين لكل أحد(٢) .

(١) علم البيان ١٠٢ (٢) أسرار البلاغة ٢٩٨

أغراض التشبيه

الأديب يلجأ إلى التشبيه لأغراض ينشدها ، وأهداف يقصدها ، وهذه الأهداف ، وتلك الأغراض منها مايعود على المشبه ، ومنها مايعود على المشبه به وإليك البيان .

مايعود على المشبه :

١ — بيان حال المشبه : وذلك إذا كان المشبه مجهول الصفة عند المخاطب فيلحق بمشبه به معروف عنده بيانا لهذه الحال كقوله تعالى : يوم يكون الناس كالفراش المبثوت .

فالمشبه الناس والمشبه به الفراش المبثوت .

يقول الزمخشري : شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار .

وكقول امرىء القيس :

كأن قلوبَ الطيرِ رَطْباً ويابِساً لدى وَكْرِها العنابُ والحشفُ البالي

فقد شبه امرؤ القيس الرطب من قلوب الطير واليابس منها بالعناب والحشف البالي بيانا لما فيها من الأوصاف كالشكل والمقدار واللون ، وواضح أن العناب والحشف البالي هي الأشياء التي يكثر مشاهدتها .

وينبغي لتحقيق هذا الغرض أن يكون المشبه به معروفا بوجه الشبه عند المخاطب .

---

(١) القارعة ٤

(٢) الكشاف جـ ٤ ص ٢٧٩ — المبثوت : المتفرق المنتشر .

يقول بن يعقوب : فلو لم يكن المشبه به أعرف بالوجه لزم أن يكون في التشبيه تعريف مجهول بمجهول(١).

٢ — بيان مقدار حال المشبه : من الزيادة والنقصان ، أو القوة أو الضعف ، وذلك إذا كان المخاطب يعرف حال المشبه معرفة إجمالية . ويجهل مقدار هذه الحال ، فيلحق حينئذ بشيء يعرف المخاطب مقدار حاله كقول عنترة يصف ، ركائب أحبابه الراحلين :

فيها اثنتانِ وأربعونَ حلوبةً   سُودًا كخافيةِ الغرابِ الأسحمِ(٢)

فالمخاطب يعرف حال المشبه ، وأنه أسود اللون لكن لا يدري مدى هذا السواد ، فجاء الشاعر بهذا التشبيه كاشفا عن مقدار السواد ، وأنه على حد سواد الغراب الأسحم المعروف لدى المخاطب بشدة سواده ، وقول الأعشى .

كأنّ مِشْيتَها من بيتِ جارَتِها   مرُّ السحابةِ لا ريثٌ ولا عَجَلُ(٣)

فقد شبه الشاعر مشيتها بمر السحابة لا بطء ولا عجل ، ولما كان المشبه معروف الصفة . فقد أشار الشاعر إلى نوع المشي ، فقال . لا ريث ولا عجل ، وبذلك حدد مقدار هذه الصفة وأنها وسط بين الاسراع والبطء .

هذا وينبغي — أيضاً — لتحقيق هذا الغرض أن يكون المشبه به

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٣ — ٤٠٠ .
(٢) الخوافي . ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح — الأسحم ـ الأسود .
(٣) الريث . البطء .

أعرف وأشهر فى وجه الشبه من المشبه لدى المخاطب، وأن يكون مساويا له فى المقدار من غير زيادة ولا نقصان .

يقول الشيخ الدسوقى . إن التشبيه الذى قصد به بيان مقدار حال المشبه ، المخاطب به يعرف الحال فى المشبه وطالب لبيان مقدار تلك الحال ، فلابد أن يكون الوجه الذى هو الحال المطلوب مقداره فى المشبه به على قدره فى المشبه من غير زيادة ولا نقصان (١) .

٣ — تقرير حال المشبه وتمكينها فى ذهن السامع ، ويكثر ذلك فى تشبيه الأمور المعنوية فى صور حسية مشاهدة حتى تتمكن الصورة فى نفس السامع وتستقر فى ذهن المخاطب لأن النفس إلى الحس أميل ، كقوله تعالى : والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال (٢).

فالآية الكريمة تتحدث فى شأن من يعبدون الأوثان ، وأنهم إذا دعوا آلهتهم لا يستجيبون لهم . ولا يرجع إليهم هذا الدعاء بفائدة ، ولا يعود عليهم بطائل ، ولا يلحقهم من ورائه نفع ، وقد أراد الله أن يقرر هذه الحال ويثبتها فى الأذهان فشبه هؤلاء الوثنيين بمن يبسط كفيه إلى الماء ليشرب فلا يصل الماء إلى فمه، وذلك لأنه يخرج من خلال أصابعه مادامت كفاه مبسوطتين .

وقول الشاعر .

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص ج ٣ — ٤٠١

(٢) الرعد ١٤

فقد أراد الشاعر أن يقرر أن القلوب المتنافرة لا تعود إلى الصفاء كما كانت فأبرزها فى صورة تشاهد بالعين لتؤمن به النفس ويسكن إليه الفؤاد والمشبه هو القلوب المتنافرة . والمشبه به : الزجاجة المتصدعة ووجه الشبه تعذر عودة كل إلى حالته الأولى .

ولتحقيق هذا الغرض ينبغى أن يكون المشبه به أشهر ، وأعرف فى وجه الشبه من المشبه كما ينبغى أيضا أن يكون أتم منه وأقوى .

يقول ابن يعقوب :

وأما التقرير فيقضى الأتمية والأشهرية معا ، لأن المراد تمكين ذلك الوجه فى النفس وتقريره عندها حتى تطمئن إليه(١) .

٤ — بيان إمكان المشبه : وذلك إذا كان المعنى غريبا يستبعد حدوثه فيشبه حينئذ بشىء مسلم الوقوع ليكون كالدليل على إمكانه كقول المتنبى يمدح سيف الدولة .

فإن تَفُقِ الأنامَ وأنتَ منهم فإن المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

يريد أبو الطيب : أنه لا غرابة أن تفوق الأنام مع أنك ، واحد منهم لأنك لك نظير وهو المسك فإنه بعض دم الغزال وقد فاق على سائر الدماء .

يقول الإمام عبد القاهر : إنه أراد أنه فاق الأنام وفاتهم إلى حد بطل معه أن يكون بينه وبينهم مشابهة ومقاربة ، بل صار كأنه أصل بنفسه وجنس برأسه ، وهذا أمر غريب وهو أن يتناهى بعض أجزاء الجنس فى الفضائل الخاصة به إلى أن يصير كأنه ليس من ذلك الجنس ، وبالمدعى له حاجة أن يصحح دعواه فى جواز وجوده على الجملة . إلى أن يجىء إلى

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٣ — ٤٠١

وجوده فى الممدوح ، فإذا قال : فإن المسك بعض دم الغزال فقد احتج لدعواه ، وأبان أن لما ادعاه أصلا فى الوجود(١) .

— وكما ترى — المشبه : الممدوح فى تفوقه على أصله .

والمشبه به : المسك فى تفوقه — أيضا — على أصله .

ووجه الشبه : تفوق الفرع على أصله .

وكقول أبى العلاء المعرى :

وإن كنت تبغى العيش فابغ توسطا
فعند التناهى يقصر المتطاول

توقى البدور النقص وهى أهلة
ويدركها النقصان وهى كوامل

فقد شبه الشاعر حال الشخص فى أمنه من النقص عند التوسط فى العيش وعدم أمنه منه إذا بلغ نهايته بحال البدور فى أمنها من النقص وهى أهلة وإدراكه لها بعد كما لها ووجه الشبه : الأمن من النقصان عند التوسط والخوف منه عند الكمال .

وكقول أبى تمام :

وطولُ مُقَامِ المرءِ فى الحى مُخْلِقٌ
لديباجتيه فاغتربْ تتجدَّدِ

فإنى رأيتُ الشمسَ زيدتْ محبةً
إلى الناسِ أن ليستْ عليهم بسرمدِ(٢)

---

(١) أسرار البلاغة ١٣٨ ، ١٣٩

(٢) التناهى : بلوغ النهاية ، والمتطاول ، اسم فاعل من تطاول بمعنى تمدد

(٣) المخلق : المبلى ، والديباجة ، الوجه والمراد بديباجتيه صفحتاه — السرمد : الدائم.

فقد شبه الشاعر حال المرء في اكتسابه المحبة بالاغتراب بحال الشمس في اكتسابها المحبة بطلوعها وغروبها .

يقول صاحب الإيضاح : قس حالك وأنت في البيت الأول ، ولم تنته إلى الثاني عن حالك وأنت قد انتهيت إليه ، ووقفت عليه . تعلم بعد ما بين حالتيك في تمكن المعنى لديك(١) .

وينبغي لتحقيق هذا الغرض أن يكون المشبه به أشهر في وجه الشبه من المشبه وأن يكون مسلم الوقوع .

يقول صاحب المطول : بيان إمكانه إنما يقتضي كون المشبه به بوجه الشبه أشهر ليصح قياس المشبه عليه : وجعله دليلا على إمكانه(٢) .

كما يقول الشيخ الدسوقي : المطلوب في بيان الإمكان إنما هو مجرد وقوع وجه الشبه في الخارج في ضمن المشبه به ليفيد عدم الاستحالة . وغاية ما يقتضي ذلك مجرد العلم بالوجود الخارجي ليسلم الإمكان(٣) .

٥ — تزيين المشبه ويعني به تصويره بصورة جميلة محببة للنفوس ليتخيلة المخاطب فيرغب فيه كقول الشاعر :

تفاريقُ شيبٍ في الشبابِ لوامعُ
وما حسنُ ليلٍ ليس فيه نجومُ

فقد شبه الشاعر هيئة ظهور بياض الشيب يلمع بين سواد الشعر بهيئة نجوم تتألق في جنح الليل ووجه الشبه : هيئة اختلاط شيء ناصع البياض بآخر حالك السواد .

---

(١) الإيضاح جـ٣ — ٩ ، ١٠
(٢) المطول ٣٣٢
(٣) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص جـ٣ — ٤٠٠

وقول الآخر :

سوداءُ واضحةُ الجبينِ كمقلةِ الظبيِ الغريرِ(١)

فلأجل الترغيب فى الوجه الأسود شبهه الشاعر بمقلة الظبى فى حسن سوادها واستعارته تزيينا له .

وكقول شهاب الدين الظاهرى في تزيين الشيب :

رأتْ شيبتي قالتْ عجيبٌ مع الصِّبا
مشيبكُ هـذا صِفْهُ لى بحياتي

فقلت لها ماذاكَ شيبٌ وإنما سناكِ بقلبى لاحَ فى وجناتي

إن شهاب الدين الظاهرى لم يسلك هذا الطريق المسلوك ، فيقر بالشيب ثم ينبرى لوصفه بأجمل الأوصاف لعل ذلك يغطى على عيبه، ولكن جحده أصلا ، وادعى أن هذا البياض نور الحبيبة قر فى قلبه وتألق فى عارضيه ، وذلك كما ترى نهج طريف مستملح(٢) .

٦ — تقبيح المشبه : أى إظهاره فى صورة تشمئز منها النفس ، وينفر منها القلب ليتخيله المخاطب فيرغب عنه كقول أبى محجن الثقفى فى وصف قينــة :

ترفعُ الصوتَ أحياناً وتخفضهُ كما يطنُّ ذبابُ الروضةِ الغردُ(٣)

فقد شبه الشاعر صوت مغنية بطنين أجنحة الذباب، وفيه — كما ترى — من القبح ما فيه .

وقول الآخر :

(١) المقلة . حدقة العين — الغرير . حسن الشكل

(٢) فن التشبيه جـ ٢ — ١٩٠

(٣) العمدة جـ ١ — ٢٠٦

وتفتحُ - لا كانت فما لو رأيتَهُ تخيلتهُ باباً من النارِ يُفتح

٧ — استطراف المشبه : أي ابرازه فى صورة طريفة خلابة تأسر القلب وتملك السمع ويظهر ذلك فى صورتين :

أحداهما : أن يبرز المشبه فى صورة ممتنعة الوجود فى الخارج كقول الشاعر .

رأيتُ فحما سرَى فيه اللهيبُ حكَى
بحرا من المسكِ ذا موجٍ من الذهبِ

فقد شبه الشاعر . حال فحم سرت فيه النار بحال بحر من مسك موجه الذهب ووجه الشبه . الهيئة الحاصلة من وجود شيء مضطرب مائل إلى الحمرة فى أثناء شيء أسود .

— وكما ترى — فقد عرض الشاعر صورة الفحم تسرى فيه النار وهو شيء تافه لا يعبأ به فى صورة شيء نفيس لم تقع العين على مثله مما أكسب التشبيه جدة وطرافة .

والأخرى : أن يبرز فى صورة يندر حضورها فى الذهن عند حضور المشبه كقوله تعالى «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم»(١) .

ما يعود على المشبه به .

أما الأغراض التى تعود على المشبه به فتتحقق فى صورتين :

١ — التشبيه المقلوب والغرض منه . إيهام أن المشبه به أقوى وأتم من المشبه فى وجه الشبه كقول الشاعر .

---

(١) يس ٣٩

والبـدرُ في أُفْقِ السماءِ كغادةٍ   بيضاءَ لاحتْ في ثيابِ حِدَادِ
حتى بَدَا وجـهُ الصباحِ كأنه   وجهُ الحبيبِ أتى بلا ميعادِ(١)

فقد أوهم الشاعر أن المشبه أقوى وأتم فى وجه الشبه من المشبه به بجعل الأصل فرعا والفرع أصلا .

٢ — بيان الاهتمام بالمشبه به كأن يشبه الجائع وجها جميلا بالرغيف فى البياض والاستدارة . فيدل بهذا التشبيه على اهتمامه به ورغبته فيه .

ويسمى هذا النوع من التشبيه «اظهار المطلوب» لكون صاحبه يأتى بما يدل على مطلوبه .

ويرى السكاكى أن هذا النوع من التشبيه لا يحسن اللجوء إليه إلا فى مقام الطمع فى حصول المطلوب .

يقول أبو يعقوب يوسف السكاكى .

وربما كان الغرض العائد إلى المشبه به بيان كونه أهم عند المشبه كما إذا أشير لك إلى وجه كالقمر فى الإشراق والاستدارة ، وقيل هذا الوجه يشبه ماذا ؟ فقلت الرغيف ، إظهارا لاهتمامك بشأن الرغيف لا غير ، وهذا الغرض يسمى إظهار المطلوب ولا يحسن المصير إليه إلا فى مقام الطمع فى تسنى المطلوب(٢) .

---

(١) يريد بثياب الحداد . ثياب الحزن والأسى وتكون — عادة — سوداء وعبر بقوله . بلا ميعاد . ليكون أدل على شدة ابتهاجه بلقاء الحبيب .
(٢) المفتاح ١٦٤ ط ١٩٢٧ — الحلبي

التشبيه المقبول والمردود

إذا جاء التشبيه وافيا بالغرض المسوق له، محققا الغاية المنشودة منه، كان تشبيها مقبولا، كما سبق من الشواهد الناصعة، والأمثلة الرائعة، والنماذج الأدبية الرفيعة.

أما إذا جاء قاصراً عن إفادة الغرض المأمول، والهدف المقصود والغاية المرجوة، فهو تشبيه مردود، كقول الشاعر يصف روضا:

كَأَنَّ شقائقَ النُّعمانِ فيه ثيابٌ قد رَوِينَ من الدماءِ

فهذا وإن كان تشبيها مصيبا فإن فيه بشاعة ذكر الدماء، ولو قال من العصفر (١) مثلا أو ما شاكله لكان أوقع في النفس، وأقرب إلى الأنس (٢)

وقول عبد الرحمن بن عبد الله القس:

أرى هجرَها والقتلَ مِثْلَيْنِ فاقصُروا
ملامَكمُ فالقتلُ أعْفَى وأيسرُ

فأوجب هذا الشاعر للقتل والهجر أنهما مثلان، ثم سلبهما ذلك بقوله القتل أعفى وأيسر، فكأنه قال: إن القتل مثل الهجر وليس هو مثله. يقول قدامه بن جعفر:

وأرى أن هذا الشاعر أراد أن يقول: بل القتل أعفى وأيسر، ولو قال « بل » لكان الشعر مستقيما، لأن مقام لفظة « بل » مقام ما ينفى الماضى

---

(١) العصفر: بضم العين والفاء نبات صيفى يستعمل زهره تابلا ويستخرج منه صبغ أحمر يصبغ به الحرير ونحوه.

(٢) العمدة: حـ١ صـ٢٠٥ ط الأولى ١٩٢٥

ويثبت المستأنف ، ولكنه لما لم يقلها ، وأتى بجمع الإثبات ونفيه ، استحال شعره (١) .

وقول المرار بن منقذ العدوى فى وصف الخال :

وخَالٍ على خَدَّيْكَ يَبْدُو كَأنَّهُ
سَنَا البدرِ فِي دَعْجَاءَ بادٍ دُجُونُها(٢)

والمعروف أن الخيلان سود أو سمر ، والخدود الحسان إنما هى البيض فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى (٣) .

وقول أبى تمام :

وَيَوْمٍ كَطُولِ الدهرِ فى عَرْضِ مثلِهِ
ووجدى من هَذَا وهَذَاكَ أطولُ

فجعل للدهر — وهو الزمان — عرضا وذلك محض المحال ، وعلى أنه ما كانت به إليه حاجة ، لأنه قد استوفى المعنى بقوله « كطول الدهر » فأتى على الغرض فى المبالغة(٤) .

وقوله أيضاً :

وَرَحْبَ صَدْرٍ لو أن الأرضَ واسعةٌ
كَوُسْعِهِ لم يَضِقْ عن أهلِهِ بَلَدُ

---

(١) نقد الشعر تحقيق د/محمد عبد المنعم خفاجي ٢٠٠ ط الأولى ١٩٧٩
(٢) دعجت العين : أشتد سوادها وبياضها وأتسعت فهى دعجاء . الدجنة : السواد والظلمة .
(٣) الصناعتين : تحقيق أبو الفضل إبراهيم ١٠٢ ، ١٠٣ عيسى الحلبى
(٤) الموازنة تحقيق السيد صقر حـ ٦ ١٩٦ ، ١٩٧ ط دار المعارف ط الثانية ١٩٧٢

وهذا المعنى فاسد ، وذلك لأن البلدان التى تضيق بأهلها ، لم تضق بأهلها لضيق الأرض ، ومن خطط البلدان لم يختطها على قدر ضيق الأرض وسعتها وإنما اختطت على حسب الاتفاق . ولعل المسكون منها لا يكون جزءا من ألف جزء ، فلأى معنى تصييره ضيق البلدان الضيقة من أجل ضيق الأرض .

والصواب أن يقول : ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعه لم يسعها الفلك ، أو لضاقت عنها السماء ، أويقول : لو أن سعة كل بلد كسعة صدره ، لم يضق عن أهله بلد(١) .

وقول المتنبى يمدح سيف . ويصف نكايته بالروم .

نثرتهمُ فوقَ الأحيدبِ نثرةً كما نُثِرَتْ فوقَ العروسِ الدراهمُ(٢)

يريد : أنه مزقهم كل ممزق فوق هذا الجبل ،وبدد جثثهم أشلاء كما تبدد الدراهم التى تنثر فوق العروس .

والتشبيه جيد من هذه الناحية ، ولكن يعيبه عدم التوافق فى الجو العاطفى ، فالشطر الأول يهيم بك فى جو قابض كئيب عابس جو الموت والجراح والدماء والأشلاء والأنين والتوجع .

والثانى ينقلك إلى جو ضاحك مرح فرح بهيج ، جو العروس المجلوة على المنصة فى أبهى حللها ، بين أترابها الناضرات يغنين ويتخطرن ، وينثرن فوقها الدراهم . وأين هذا من ذاك (٣) .

---

(١) الصناعتين : ١٣٩
(٢) الأحيدب : جبل ، والنثر : التفريق .
(٣) فن التشبيه حـ — ١٧٣

وقول الفرزدق :

يمشونَ في حَلَقِ الحديدِ كما مَشَتْ
جربُ الجمالِ بها الكُحَيْلُ المشعلُ (١)

فقد شبه الشاعر . الرجال فى دروع الزرد بالجمال الجرب ، وهو مردود لأنه إن أراد السواد فلا مقاربة بينهما فى اللون ، لأن لون حديد الدروع أبيض ، وإن أراد شيئاً آخر فهو غير واضح مع ما فيه من السخف (٢) .

هذا . ولكى يأتى التشبيه محققاً أهدافه ومراميه . ينبغى التأنق فى أختيار الألفاظ وموحياتها ، إلى جانب رعاية المقامات ، وروعة المعانى وبهائها .

(١) الكحيل . ضرب من النفط أسود رقيق — تطلى به الإبل ، وأشمل أبله بالقطران كثر عليها منه .
(٢) بغية الإيضاح جـ ٣ — ٧٩، ٨٠

مراتب التشبيه

للتشبيه باعتبار — ذكر الأداة والوجه — مراتب ثلاث، تتفاوت قوة وضعفا، وإليك بيانها :

١ — ما ترك فيها الوجه والأداة وهى عليا المراتب — كقولك : محمد أسد، وعلى قمر .

وذلك لأن ترك الوجه يفيد بحسب الظاهر عموم جهة الالحاق بمعنى أن المشبه يماثل المشبه به فى جميع أوصافه من القوة والمهابة والإقدام والشجاعة إلى غير ذلك من أوصاف الأسد . وكذلك فى الأشراق والعلو والرفعة، إلى غير ذلك من أوصاف القمر، بخلاف ما لو ذكرت الوجه : فقلت « محمد أسد فى الشجاعة » . « وعلى قمر فى الإشراق » فإنه يفيد أن محمدا يشبه الأسد فى الشجاعة فقط، وأن عليا يشبه القمر فى الأشراق فقط .

كما أن حذف الأداة يفيد بحسب الظاهر أيضا، أن المشبه عين المشبه به إدعاء، لأن الخبر عين المبتدأ فى المعنى، بخلاف مالو ذكرت الأداة فإنه يفيد أن محمدا غير الأسد، وأن عليا غير القمر، وهذا يضعف دعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به .

٢ — ماحذف منها الأداة وحدها، كأن تقول : محمد كالأسد شجاعة وعلى كالقمر أشراقا، أو حذف فيها وجه الشبه كما تقول : محمد كالأسد وعلى كالقمر، وهذه المرتبة متوسطة .

وذلك لأنك بذكرك الوجه حصرت التشبيه بين الطرفين فلم تدع للخيال مجالا، كما أنك بذكر الأداة قد نصصت على وجود التفاوت بين المشبه والمشبه به .

٣ — ماذكرت فيها الأداة والوجة وهى دون المراتب ـ لأنها خلت من الميزتين السابقتين كأن تقول : محمد كالأسد فى الشجاعة ، وعلى كالقمر فى الإشراق .

هذا باعتبار ذكر أركان التشبيه كلها أو بعضها — وهو المقصود فى هذا المقام — .

وقد يكون اختلاف مراتب التشبيه ، إما باعتبار اختلاف المشبه به كقولنا زيد كالأسد ، أو كالسرحان فى الشجاعة (١) فإن دلالة الأسد على الشجاعة ، أقوى من دلالة السرحان عليها .

أو باعتبار اختلاف الأداة كقولنا : زيد كالأسد ، وكأن زيداً الأسد (٢) لأن كأن يفيد الظن مع التشبيه ، والظن قريب من العلم ، فيفيد شدة المشابهة (٣) .

ومن ثم فإن بلقيس ملكة سبأ عندما قيل لها ، أهكذا عرشك : قالت كأنه هو ، (٤) .

قال القرطبى : شبهته به لأنها خلفته تحت الأغلاق ، فلم تقر بذلك ولم تنكر ، فعلم سليمان كمال عقلها ، وقال عكرمة : كانت حكيمة فقالت ، كأنه هو ، وقال مقاتل : عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها . ولو قيل لها : أهذا عرشك لقالت نعم هو ، وقاله الحسن بن الفضل أيضا (٥) .

---

(١) السرحان : بكسر السين : الذئب .
(٢) المطول ٣٤٥ ط ١٣٣٠ هـ .
(٣) بغية الايضاح جـ ٣ ص ٨١
(٤) النمل ٤٢
(٥) تفسير القرطبى ط دار الشعب ٤٩٢٣

وقد علق السيد الشريف على قول بلقيس «كأنه هو» بقوله : حكمته والله أعلم أن «كأنه» هو عبارة من قرب عنده الشبه حتى شكك نفسه فى التغاير بين الأمرين ، فكاد يقول هو هو وتلك حال بلقيس ، وأما هكذا هو فعبارة جازم بتغاير الأمرين حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير ، فلهذا عدلت إلى العبارة المذكورة فى التلاوة لمطابقتها لحالها (١) .

وللتشبيه — أيضا — مراتب أخرى باعتبار أقسامه السابقة من كون وجه الشبه فيه مفردا أومركبا أو متعددا ، حسيا كان أو عقليا ، وكذلك له مراتب أخرى باعتبار كون طرفيه حسيين أوعقليين ، أوأحدهما حسى والآخر عقلى ، وكونهما مفردين أومركبين ، أو أحدهما مفرد والآخر مركب — كما سبق من الشواهد البينة ، والأمثلة النيرة — .

(١) الكشاف حـ٣ ص١٥ ط ١٩٧٢ الحلبى .

المجـــاز

المجاز لغة : مصدر ميمى على زنة « مفعل معناه الجواز والتعدية من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه (١).

يقول الشيخ الدسوقى فى حاشيته: نقل فى الاصطلاح من المصدرية إلى الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له ، باعتبار أنها جائزة ومتعدية مكانها الأصلى ، فيكون المصدر بمعنى اسم الفاعل، أو باعتبار أنها يجوزبها ومتعدى بها مكانها الأصلى فيكون بمعنى اسم المفعول (٢) .

هذا ، والمجاز اللغوى إما مفرد أو مركب .

المجاز المفرد

والمجاز المفرد : هو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعى .

والمقصود بالعلاقة : المناسبة بين المعنى الحقيقى الموضوع له اللفظ ، والمعنى المقصود من اللفظ .

---

(١) هذا على رأى الإمام عبدالقاهر . أنظر أسرار البلاغة ٣٤٨ تحقيق الشيخ المراغى .

ويرى الخطيب : أن المجاز فى اللغة : اسم مكان بمعنى مكان الجواز ، من قولهم : جعلت هذا مجازا لحاجتى ، أى طريقا إليها ، فالمجاز طريق إلى تصور المعنى المراد — أنظر الإيضاح جـ ٣ — ٩٠

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ ٤ — ٢٠

والمراد بالقرينة : الأمر الصارف عن إرادة المعنى الحقيقى :

وذلك كقول أبى تمام :

وكيفَ احتمالِى للسحابِ صنيعةً
بإسقائها قبراً وفى جوفه البحرُ

فإن لفظ « البحر » لا يراد به المعنى الحقيقى الموضوع له اللفظ ، وإنما المراد « الكريم المعطاء » ومن ثم فإن اللفظ مستعمل فى غير ما وضع له .

— وكما ترى — فإن الصلة بين المعنى الموضوع له اللفظ والمعنى المستعمل فيه هى مشابهة الرجل الكريم بالبحر فى الفيض والإمداد .

وهذه الصله هى العلاقة ، والقرينة قوله : « وفى جوفه » ، وهذا النوع من المجاز يسمى « استعارة » .

وقول الآخر :

أحسنْ إلى الناسِ تستعبدْ قلوبَهمُ
فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

فقد أطلق الشاعر « القلوب » وأرادبها « الذوات » وهذا المعنى لم يوضع له لفظ « القلوب » والعلاقة بين المعنى الحقيقى للفظ والمعنى المراد هى « الجزئية » لأن القلب جزء من « الذات » والقرينة قوله « تستعبد » وهذا النوع من المجاز يسمى « مرسلا » .

ومن ثم يتبين أن العلاقة بين المعنيين إن كانت المشابهة سمى اللفظ « استعارة » وإن كانت غير المشابهة سمى اللفظ « مجازا مرسلا » .

هذا ، والمجاز من أروع الوسائل البيانية لإيضاح المعنى وتقريره ، إذ

به يخرج المعنى متصفا بصفة حسية ، لهذا أشغفت العرب باستعمال المجاز ، لميلها إلى الاتساع فى الكلام ، وإلى الدلالة على كثرة معانى الألفاظ ، ولما فيه من الدقة فى التعبير ، فيحصل للنفس به سرور وأريحيه ولأمر ما كثر فى كلامهم حتى أتوا فيه بكل معنى رائق ، وزينوا به خطبهم الفصاحه وأشعارهم . (١)

يقول الشريف المرتضى : وكلام العرب وحى إشارات واستعارات ومجازات ولهذه الحال كان كلامهم فى المرتبة العليا من الفصاحة ، فإن الكلام متى خلا من الاستعارة وجرى كله على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة بريا من البلاغة (٢)

---

(١) جواهر البلاغة ٢٩٠ .
(٢) أمالى المرتضى ح — ٤

المجاز المرسل

المجاز المرسل : هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى .

والمجاز المرسل علاقات كثيرة أشهرها :

١ — السببية : وهى أن يكون المعنى الحقيقى للفظ المذكور سبباً فى المعنى المراد .

كقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين(١)

سمى جزاء الاعتداء اعتداء لأن الاعتداء سبب الجزاء .

يقول الرمانى : أى جازوه بما يستحق على طريق العدل(٢)

وقوله سبحانه : وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر من بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل(٣)

فسمى القصاص سيئة لأنها سبب فيه .

يقول القاضى عبد الجبار : فالمراد به الجزاء على السيئة وذلك مجاز مشهور فى اللغة . ولذلك قال الله تعالى بعده «فمن عفا وأصلح فأجره على الله»

---

(١) البقرة الآية ١٩٤
(٢) النكت فى إعجاز القرآن ٩٩
(٣) الشورى ٤٠ ، ٤١

والمراد بذلك من عفا عن السيئة ولم يقابل بمثلها ولا كافأ عليها ، ولذلك قال بعده : « ولمن انتصر من بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل » فبين أنه إذا انتصر وقد ظلم فلا سبيل عليه ، ولو كان ما فعله سيئة لما صح ذلك[1] .

وقوله صلى الله عليه وسلم — وقد قالت له نساوه : أيتنا أسرع لحاقا بك يارسول الله ؟ فقال : « أطولكن يدا » يريد السخاء والجود وبسط اليد بالبذل (٢) .

يقول الإمام عبد القاهر : إنما يقال : جلت يده عندى . وكثرت أياديه لدى فتعلم أن الأصل صنائع يده وفوائده الصادرة عن يده وآثار يده (٣) .

وقول عمرو بن كلثوم :

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أحدٌ علينَا ... فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينَا

أى نهلكه ونعاقبه بما هو أعظم من جهله ، فنسب الجهل إلى نفسه وهو يريد الاهلاك والمعاقبة (٤) .

— وكما ترى — الجهل الأول حقيقة والثانى مجاز مرسل عبر به عن مكافأة الجهل لأنه سببها .

٢ — المسببية : وهى أن يكون المعنى الأصلى للفظ المذكور مسببا عن المعنى المراد .

---

(١) أنظر : تنزيه القرآن عن المطاعن ٣٧٥

(٢) أسرار البلاغة ٤٠٣

(٣) أسرار البلاغة ٣٩٩

(٤) شرح القصائد العشر للتبريزى ٣٢٢

كقوله تعالى : « هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا(١) » .

أى مطرا يتسبب عنه الرزق . والقرينة ينزل من السماء .

يقول الزمخشرى : والرزق : المطر لأنه سببه (٢) .

وقوله سبحانه : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » (٣).

أى إذا أردت أن تقرأ فعبر عن الإرادة بالقراءة ، لأن القراءة مسببة عن الإرادة بدليل التعبير بالفاء التى تدل على الترتيب والتعقيب ، إلى جانب استفاضة السنة بتقديم الاستعاذة قبل القرأة (٤) .

يقول القاضى عبد الجبار : ربما قيل : كيف يصح ذلك والاستعاذة تتقدم قراءة القرآن لأنها تتأخر عنه . وجوابنا أن المراد فإذا عزمت على قراءة القرآن وهممت فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » (٥) .

وقوله جل شأنه : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » (٦).

فقد أطلقت كلمة « قوة » وأريد سببها وهو الأسلحة والمعدات القتالية

---

(١) غافر ١٣
(٢) الكشاف حـ٣ — ص٤١٩
(٣) النحل ٩٨
(٤) الإيضاح حـ٣ — ٩٨
(٥) تنزيه القرآن عن المطاعن ٢٢٠
(٦) الأنفال ٦٠

وغيرها مما يساعد على سحق العدو وإحراز النصر، فالعلاقة المسببة والقرينة « وأعدوا » لأن الذى يعد هو السلاح الموصل للقوه .

قال ابن عباس : القوة هنا : السلاح والقسى (١).

وقال الزمخشرى فى المراد من «قوه» : كل مايتقوى به فى الحرب من عددها (٢) .

٣ — اعتبار ما كان : وهو أن يسمى الشيء بأسم ما كان عليه .

كقوله تعالى : « وآتوا اليتامى أموالهم » (٣) .

أى الذين كانوا يتامى إذ لا يتم بعد البلوغ والقرينة « آتوا » .

قال ابن يعقوب المغربى : فقد أطلق اليتامى على البالغين لأن إيتاء المال بعد البلوغ ، وإطلاق ذلك على البالغين إنما هو بأعتبار الوصف الذى كانوا عليه قبل البلوغ (٤) .

وقال الزمخشرى : إن فيه إشارة إلى أن يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ ولا يعطوا إن آنس منهم الرشد ، وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار (٥) وقوله سبحانه « إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا (٦) سماه مجرما بأعتبار ما كان عليه فى الدنيا من الإجرام (٧).

(١) تفسير القرطبى ٢٨٧٤ ط الشعب .
(٢) الكشاف للزمخشرى جـ ٢ — ١٦٥
(٣) النساء ٢
(٤) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ ٣ — ٤٠
(٥) الكشاف جـ ١ — ٤٩٣ (٦) طه ٧٤
(٧) الايضاح جـ ٣ — ٩٩

٤ — اعتبار ما يكون : وهو أن يسمى الشيء باسم ما يؤول إليه .

كقوله تعالى : ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمراً (١) فالمراد بالخمر العنب الذى يصير إلى خمر ، والقرينه أعصر ، لأن الخمر عصير والعصير لا يعصر .

قال الزمخشرى : يعنى عنباً تسمية للعنب بما يؤول إليه (٢).

وقوله سبحانه : فبشرناه بغلام حليم (٣) .

فالطفل لا يولد غلاما وحليما . ومن ثم فإن إطلاق لفظ الغلام والحليم تسميته له بما يصير إليه .

يقول القرطبى : أى أن يكون حليما فى كبره فكأنه بشر ببقاء ذلك الولد ، لأن الصغير لا يوصف بذلك (٤) .

وقوله جل شأنه : وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا (٥) .

أى وليدا يؤول أمره إلى الكفر والفجور ، والقرينة قوله «ولا يلدوا» قال الزمخشرى : لا يلدوا إلا من سيفجر ويكفر ، فوصفهم بما يصيرون إليه (٦) .

٥ — الكلية : وهى ان يكون اللفظ المذكور كلا للمعنى المراد .

كقوله تعالى فى وصف المنافقين « يجعلون أصابعهم فى آذانهم من

---

(١) يوسف ٣٦.
(٢) الكشاف جـ ٢ — ٣١٩
(٣) الصافات ١٠١
(٤) تفسير القرطبى ٥٥٤٣ ط الشعب
(٥) نوح ٢٦ ، ٢٧
(٦) الكشاف جـ ٤ — ١٦٥

الصواعق حذر الموت (١) ، فالمراد بالأصابع الأنامل ، لاستحالة وضع الأصابع كلها فى الآذان .

يقول الزمخشرى : فإن قلت رأس الإصبع هو الذى يجعل فى الأذن فهلا قيل : أناملهم قلت . هذا من الاتساعات فى اللغة التى لا يكاد يحصرها الحاصر . وأيضا ففى ذكر الأصابع من المبالغة ماليس فى ذكر الأنامل (٢) .

وكقول الشاعر :

تَسِيلُ على حَدِّ الظُّبَاةِ نفوسُنا وليستْ على غيرِ الظُّبَاةِ تسيلُ (٣)

ففى « نفوسنا » مجاز مرسل علاقته الكلية ، لأن المراد تسيل دماؤنا — وكل رى — النفس كل يتضمن الدم وغيره ، والقرينة « تسيل » لأن السيلان من صفات الدماء لا النفوس .

٦ — الجزئية : وهى أن يكون اللفظ المذكور جزءا من المعنى المراد . كقوله تعالى : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ . ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة (٤) » .

أى عبد مؤمن ، لأن التحرير للعبد لا للرقبة ، والتعبير بكلمة « رقبة » فيه من البلاغة ماليس فى التعبير بكلمة « عبد » لأن فيها تذكيرا بما كان العبيد يعانون منه على أيدى النخاسين الذين كانوا يتاجرون فيهم ، ويربطونهم أحياناً من رقابهم بالحبال ، وفيها ما يستثير الرحمة والإشفاق عليهم ، ويدفع إلى تحريرهم من ذل الرق وقسوة العبودية ، وما يصيبهم من مهانة وسخرية .

---

(١) البقرة ١٩ (٢) الكشاف ج١ — ٢١٧
(٣) الظباة جمع ظبة : حد السيف (٤) النساء ٩٢

يقول الشريف الرضى : العرب تقيم العنق والرقبة مقام الإنسان نفسه فيقولون : لى فى رقبة فلان دم ، ولى فى رقبـــة فلان دين ، أى عنده ، وفلان أعتق رقبتى إذا أعتق عبدا أو أمة ، ويقول الداعى فى دعائه : اللهم أعتق رقبتى من النار ، وليس يريد العنق المخصوصة وإنمـــا يريد الذات والجملة (١) .

وقول الشاعر .

كَمْ بعثنَا الجيشَ جَـــرَّا رًا وأرسلنا العيــونَا

فإن كلمة « العيون » فى البيت يراد بها « الجواسيس » والعلاقة بين المعنى الحقيقى للفظ والمعنى المراد هى الجزئية لأن العين جزء من الجاسوس ، والقرينة قوله : « أرسلنا » .

وقول معن بن أوس فى ابن أخته :

أعلمــهُ الرمايةَ كل يومٍ فلما اشتدَّ ساعدُه رمانِي
وكم علمته نَظْمَ القوافِي فلما قَالَ قَافيةً هجانِي

يريد الشاعر : فلما قال قصيدة ، فأطلق القافية وأراد القصيدة ، والعلاقة — كما ترى — الجزئية ، اذ القافية جزء من القصيدة .

هذا ويلاحظ أن الجزء الذى يعبر به عن الكل يشترط فيه أحد هذه الأمور :

١ — أن يكون جزءا لا يتحقق الكل إلا به كإطلاق الرقبـة على الذات .

---

(١) تلخيص البيان ١٩٩

٢ — أن يكون للجزء مزيد اختصاص بالمعنى المقصود من الكل كإطلاق العين على الجاسوس .

٣ — أن يكون الجزء أشرف الأجزاء كإطلاق القافيه على البيت أو القصيدة .

يقول صاحب المطول : يشترط فى إطلاق الجزء على الكل استلزام الجزء للكل كالرقبة والرأس مثلا ، فإن الإنسان لايوجد بدونهما بخلاف اليد فإنه لايجوز إطلاقها على الإنسان ، وأما إطلاق العين على الربيئة(١) فليس من حيث إنه إنسان بل من حيث إنه رقيب ، وهذا المعنى مالا يتحق بدون العين فافهم(٢) .

كما يقول الشيخ الدسوقى فى حاشيته : وأعلم أنه لايصح إطلاق اسم كل جزء على الكل وإنما يطلق اسم الجزء الذى له مزيد اختصاص بالكل بحيث يتوقف تحقق الكل بوصفه الخاص عليه ، كالرقبة والرأس ، فإن الإنسان لايوجد بدونهما . بخلاف اليد فإنه لايجوز إطلاقها على الإنسان (٣) .

٧ — المحلية : وهى تسمية الشىء باسم محله ، بمعنى أن يذكر المحل ويراد الحال .

كقوله تعالى : فليدع ناديه (٤)

أى أهل نادية . والقرينة قوله « فليدع لاستحالة نداء النادى بمعناه الحقيقى وهو مكان اجتماع الناس .

(١) الربيئة : الطليعة ـ لسان العرب (٢) المطول ٣٥٧
(٣) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص ج٤ — ٣٥
(٤) العلق ١٧ .

قال الزمخشري : النادي : المجلس الذي ينتدي فيه القوم ، أي يجتمعون والمراد أهل النادي .. روى أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ وهو يصلي فقال : ألم أنهك ؟ فأغلظ له رسول الله ﷺ، فقال : أتهددوني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا ؟ فنزلت (١) .

وقال ابن يعقوب المغربي : إن النادي اسم لمكان الإجتماع ولمجلس القوم وقد أطلق على أهله الذين يحلون فيه . فالمعنى فليدع أهل ناديه أي أهل مجلسه لينصروه فإنهم لا ينصرونه ، والانتقال من النادي إلى أهله موجود كثيرا فصح التجوز بذلك الاعتبار (٢) .

وكقول الشاعر :

إن العدوَّ وإن تقادم عهدُه فالحقدُ باقٍ في الصدُورِ مُغيَّبُ

فقد أطلق الشاعر الصدور وأراد بها القلوب ؛ لأن الصدور محل القلوب وفي ذلك من المبالغة ما فيه ، وكأن الحقد تجاوز القلب حتى عم الصدور .

٨ — الحالية : وهي تسمية الشيء باسم الحال فيه .

كقوله تعالى : وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون (٣) .

أي في جنة الله . أطلقت الرحمة وأريد بها الجنة لأن الرحمة حالة فيها .

قال القرطبي : أي في جنته ودار كرامته خالدون باقون (٤) .

وقال ابن يعقوب المغربي : الرحمة في الأصل الرقة والحنان ، والمراد

(١) الكشاف حـ ٤ — ٢٧٢
(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص حـ ٤ — ٤١
(٣) آل عمران ١٠٧ (٤) تفسير القرطبي ١٤١١

بها فى جانب الله تعالى لازمها الذى هو الانعام، واستعمل فى الجنة لحلوله على أهل الجنة فيها(١) .

وقوله سبحانه : إن الأبرار لفى ، وإن الفجار جحيم(٢) .

فالمراد من النعيم الجنة ومن الجحيم النار(٣) .

هذا . وقد اجتمعت العلاقتان : الحالية والمحلية فى قوله تعالى : يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد(٤) .

إذ المراد من الزينة الثياب ، فأطلقت الزينة وأريد بها الثياب ، لأن الزينة حالة فيها من إطلاق الحال وإرادة المحل . والقرينة « خذوا » فالزينة لا تؤخذ .

كما تجد فى كلمة « مسجد » مجازاً مرسلا علاقته المحلية حيث أطلق « المسجد » وأريدت « الصلاة » — وكما ترى — المسجد محل والصلاة حالة فيه .

قال الزمخشرى : خذوا زينتكم : أى ريشكم ولباس زينتكم .

كما يقول فى معنى كل مسجد : كلما صليتم وطفتم وكانوا يطوفون عراة والسنة يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة(٥) .

٩ — الآلية : وهى أن يكون المعنى الأصلى للفظ المذكور آله ووسيلة للمعنى المراد . كقوله تعالى : ووهبنا لهم من رحمتنا . وجعلنا لهم لسان صدق عليا(٦) أى ثناء حسنا .

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٤ ص ٤١ .
(٢) الانفطار ١٣ ، ١٤
(٣) أنظر تفسير الجلالين ٥٠٤ (٤) الأعراف ٣١
(٥) الكشاف جـ٢ ، ٧٦ (٦) مريم ٥٠

قال الشريف الرضى : المراد بذكر اللسان ههنا — والله أعلم — الثناء الجميل الباقى فى أعقابهم ، والخالف فى آبائهم ، والعرب تقول : جاءنى لسان فلان يريدون مدحه أو ذمه ، ولما كان مصدر المدح والذم عن اللسان عبروا عنهما باسم اللسان ، وإنما قال سبحانه « لسان صدق » إضافة للسان إلى أفضل حالاته وأشرف متصرفاته ، لأن أفضل أحوال اللسان أن يخبر صدقا أو يقول حقا(١) .

وقال الزمخشرى : لسان الصدق : الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان .. ولسان العرب لغتهم وكلامهم(٢) .

وقوله سبحانه : ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر . لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين(٣) .

يقول الشريف الرضى : إن المراد باللسان ههنا جملة القرآن وطريقته لا العضو المخصوص الذى يقع الكلام به ، وذلك كما يقول العرب فى القصيدة هذه لسان فلان أى قوله . قال شاعرهم :

لسانَ السوءِ تُهديها إلينَا وخُنْتَ وما حسبتُكَ أن تَخُونَا

أى مقالة السوء ومثل ذلك قو الآخر :

نَدِمتُ على لسانٍ كانَ مِنّي وددتُ بأنّهُ كانَ فى جَوْفِ عِكْمِ(٤)

أى على قول سبق منى ، لأن الندم إنما يكون على الفعل والكلام لا على الأعضاء والأعيان ، وإنما سمى القول لسانا لأنه إنما يكون باللسان ويصدر عن اللسان(٥) .

---

(١) تلخيص البيان ٢٢٠ (٢) الكشاف حـ٢ — ٥١٢

(٣) النحل ١٠٣ — يلحدون : يميلون

(٤) العكم : العدل : ما دام فيه المتاع — لسان العرب

(٥) تلخيص البيان ١٩٦

وقوله جل شأنه : حكاية عن إبراهيم عليه السلام : واجعل لى لسان صدق فى الآخرين (١) .

أى ذكرا صادقا وثناء عطرا فيمن بعدى من الأمم ، فاللسان — كما يرى — آلة للذكر الحسن . والقرينة « فى الآخرين » .

يقول ابن يعقوب المغربى ، قد أطلق اللسان الذى هو اسم لآلة الكلام والذكر على نفس الذكر لأن اللسان آلته (٢) .

ويعلق الشيخ الدسوقى : أى فأطلق اللسان على الذكر لكونه آلة له فالعلاقة الآليه : والمراد بالآخرين المتأخرون عنه من الأنبياء والأمم ، ولاستجابة المولى دعاءه صارت كل أمة بعده تنسب إليه وتقول أبونا إبراهيم سواء كانوا يهودا أو نصارى غيرهم (٣) .

١٠ — المجاورة : وهى أن يسمى الشىء باسم مايجاورة .

كقول عنترة :

فشككتُ بالرمحِ الأصمِّ ثيابَهُ ... ليس الكريمُ على القنا بمحرَّمِ

أطلق الشاعر كلمة « ثيابه » ، وأراد جسمه ، والعلاقة بين الثوب والجسم المجاورة . والقرينة شككت إذ المراد بالشك الطعن ، والطعن يكون فى الأجسام لا فى الثياب .

هذا . وسمى هذا النوع من المجاز « مرسلا » لإطلاقه عن التقيد

---

(١) الشعراء ٨٤ .

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص حـ ٤ — ٤٢ .

(٣) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص حـ ٤ — ٤٢ .

بعلاقة واحدة ، كما تجد فى الاستعارة ، أو لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة فى الاستعارة لأن العلاقة فيه بين المعنيين ليست المشابهة .

يقول الشيخ الدسوقى . سمى مرسلا لأن الإرسال فى اللغة الإطلاق والمجاز الاستعارى مقيد بادعاء أن المشبه من جنس المشبه به ، والمرسل مطلق عن هذا القيد . وقيل إنما سمى مرسلا لإرساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة بل ردد بين علاقات ، بخلاف المجاز الاستعارى فإنه مقيد بعلاقة واحدة هى المشابهة(١) .

---

(١) المرجع السابق حـ ٤ — ٧٩

بلاغة المجاز المرسل

للمجاز المرسل منزلة سامية ودرجة رفيعة بين فنون البيان، وذلك لما يفيده من الإيجاز والبلاغة — كما تعلم — الإيجاز، فإنك إذا قلت: «رعت الماشية الغيث»، كان أوجز من قولك: رعت الماشية النبات الذى سببه الغيث.

هذا إلى جانب ما يفيـــده من المبالغة فى تأكيد المعنى وتقريره فى النفس لأن كدعوى الشىء بالبينة والبرهان.

ويتجلى ذلك فى قوله تعالى فى وصف المنافقين: يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت(١).

ففى لفظ «أصابعهم» مجاز مرسل علاقته «الكلية» فقد أطلقت الأصابع وأريد بها الأنامل. والقرينة على ذلك «يجعلون» فإن الجعل فى الآذان إنما هو للأنامل لا للأصابع، ولا يخفى عليك ما يوفره المجاز هنا من المبالغة ودقة التصوير لحالهم، وما هم عليه من رعب وهلع يخلعان القلوب، وليس أدل على ذلك من أن هؤلاء المنافقين يحاولون من هول الرعود القاصفة، والصواعق المدمرة أن يدخلوا كل الأصابع فى آذانهم حتى لاتصرعهم تلك الصواعق فتميتهم.

هذا إلى جانب ما فى تصوير الجزء بصورة الكل وإطلاق اسمه عليه، وفى ذلك تنبيه على ما كانوا عليه من سوء الحال(٢).

كما يتجلى — أيضا — فى قوله ﷺ: إن من الكبائر أن يشتم الرجل

---

(١) البقرة الآية ١٩

(٢) انظر البلاغة التطبيقية ٢٦٨، ٢٦٩

والديه قالوا : وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال نعم . يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه » .

إن البر بالوالدين قال لعبادة الله تعالى فى قوله تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا »(١) .

والرسول عليه الصلاة والسلام يجعل شتم الوالدين كبيرة لما سبق من وجوب حقهما ، ولما كان مغروسا فى الفطرة السليمة أن عاقلا لا يشتم أبويه ، استفهم السامعون استفهاما إنكاريا يستعظمون به أن يحدث ذلك ، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام أكد لهم حصوله فى صورة غير مقصود لا تنقص كثيرا عن غيرها إنما وهى المبينة فى الحديث :

وأنت ترى هذا التفسير يدل صراحة أن الرجل لم يشتم أبويه ، وإنما سب من شتمهما قصاصا وعقوبة « فكان شتمه غيرهما سببا فى شتمهما والمذكور فى العبارة هو المسبب ، وقد عبر به عن السبب » فهو من المجاز المرسل غير أن قرينة هذا المجاز وقد ظهرت عند المخاطبين — وهى الاستحالة العادية — قد تخفى عند فساد الزمن ، وانقلاب العادات وانتكاس القيم .

— وكما ترى — فضل التعبير بالمجاز بين فلو أنه قيل إن من الكبائر أن يتسبب الرجل فى شتم أبويه بشتمه آباء الآخرين لم يكن شيئا ، ولم يكن أصاب المعنى الأساسى للعبارة ، ذلك لأنه لو قيل لما استثار وجدان المخاطبين ، ولما هز عواطفهم فاستفهموا منكرين .

فالعبارة تصويرية يصحبها التخييل الذى هو مناط الاهتزازات النفسية والتأثر الوجدانى ، واشبهت النغمة العالية المفاجئة فى الاستثارة والإيقاظ .

ولكن لماذا عبر الرسول عليه السلام بالمصدر المؤول « أن والمضارع » أما كان فى المصدر الصريح « شتم الرجل والديه » غنى .

---

(١) النساء ٣٦

إن الجملة الإسمية تفيد الثبوت ، والفعل المضارع يفيد التجدد والحدوث وشتم الرجل أبويه أمر لا يراد ثبوته فضلا عن كونه غير ثابت ولا متأصل فى العادة بدليل استنكارهم حصوله . فالمضارع لم يزل مع حرفه المصدر محتفظا بصيغته الدالة على الحدوث والتجدد ، وكأنه عليه السلام يقول : من الكبائر أن يحدث هذا وإن لم يكن موجودا ، وإذا علم أن المضارع يستحضر الصور غير الحاضرة فى الأذهان كأنها ماثلة وقت النطق به علمت قيمته التعبير به هنا . ولذلك فزع الأصحاب واستنكروا لتصورهم هذه الصور القبيحة واقعه فى الحال(١) .

هذا . ولعلك قد رأيت ما لهذا الأسلوب من قيمة بلاغية ، وما يضفيه على المعنى من حسن وبهاء وروعة وجمال ، وأن بلاغة المجاز المرسل تتوفر فى :

١ — تأكيد المعنى وتقريره فى النفس لأنه كدعوى الشيء ببينة

٢ — تصوير المعنى خير تصوير وأجله .

٣ — الإيجاز فى العبارة وذلك كثيرا ما يتحقق

---

(١) الحديث النبوي من الوجهه البلاغة ١٩٢ — ١٩٤ .

الإستعارة

الاستعارة لغة : طلب الإعارة .

جاء في المعجم الوسيط : استعار الشيء منه : طلب أن يعطيه إياه عارية (١)

واصطلاحا : تطلق على معنيين :

١ — المعنى الاسمى : وهو اللفظ المستعمل في غير ماوضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي .

٢ — المعنى المصدرى : — وهو فعل المتكلم — إستعمال اللفظ في غير ماوضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي .

والتعريف بالمعنى المصدرى يسوغ الاشتقاق من لفظ الاستعارة — كشأن كل مصدر — فيقال : المتكلم مستعير ، والمشبه به مستعار منه ، والمشبه مستعار له ، واللفظ مستعار (٢) .

وإذا كان التشبيه يعتمد على أركان أربعة — كما علمت — هى المشبه ، والمشبه به ووجه الشبه ، وأداة التشبيه ، فإن الاستعارة أصلها تشبيه حذف منه الوجه والأداة وأحد الطرفين ، فإن كان المحذوف هو المشبه كانت الاستعارة تصريحية ، وإن كان المحذوف هو المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه كانت الاستعارة مكنية .

---

(١) المعجم الوسيط ط دار المعارف ج ٢ — ٦٣٦

(٢) حاشية الدوسوقي ضمن شروح التلخيص ج ٤ — ٣١

ومن ثم فإن الاستعارة تنقسم باعتبار ذكر أحد الطرفين إلى تصريحية ومكنية وإليك بيانهما :

١ — الاستعارة التصريحية : هي التي صرح فيها بلفظ المشبه به كقوله تعالى :

كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور(١) .

والاستعارة في الآية الكريمة في كلمتي : الظلمات والنور .

يقول الشريف الرضي : والمراد بها إخراج المؤمنين من الكفر إلى الإيمان ، ومن الغي إلى الرشاد ، ومن عمياء الجهل إلى بصائر العلم .

وكل ما في القرآن من ذكر الإخراج من الظلمات إلى النور ، فالمراد به ما ذكرنا ، لأن الكفر كالظلمة التي يتسكع فيها الخابط ، ويضل القاصد ، والإيمان كالنور الذي يؤمه الحائر ، ويهتدي به الجائر ، لأن عاقبة الإيمان مضيئة بالإيمان والثواب ، وعاقبة الكفر مظلمة بالجحيم والعقاب(٢) .

— وكما ترى — قد شبه الضلال بالظلمات بجامع عدم الاهتداء في كل ، ثم استعير لفظ الظلمات للضلال على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية .

كما شبه الهدى بالنور بجامع الاهتداء في كل ثم استعير لفظ النور للهدى على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية أيضا .

والقرينة « كتاب أنزلناه إليك » فإن القرآن الكريم نزل الإخراج

---

(١) إبراهيم ١ .

(٢) تلخيص البيان ١٢١ .

الناس من الكفر إلى الإيمان ، ومن الضلال إلى الرشاد ، ومن الفساد إلى الصلاح ، ولم ينزل لاخراجهم من ليل حقيقى إلى نهار حقيقى .

وسميت هذه والاستعارة — تصريحية — لأن المشبه به مصرح به فى الكلام ، كما سميت أصلية ، لأن المستعار اسم جامد .

٢ — والاستعارة المكنية : هى التى حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه ، كقول قريط بن أنيف :

قومٌ إذا الشرُّ أبدى ناجذيهِ لهم
طاروا إليه زرافاتٍ ووحداناً(١)

يريد الشاعر : أن هؤلاء الممدوحين يتجملون بالإقدام على المكاره ، والإسراع إلى الشدائد ، عندما [illegible] الأمر ، ويشتد الخطب مجتمعين ومتفرقين .

— وكما ترى — فقد شبه الشاعر الشر بحيوان مفترس ، ثم تنوسى التشبيه وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، ثم استعير المشبه به فى النفس للمشبه ، ثم حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الناجذان . والقرينة إثبات الناجذين للشر .

هذا . وقد سميت هذه الاستعارة « مكنية » لعدم التصريح بالمشبه به ، والكناية عنه بذكر بعض خواصه ففيها نوع من الخفاء .

---

(١) زرافات : جمع زرافة وهى الجماعة من الناس — وحدانا : جمع واحد — المعجم الوسيط .

الأصلية والتبعية

تنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار إلى أصلية وتبعية .

فالأصلية : ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس(١) كقول المتنبي يمدح سيف الدولة :

أحبك ياشمسَ الزمان وبدرَه ... وإن لامني فيك السُّها والفراقدُ

وذاك لأن الفضلَ عندك باهر ... وليس لأن العيش عندك باردُ

يقول : أنا أميل إليك بهواى ، ولو لامني في ذلك من لا يبلغ منزلتك ، وحبى لك لفضلك ، لا للخير الذى أصيبه عندك(٢) .

— وكما ترى — فقد شبه الشاعر سيف الدولة مرة بالشمس ، وأخرى بالبدر بجامع الرفعة والاشراق في كل ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الشمس والبدر للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية .

---

(١) يقول صاحب المطول في المراد باسم الجنس : هو مادل على نفس الذات الصالحة لأن تصدق على كثيرين من اعتبار وصف من الأوصاف «كأسد» إذا استعير للرجل الشجاع و «قتل» إذا استعير للضرب الشديد ، والأول اسم ذات ، والثاني اسم معنى ، وكذا مايكون متأولا باسم الجنس كالعلم في نحو : رأيت اليوم حاتما ـ المطول ٣٧١ .

(٢) ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ج ١ — ٢٨٠ — السها نجم خفي صغير ، والفراقد جمع فرقد : نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريبا وهو المسمى «النجم القطبي» وبجواره نجم آخر مماثل له وأصغر منه ، وهما فرقدان — المعجم الوسيط .

كما شبه من دونه مرة بالسها وأخرى بالفراقد بجامع الصغر والخفاء في كل ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو السها والفراقد للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية .

وكقول الشريف الرضى :

إذا أنتَ أفنيتَ العرانينَ والذرى
رمتك الليالي من يد الخامل الذكر(١)

فقد شبه أشراف الناس بالعرانين بجامع الشمم والإباء في كل ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.
كما شبه الاشراف — أيضاً — بالذرى ، بجامع العلو والرفعة في كل ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية . والقرينة « أفنيت » .

أو كان المستعار اسم عين يصلح بعد التأويل فيه لأن يصدق على كثير نحو : حاتم ، ومادر ، وباقل ، وقس ، وسحبان ، فإن هذه الأعلام تضمنت أوصافا اشتهرت بها ، وغلبت عليها ، حتى توسيب ذواتها ، ولذلك صح اعتبار هذه الأعلام أجناسا صالحة لأن تصدق على كثير .

ومن ثم فإن الأعلام الشخصية لا تجرى فيها الاستعارة إلا على هذا التأويل ، وبذلك تلحق بأسماء الأجناس ، كحاتم المتضمن معنى الجود ، ومادر المتضمن معنى البخل ، وباقل المتضمن معنى الغباء ، وقس المتضمن معنى الخطابة وسحبان المتضمن معنى الفصاحة .

---

(١) العرانين : جمع عرنين : أول كل شيء ، وماصلب من عظم الأنف حيث يكون الشمم ويقال هم شم العرانين : أعزة أباة ، وعرانين القوم ساداتهم وأشرافهم — الذرى جمع ذروة : من كل شيء أعلاه .

تقول : سدت اليوم على حاتم ، وقابلنى مادر ، وحـــدثنى باقل ، واستمعت إلى قس بن ساعدة الإيادى ، وزارنى سحبان .

تريد بحاتم رجلا كريما ، وبمادر رجلا بخيلا ، وبقس رجلا خطيبا مفوها وبسحبان رجلا فصيحا وبباقل رجلا غبيا وإليك إجراء هذه الاستعارات :

شبه الرجل الكريم بحاتم بجامع الجود فى كل منهما ثم تنوس التشبيه ، وأدعى أن الرجل الجواد فرد من أفراد حاتم ، وداخل فى جنسه ، ثم استعير لفظ حاتم من معناه الحقيق وهو الجواد للرجل الكريم على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، والقرينة سدت اليوم .

كما شبه الرجل البخيل بمادر بجامع البخل فى كل منهما ، ثم تنوس التشبيه وأدعى أن الرجل البخيل فرد من أفراد مادر ، وداخل فى جنسه ، ثم استعير لفظ مادر من معناه الحقيقى وهو البخيل للرجل الشحيح على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، والقرينة قابلنى .

كذلك شبه الرجل الغبى بباقل بجامع الغباء فى كل منهما ، ثم تنوس التشبيه وأدعى أن الرجل الغبى فرد من أفراد باقل ، وداخل فى جنسه ، ثم استعير لفظ « باقل » من معناه الحقيقى ، وهو الغباء للرجل الغبى على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، والقرينة « حدثنى » .

كما شبه الخطيب المفوه بقس بن ساعدة الإيادى بجامع البلاغة فى كل منهما ، ثم تنوس التشبيه ، وأدعى أن الرجل الخطيب فرد من أفراد « قس » وداخل فى جنسه ، ثم استعير لفظ « قس » من معناه الحقيقى وهو الخطابة للرجل الخطيب على سبيـــل الاستعارة التصريحية الأصلية . والقرينة « استمعت اليوم » .

وشبه الرجل الفصيح بسحبان بجامع الفصاحة فى كل منهما ، ثم تنوس التشبيه وأدعى أن الرجل الفصيح فرد من أفراد « سحبان » وداخل فى

جنسه، ثم استعير لفظ « سحبان » من معناه الحقيقى وهو « الفصاحة » للرجل الفصيح على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، والقرينة «زارنى» .

أو كان اللفظ المستعار اسم معنى كأن تقول : أحزننى قتل إبراهيم صديقه تريد إذلاله إذلالا شديداً ، فإن إستعارة القتل الذى هو المشبه به للشبه الذى هو « الإذلال » إستعارة تصريحية أصلية ، لأن اللفظ المستعار وهو « القتل » اسم معنى يصلح لأن يصدق على كثير .

ويقال فى إجرائها : شبه الإذلال بالقتل بجامع الألم الشديد فى كل، ثم أدعى أن الإذلال داخل فى جنس القتل وفرد من أفراده ، ثم استعير القتل للإذلال الشديد على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، والقرينة حالية .

ومن ثم يظهر أن الاستعارة الأصلية هى : ما كان اللفظ المستعار فيها اسم عين يصلح — باعتبار وضعه — لأن يصدق على كثير نحو « أسد » ، أو اسم عين يصلح — بعد التأويل فيه — أن يصدق على كثير نحو «حاتم» ، أو اسم معنى يصلح أن يصدق — أيضاً — على كثير نحو « قتل » .

وسميت هذه الاستعارة « أصلية » إما نسبة إلى الأصل بمعنى الكثير الغالب ، أو لأن إجراءها لا يتوقف على إستعارة أخرى تبنى عليها .

يقول الشيخ الدسوقى معللا سر التسمية : أصلية نسبة للأصل بمعنى الكثير الغالب ، ويحتمل أن أصليـــة نسبة للأصل بمعنى ما كان مستقلا وليس مبنيا على غيره[١] .

والاستعارة التبعية : هى ما كان اللفظ المستعار فيها فعلا ، أو إسما مشتقا ، أو حرفا ، وإليك بيانها :

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص حـ ٤ — ١١٠

في الفعل :

الاستعارة في الفعل تأتي باعتبار حدثه ، كما تأتي باعتبار زمانه وفي كلتا الحالتين فالاستعارة فيه تبعية .

ومن الاستعارة في الفعل باعتبار حدثه قوله تعالى « ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله[١] .

والاستعارة في « ضربت » .

يقول الرماني : حقيقته حصلت عليهم الذلة ، والاستعارة أبلغ لما فيه من الدلالة على تثبيت ما حصل عليهم من الذلة ، كما يثبت الشيء بالضرب ، لأن التمكن به محسوس ، والضرب مع ذلك ينبىء عن الإذلال والنقص ، وفي ذلك شدة الزجر لهم والتنفير من حالهم[٢] .

كما يقول الزمخشري : أي جعلت الذلة محيطة بهم ، مشتملة عليهم ، فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه ، أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب[٣] ، كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه[٤] .

ويقال في إجرائها : شبه الحكم على اليهود بالذلة والمسكنة بضرب الخيمة على من فيها ، أو بضرب الطين على الحائط ، ثم تنوسى التشبيه وأدعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، ثم استعير المشبه به للمشبه ، ثم إشتق منه « ضرب » بمعنى « حكم » على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، والقرينة إسناد ضربت إلى الذلة والمسكنة « نائب الفاعل » .

(١) البقرة الآية ٦١
(٢) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ٩٠
(٣) لازب : لزب الشيء لزوبا : ثبت فهو لازب — المعجم الوسيط .
(٤) الكشاف حـ ١ — ٢٨٥

وقول البحترى فى وصف قصر الجعفرى .

ملأتْ جوانبَه الفضاءَ وعانقتْ شرفاتُه قِطَعَ السحابِ الممطرِ

والاستعارة فى « عانقت » .

فقد شبهت الملامسة بالمعانقة بجامع الاتصال فى كل . ثم تنوسى التشبيه وأدعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، ثم استعير المشبه به للمشبه واشتق من المعانقة عانقت بمعنى لاصقت ، والقرينة شرفاته ، لأن الشرفات لا تعانق .

وكما تأتى الاستعارة التبعية فى الفعل الماضى ، فإنها تأتى أيضاً فى المضارع كقوله تعالى : وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً(١) والاستعارة فى « يموج » .

إن كلمة « يموج » لا تقف عند حد إستعارتها لمعنى « الاضطراب » بل إنها تصور للخيال هذا الجمع الحاشد من الناس إحتشاداً لا تدرك العين مداه ، حتى صار هذا الحشد الزاخر كبحر ، ترى العين منه ما تراه فى البحر الزاخر من حركة وتموج واضطراب ، ولا تأتى كلمة « يموج » إلا موحية بهذا المعنى ودالة عليه(٢) .

يقول الرمانى : أصل الموج للماء وحقيقته تخليط بعضهم ببعض ، والاستعارة أبلغ لأن قوة الماء فى الاختلاط أعظم(٣) .

وكما ترى شبه تزاحم وتدافع هؤلاء الناس بتلاطم الأمواج بجامع ما فى كل منهما من إضطراب ، ثم استعير لفظ المشبه به ، وهو تلاطم الأمواج للمشبه ، ثم اشتق منه « يموج » بمعنى يتزاحم ويتدافع على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

---

(١) الكهف ٩٩ (٢) من بلاغة القرآن ٢١٨

(٣) النكت فى إعجاز القرآن ٩٣

وكذلك تأتى الاستعارة فى « فعل الأمر » كقوله تعالى : ربنا أفرغ علينا صبراً »(١) ، والاستعارة فى « أفرغ » وحقيقته افعل بنا صبرا .

يقول الرمانى: أفرغ مستعار ، وحقيقته افعل بنا صبرا ، وأفرغ أبلغ منه لأن فى الإفراغ إتساعا مع بيان(٢) .

كما يقول الشريف الرضى : فهذه استعارة ، كأنهم قالوا : أمطرنا صبرا ، واسقنا صبرا ، وفى قوله « افرغ » زيادة فائدة على قوله : أنزل ، لأن الإفراغ يفيد سعة الشىء وكثرته وانصبابه وسعته(٣) .

وفى الآية الكريمة شبه فعل الصبر بالإفراغ بجامع النفع فى كل ، ثم تنوس التشبيه وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل تحت جنسه ، ثم استعير المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

وقوله ﷺ فى وصية لمعاذ بن جبل : « وأمت أمر الجاهلية إلا ما حسن .

والاستعارة فى « أمت » بمعنى اترك .

يقول الشريف الرضى : وهذه استعارة ، والمراد توصيته بان يحيل أمر الجاهلية بنقض أحكامها وخفض أعلامها ، حتى ينسى ذكرها ، ويعفو أثرها ، فتكون كالميت الذى نسى ذكره وانقطع خبره(٤) .

وفى الحديث الشريف : شبه ترك أمر الجاهلية بالإماتة بجامع عدم

---

(١) البقرة الآية ٢٥٠

(٢) النكت فى إعجاز القرآن ٩٠

(٣) تلخيص البيان ١٢٠

(٤) المجازات النبوية ١٨٨

الأثر فى كل ، واستعيرت الإماتة للترك والنسيان ، واشتق منها « أمت » بمعنى اترك على سبيل الاستعارة التبعية .

أما باعتبار زمان الفعل فكقوله تعالى : أتى أمر الله فلا تستعجلوه(١) . والاستعارة فى « أتى » بمعنى يأتى .

جاء فى تفسير الجلالين : أتى امر الله : أى الساعة ، « وأتى » بصيغة الماضى لتحقق وقوعه أى قرب (٢) .

كما جاء فى الكشاف للزمخشرى : أتى امر الله بمنزله الآتى الواقع ، وإن كان منتظرا لقرب وقوعه (٣) .

كما جاء — أيضاً فى تفسير القرطبى : قيل أتى بمعنى يأتى . وإخبار الله تعالى فى الماضى والمستقبل سواء لأنه آت لا محالة(٤) .

فقد شبه الإتيان فى المستقبل بالإتيان فى الماضى بجامع تحقق الوقوع فى كل ، ثم استعير لفظ الإتيان فى الماضى للإتيان فى المستقبل ، ثم اشتق من الإتيان بهذا المعنى « أتى » بمعنى « يأتى » على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

وإذا كان يعبر عن المضارع بالماضى لتحقيق الوقوع ، كذلك يعبر عن الماضى بالمضارع لاستحضار صورته ، لتكون ماثلة فى النفوس ، حاضرة فى الخيال ، كقوله تعالى لبنى إسرائيل : أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون(٥) .

---

(١) النحل ١
(٢) تفسير الجلالين ٢٢١
(٣) الكشاف ح ٢ ص ٤٠
(٤) تفسير القرطبى ٣٦٨١
(٥) البقرة الآية ٨٧ .

والاستعارة فى « تقتلون » بمعنى « قتلتم » .

فالمضارع لحكاية الحال الماضية أى قتلتم(١) .

يقول الزمخشرى : فإن قلت : هلا قيل وفريقا قتلتم ؟ قلت هو على وجهين : أن ترد الحال الماضية ، لأن الأمر فظيع ، فأريد استحضاره فى النفوس وتصويره فى القلوب ، وأن يراد فريقا تقتلونهم بعد لأنكم تحومون حول قتل محمد ﷺ لولا أنى أعصمه منكم(٢) .

كما يقول القرطبي: فكان ممن كذبوه عيسى ومحمد عليهما السلام ، وممن قتلوه يحيى وزكريا عليهما السلام(٣) .

فقد شبه القتل فى الماضى بالقتل فى الحال ، بجامع حصول الصورة البشعة المؤلمة فى كل ، ثم استعير القتل فى الحال للقتل فى الماضى ، ثم اشتق منه « يقتلون » بمعنى قتلتم على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

فى المشتقات :

كقوله تعالى : « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية »(٤) .

والاستعارة فى عاتية بمعنى شديدة .

يقول الرمانى : عاتية : حقيقته شديدة . والعتو أبلغ لأن العتو شدة فيها تمرد(٥) .

---

(١) تفسير الجلالين ١٣

(٢) الكشاف جـ ١ — ٢٩٥

(٣) تفسير القرطبى ٤١٨ ط الشعب

(٤) الحاقة ٦

(٥) النكت فى إعجاز القرآن ٨٧

فقد شبهت الريح بالعتو بجامع مجاوزة الحد فى كل . ثم تنوسى التشبيه وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ؛ ثم استعير العتو للشدة ثم اشتق من العتو بمعنى الشدة عاتية بمعنى شديدة . والقرينة إسناد عاتية إلى ضمير الريح .

وقوله سبحانه : « وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم . ما تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم[١] » .

والاستعارة فى « العقيم » بمعنى لا تلقح شجراً ولا تأتى بخير .

يقول الشريف الرضى : ومعنى العقيم ههنا التى لا تحمـــل القطار[٢] ولا تلقح الأشجار ، ولا تعود بخير ولا تكشف عن عواقب نفع[٣] .

كما يقول الرمانى : وحقيقته ريح لا يأتى بها سحاب غيث ، والاستعارة أبلغ لأن حال العقيم أظهر من حال الريح التى لا تأتى بمطر[٤] .

فقد شبهت الريح التى لا خير فيها بالعقم بجامع أن كلا منهما لم يبق أحدا ولم يخلف خيرا ، ثم تنوسى التشبيه وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، ثم استعير المشبه به للمشبه ، ثم اشتق من العقم « العقيم » على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

هذا . وسميت الاستعارة فى الأفعال والمشتقات تبعية لأنها تابعة لاستعارة تسبقها فى المصدر الذى يؤخذ منه الفعل أو الاسم المشتق .

---

(١) الذاريات ٤١ ، ٤٢

(٢) القطار : جمع قطر وهو المطر — المعجم الوسيط .

(٣) تلخيص البيان ٣١٤

(٤) النكت فى إعجاز القرآن ٩٣

في الحروف :

كقوله تعالى — حكاية عن فرعون — «لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل(١)

والاستعارة في الحرف «في»

يقول الزمخشري : شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه . فلذلك قيل في جذوع النخل(٢)

— وكما ترى — فإن لفظ «في» موضوع لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقين ، وفي الآية الكريمة لا يصلح ما بعد «في» أن يكون ظرفا حقيقيا للمصلوبين .

فقد شبهت الجذوع المصلوب عليها ، بالظروف الحقيقية ، بجامع التمكن في كل ثم استعيرت «في» الموضوعة لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقين لتلبس الجذوع بالمصلوبين على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية : والقرينة دخول «في» على الجذوع .

وكقوله تعالى : «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا»(٣).

والاستعارة في حرف «اللام» من قوله تعالى : ليكون لهم عدوا وحزنا »

---

(١) طه ٧١
(٢) الكشاف جـ ٢ — ٥٤٦
(٣) القصص ٨

يقول الزمخشري : اللام في « ليكون » هي لام كي التي معناها التعليل . كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ، ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لأنه لم يكن داعيهم إلى الإلتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني ، غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته ، شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الأكرام الذي هو نتيجة المجيء والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأدب » وتحريره أن هذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل » كما يستعار الأسد لما يشبه الأسد(١) .

فقد شبهت العداوة والحزن المترتبان على الإلتقاط في الواقع ، بالعلة الحقيقية التي هي المحبة والسرور ، بجامع مطلق ترتب شيء على شيء ، ثم استعيرت « اللام » من معناها الحقيقي وهو ترتب العلة الحقيقية على الالتقاط لترتب غير العلة الحقيقية عليه ، على سبيل الإستعارة التصريحية التبعية والقرينة : دخول اللام على العداوه والحزن .

وسميت الاستعارة في الحرف تبعية لأنها تابعة لتشبيه مدخول الحرف الآن بما كان حقه أن يدخل عليه .

هذا ، وقد رأى ابن يعقوب المغربي أن الاستعارة في الحرف من قبيل الاستعارة المكنية ، وذلك بتشبيه مدخول الحرف الآن بما كان حقه أن يدخل عليه ، ثم يستعار المشبه به للمشبه ، ثم يحذف المشبه به ويرمز إليه بشيء من لوازمه وهو الحرف .

يقول ابن يعقوب : فجعل الاستعارة في الحرف مكنيا عنها أقرب إذ

---

(١) الكشاف جـ ٣ — ١٦٦

ليس هناك إلا إضمار التشبيه فى النفس . . فالمستقيم فى الحرف كون الاستعارة مكنيا عنها على أن يكون التشبيه فى المجرور(١) .

وعلى رأيه يقال فى إجراء الاستعارة فى الآية الكريمة « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا » .

شبهت العداوة والحزن بالمحبة والسرور تشبيها مضمراً فى النفس ، بجامع ترتب شىء على شىء ، ثم استعيرت المحبة والسرور للعداوة والحزن ، ثم حذفت المحبة والسرور ورمز لهما بشىء من لوازمها وهو « لام التعليل » على سبيل الاستعارة المكنية ، وإثبات اللازم تخييل وهو قرينة الاستعارة المكنية .

وهذا الرأى أولى بالقبول نظراً لأن الموجود فى الكلام هو المشبه والمحذوف هو المشبه به والمدلول عليه بذكر لازمه . إلى جانب عدم وجود استعارة أصلية تبنى عليها الاستعارة التبعية كالاستعارة فى الأفعال والمشتقات .

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ج ٤ — ١٢٣

العامية والخاصية

تنقسم الإستعارة باعتبار الجامع إلى : عامية وخاصية .

وقبل الحديث عن مفهوم كل منهما ينبغى أن نشير إلى الجامع .

الجامع فى الإستعارة بمنزلة وجه الشبه فى التشبيه ، وهو ماقصد اجتماع الطرفين فيــه ، وسمى جامعاً : لأنه جمع المشبه مع أفراد المشبه به تحت مفهومه ، وأدخله فى جنسه إدعاء ، ويكون فى المستعار منه أقوى ، لأن الإستعارة مبنية على التشبيه ، والمبالغة تقتضى إلحاق المشبه بما هو أكمل منه فى وجه الشبه .

وإذا كان التشبيه تتفاوت مراتبه ، فمنه القريب المبتذل والبعيد الغريب كما علمت — تبعا لاختلاف وجه الشبه من حيث كونه قريباً أو بعيداً ، فكذلك الشأن فى الإستعارة ، تتفاوت أيضاً تبعاً لاختلاف الجامع ، فإن كان بينا ظاهراً يدركه كل إنسان كانت الإستعاره عامية ، وإن كان يحتاج إلى تأمل وإنعام نظر فهى خاصية ومن ثم :

فالاستعارة العامية : ما وضح فيها الجامع بحيث تدركه العامة كاستعارة الأسد للرجل الشجاع ، والبدر للانسان الجميل المشرق الجبين ، فإن الجامع وهو الشجاعه فى المثال الأول ، والإشراق فى المثال الثانى أمر بين واضح فى متناول عامة للناس .

يقول الإمام عبد القاهر : أفلا ترى فى الإستعارة العامى المبتذل كقولنا رأيت أسداً ووردت بحراً ولقيت بدراً(١) .

---

(١) دلائل الإعجاز . ت تحقيق السيد محمد رشيد رضا سنة ١٩٦١م

والاستعارة الخاصية: وهي التي لايدركها إلا ذو القريحة الصافية، والذهن والوقاد، والعبقرية الفذة، لأن الجامع فيها يحتاج إلى فكر وتأمل، وإنعام نظـــر وروية كقوله تعالى: فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين(١).

فإن المستعار منه كسر الزجاجة، والمستعار له «التبليغ» والجامع «قوة التأثير» والمعنى أبن الأمر إبانة لاتمحى، كما لايلتئم صدع الزجاجة.

ومن الجال في هذه الاستعارة أن الطرفين متباعدان، لايخطر أحدهما بالبال عند حضور صورة الطرف الآخر، فكان الجامع لذلك مما يحتاج إلى فكر وتأمل.

ويقول الرماني في بيـان معنى «فاصدع» حقيقته فبلغ ماتؤمر به، والاستعارة أبلغ من الحقيقة، لأن الصدع بالأمر لابد له من تأثير كتأثير صدع الزجاجة، والتبليغ قد يصعب حتى لايكون له تأثير فيصير بمنزلة مالم يقع، والمعنى الذي يجمعهما الإيصال، إلا أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ(٢).

كما يقول الشريف الرضي: وهذه استعارة. لأن الصدع على الحقيقة إنما يصح في الأجسام لافي الخطاب والكلام ... فكأن المعنى في قوله سبحانه «فاصدع» بما تؤمر» أي أظهر القول وبينه في الفرق بين الحق والباطل، من قولهم: صدع الرداء إذا شقه شقا بينا ظاهراً، ومن ذلك صدع الزجاجة، إذا استطار فيها الشق، واستبان فيها الكسر، وإنما قال سبحانه: فاصدع بما تؤمر، ولم يقل: فبلغ ماتؤمر، لأن الصدع ههنا أعم ظهوراً، وأشد تأثيراً.

---

(١) الحجر ٩٤ (٢) النكت في إعجاز القرآن ٨٧

وقد يجوز أيضا أن يكون المراد بذلك — والله أعلم — أن بالغ فى إظهار أمرك ، والدعاء إلى ربك ، حتى يكون الدين فى وضوح الصبح ، لا يشكل منهجه ، ولا يظلم لجه . مأخوذا ذلك من « الصديع »(١) لشأنه ووضوح إعلانه(٢) .

ومن بديع الاستعارة ونادرها — أيضا — قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرساله ، وأنه مؤدب ، وأنه إذا أنزل عنه وألقى عنانه فى قربوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه :

عودتُه فيما أزورُ حبائبى إهمالَهُ ، وكذاكَ كلُّ مخاطرِ
وإذا احتبىَ قَرَبُوسَهُ بعِنانه علكَ الشكيمَ إلى انصرافِ الزائرِ(٣)

فقد شبه الشاعر جمع القربوس ، وجانبى فم الفرس بالعنان ، بجمع ساق المحتبى وظهره بالثوب ، بجامع إحاطة شىء لشيئين ضاما أحدهما إلى الآخر ثم استعار الاحتباء — وهو جمع الرجل ظهره وساقيه بثوب ونحوه — لجمع القربوس وجانبى فم الفرس بالعنان ، ثم اشتق من الاحتباء : احتبى بمعنى جمع على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة هى : الفاعل والمفعول والمجرور .

---

(١) الصديع : الصبح : سمى بذلك لانصداعه عن ظلمات الليل .

(٢) تلخيص البيان ١٨٨ ، ١٨٩

(٣) احتبى : أدار الثوب على ساقيه وظهره وهو جالس ، القربوس : مقدم السرج ، العنان : اللجام الشكيم والشكيمة : الحديدة المعترضة فى فم الفرس ، علك : مضغ — والمراد بالزائر : نفسه ، وعبر عن نفسه بالزائر للدلالة على كمال أدب فرسه ، وأنه لا يبرح مكانه مهما طال مكثه عند من يزوره .

وإنما كانت هذه الاستعارة «خاصيه غريبة» لمجيئها على نمط غير مألوف لايقع فى كلام العرب إلا نادراً ، لأن الإنتقال الى معنى الاحتباء عند حضور صورة القاء العنان على القربوس فى غاية الندور لما بين المعنين من البعد الشديد .

يقول الإمام عبد القاهر : فالغرابة ههنا فى الشبه نفسه ، وفى أن استدرك أن هيئة العنان فى موقعه من قربوس السرج ، كالهيئة فى موقع الثوب من ركبتى المحتبى(١) .

هذا . وقد يتصرف الأديب فى الاستعارة العامية بما يرفعها من الابتذال الى الغرابة كقول الشاعر :

نبهتُ زيدا فلم أفزعْ الى وَكَلٍ   رَثِّ السلاح ولا فى الحىِّ مغمورِ

سالتْ عليهِ شِعابُ الحى حين دعا
أنصارَه   بوجــوهٍ   كالدنانيرِ(٢)

أراد الشاعر أن زيدا مطاع فى الحى ، وأنهم يسرعون الى نصرته ، وأنه لايدعوهم لحرب ، أو نازل خطب ، الا أتوه وكثروا عليه ، وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجىء من هنا وهنا ، وتنصب من هذا وذلك ، حتى يغص بها الوادى ويطفح منها(٣) .

---

(١) دلائل الإعجاز ٥١ تحقيق السيد محمد رشيد رضا ط ١٩٦١

(٢) أفزع : ألجأ ، وكل : بفتح الواو والكاف : عاجز ، رث السلاح : بالى السلاح ، مغمور : خامل الشعاب : جمع شعب : الطريق فى الجبل ومسيل الماء فى بطن الأرض .

(٣) دلائل الإعجاز ٥١

والاستعارة فى قوله «سالت».

فقد شبه الشاعر السير السريع السلس، بسيلان الماء فى الشعاب، بجامع قطع المسافة بسرعة ولين وسلامة، ثم استعار السيلان للسير المخصوص ثم اشتق منه سالت بمعنى سارت مسرعة فى لين وسلامة .

وهذه الاستعارة — كما ترى — قريبة لأنها فى متناول العامة والخاصة لظهور جامعها ، ولكنها اكتسبت الدقة بما أضفاه عليها الشاعر من الصنعة حيث أسند «سالت» الى الشعاب دون الأنصار، وقد كان حق الفعل أن يسند الى الأنصار ، فأفاد بهذا الإسناد المجازى، أن الشعاب قد امتلأت بالأنصار، اذ لا يسند فعل الحال الى المحل الا حينما يراد أن الحال قد ملأ المحل، وعم جميع بقاعه، ثم لم يكتف بهذا بل أدخل الوجوه فى السير مع تعدية الفعل اليها بالباء وهذا اسناد عقلى مقدر ، ثم أربى على هذين حيث عدى الفعل «سالت» الى ضمير الممدوح «بعلى» فأكد مقصوده من كونه مطاعا فى الحى .

وبهذه التصرفات أخرج الشاعر هذه الاستعارة القريبة إلى منزلة عليا من البعد والغرابة ، لأنها صحبت الغريب فصارت غريبة ، ويؤكد ذلك هذا أنه لو قال : سالت الأنصار فى شعاب الحى لبقيت على أصلها من القرب والابتذال ولكن الصنعة التى عرفت وجهها ألبستها ثوبا جديدا ، فكتسبت حكما جديدا وهذا من سحر البيان (١)

يقول الإمام عبد القاهر : الغرابة فى البيت ليست فى مطلق معنى سال ولكن فى تعديته بعلى والباء، وبأن جعله فعلا لقوله «شعاب الحى» ولولا هذه الأمور كلها لم يكن هذا الحسن (٢) .

---

(١) البلاغة التطبيقية ١٦٥ ‏ ‏ (٢) دلائل الإعجاز ٥٢

هذا : وقد تكتسب الإستعارة العنانية وصف الخاصية الغريبة — أيضاً — بالجمع بين عدة استعارات فيقوى بذلك ساعدها ، ويشتد أزرها ، وتتبوأ مكانا رفيعا ، كقول امرء القيس فى وصف الليل .

فقلتُ له لما تمطى بصلبهِ وأردفَ أعجازاً وناء بكلكلِ
ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ(١)

فقد أراد الشاعر وصف الليل بالطول ، فاستعار لوسطه أسم « الصلب » وجعله متمطياً ممتداً ، لما هو معروف بالبداهة من أن كل ذى صلب يزيد طوله شيئاً عند التمطى ، فالجامع بين المستعار له والمستعار منه هو الطول .

ثم ثنى ذلك فاستعار « الإعجاز » لأواخر الليل ، بجامع الثقل وبطء السير وبالغ فى ذلك حتى جعل بعضها يردف بعضاً .

ثم ثلث ذلك فاستعار « الكلكل » لما مضى من أول الليل إلى وسطه بجامع الثقل ، وبالغ فى ذلك بأن جعله ينوء ويثقل وذلك لما فى الليل من الالام والمتاعب على قلب ساهره .

وبهذه الاستعارات الثلاث ، تم للشاعر ما أراده من تصوير ما يراه الناظر من سواد الليل ، إذا نظر أمامه ، وإذا نظر خلفه ، وإذا رفع البصر ومده فى عرض الجو بصورة البعير على أبلغ الوجوه وأدقها .

---

(١) تمطى : تمدد ، الصلب : عظم فى الظهر ذو فقار يمتد من الكاهل إلى أسفل الظهر وهو المعروف بالعمود الفقرى ، أردف : أتبع ، الأعجاز : جمع عجز وهو مؤخر الشىء ، ناء : ناء بحمله : نهض به مثقلاً ، وناء به الحمل : أثقله فسقط والكلكل . الصدر .

فأنت ترى استعارة الكلكل لأوائل الليل ، واستعارة الصلب لوسط الليل ، واستعارة الأعجاز لأواخر الليل من الإستعارات القريبة لظهور جامعها .

بيد أن صنعة أمرىء القيس أملت عليه أن يستأنف لهذه الاستعارات صورة جديدة، ويستجد لها كسوة قشيبة لحشدها لموصوف واحد، فقوى ساعد كل منها بالأخرى واشتد .

ولم يكتف امرؤ القيس بهذا، بل جعل «الصلب» يتمطى والأعجاز تردف والكلكل ينوء ويثقل ، فأجاد فى رسم الصورة حتى كادت تنبض بالحياة وتنطق بما أراد(١) .

وقد أشاد الامام عبدالقاهر بهذه الصوره البيانية فيقول: وما هو أصل فى شرف الاستعارة: أن ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات قصداً إلى أن يلحق الشكل بالشكل ، وأن يتم المعنى والشبه فيما يريد.

لما جعل الليل صلبا قد تمطى به ثنى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب وثلث فجعل له كلكلا قد ناء به ، فاستوفى له جملة أركان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده ، إذا نظر قدامه ، وإذا نظر خلفه ، وإذا رفع البصر ، ومده فى عرض الجو(٢).

وقد نوه النقاد بجمال الاستعارة فى بيت أمرىء القيس: يقول الدكتور أحمد بدوى : والسر فى جمال هــذه الاستعارة يعود إلى أنها نقلت إلى السامع والقارىء شعور الشاعر وإحساسه إزاء هذا الليل الطويل ، إذ فهو يحس به ثقيلا بالغ الطول ، قد مضى زمن مديد منــذ بدأ أوله ،

---

(١) البلاغة الطبيقية ١٦٨ .

(٢) دلائل الاعجاز ٥٤

وها هو ذا وسطه يتطاول ويسير في بطء، ولا يزال المدى بعيداً بينه وبين آخره.

إن الشاعر يحس بكل دقيقة تمر به، لأنه أرق يتلوى من الألم، ويحس بثقله وشدة وطأته عليه، كما يحس بذلك من يتململ تحت ثقل حيوان ضخم الجثة كالجمل ومن هنا كان تشبيه الليل بالجمل معبراً تعبيراً صادقاً عن شعوره بثقل الليل(١).

---

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب ٥١٧

المطلقة والمجردة والمرشحة

تتنوع الاستعارة باعتبار ذكر الملائم لأحد طرفيها وعدم ذكره إلى ثلاثة أنواع : المطلقة ، والمجردة والمرشحة ، وإليك بيانها :

١ — المطلقة : وهي التي لم تقترن بما يلائم المستعار منه أو المستعار له حقيقة أو حكما ، كقوله تعالى : « فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا »(١) .

يقول الشريف الرضي : وهذه استعارة ، والمراد بالنور هنا القرآن ، وإنما سمي نوراً لأن به يهتدى في ظلم الكفر الضلال ، كما يهتدى بالنور الساطع ، والشهاب اللامع وضياء القرآن أشرف من ضياء الأنوار ، لأن القرآن يعشوا إليه القلب ، والنور يعشو إليه الطرف(٢).

— وكما ترى — الاستعارة في كلمة « النور » فهي مستعارة للقرآن بجامع الاهتداء بكل منهما « والقرينة « الذي أنزلنا » والاستعارة مطلقة لأنها لم تقترن بما يلائم المستعار منه ، أو المستعار له حقيقة .

وكقول المتنبي يخاطب بدر بن عمار مادحاً :

يا بدرُ يا بحرُ يا غمامةُ يا ليثَ الشَّرَى يا حِمامُ يا رجلُ
إن البنانَ الذي تقلبهُ عندك في كل موضع مثل(٣)

---

(١) التغابن ٨
(٢) تلخيص البيان ٣٣٥
(٣) الشرى : موضع كثير الأسد تنسب الأسود ، والحمام بكسر الحاء : الموت . البنان الأنامل .

يقول الشاعر : أنت فى جمالك بدر ، وفى وجودك بحر وسحاب ، وفى إقدامك وشجاعتك ليث ، وفى أقدامك على قتل الأعداء موت ، وقد جمعت هذه الصفات وأنت رجل ، وإن كفك الذى تقلبه وأنت فى بلدك ، به يضرب المثل فى الجود .

وروى فى بعض النسخ « نقبله » من التقبيل ، أى نقبله نحن والناس أجمعون(١) .

والاستعارة فى كل من بدر وبحر وغمامه وليث الشرى وحمام ، والقرينة النداء بيا ، وهى مطلقة لعدم اقترانها بما يلائم المشبه أو المشبه به .

ومن المطلقة — أيضا — ما أجتمع فيها ترشيح « مايلائم المستعار منه » وتجريد « مايلائم المستعار له » لأنهما باجتماعهما يتعارضان فيتساقطان فكأن لاترشيح ولا تجريد ، وتكون هذه الاستعارة مطلقة حكما .

كقول المتنبى :

في الخدِّ إن عزم الخليطُ رحيلا
مطرٌ تزيدُ به الخدودُ محُولاَ(٢)

يقول الشاعر : فى الخد لأجل رحيل الحبيب مطر ، وإذا كان المطر من شأنه أن ينبت ويخصب فهذا المطر يمحل الخدود ويشققها .

الاستعارة فى كلمة « مطر » فقد شبه الشاعر الدموع بالمطر بجامع

---

(١) ديوان المتنبى بشرح أبى البقاء العكبرى ح ٢ — ٢١٥

(٢) إن عزم : إذا عزم ، وقيل لأن عزم ولأجل ، ومثله زرتك أن تكرمنى : أى لأن تكرمنى . الخليط هو الذى يخالطك ، وأراد به ههنا الحبيب — محول الخدود : أذهاب نضارتها وشحوبها .

الغزارة فى كل ، ثم استعار لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعاره التصريحية الأصليه ، والقرينة قوله «فى الخد».

— وكما ترى — فقد ذكر الشاعر شيئين بعد استعاره المطر للدموع أحدهما يناسب الدموع وهو الخدود فى الشطر الثانى ، والآخر يناسب المطر وهو المحول بمعنى الجدب وبهذا كانت الاستعارة مطلقة .

وكقول الآخر :

رَمَتْني بسهمٍ ريشُه الكحلُ لم يَضِرْ
ظواهرَ جِلْدِي وهو للقلبِ جارحُ

والاستعارة فى «سهم» .

فقد استعير «السهم» للنظر بجامع شدة التأثير فى كل ، و«ريشه» ترشيح لأنه من ملائمات المستعار منه ، من قولهم : راش السهم إذا ألصق عليه الريش ، ليكون أحكم فى الرماية ، والكحل تجريد ، لأنه من ملائمات المستعار له ، والقرينة حالية ، وبهذا الاعتبار تكون الاستعاره مطلقة لاجتماع الترشيح والتجريد :

وإذا اعتبر « الكحل » قرينة الاستعارة ، كان « ريشه » ترشيحا وتكون الاستعاره حينئذ من قبيل المرشحة .

وسميت هذه الاستعاره بالمطلقة ، لأنها أطلقت عما يقويها أو يضعفها يقول الشيخ الدسوقى : تسمى مطلقة لاطلاقها عن وجود الملائمات(١) .

٢ — المجرده : وهى التى قرنت بما يلائم المستعار له « المشبه » كقوله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ ٤ — ١٢٧

فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون(١) .

والإستعارة في كلمة «لباس» .

وقد يبدو أن المناسبة تقضي أن يقال، فألبسها الله لباس الجوع، ولكن إيثار الذوق هنا لأن الجوع يشعر به ويذاق ، وصح أن يكون للجوع لباس ، لأن الجوع يكسو صاحبه بثياب الهزال والضنى والشحوب(٢) .

وكما ترى — فقد شبه أثر الجوع والخوف باللباس ، بجامع الإشتمال والإحاطة في كل ، ثم استعير اللباس لما يعترى الإنسان من أثر الجوع والخوف ، والقرينة هي إضافة اللباس إلى الجوع والخوف .

وقد عبر بالإذاقة ليلائم المستعار له، لأن معنى الإذاقة ابتلاؤه بآلام الجوع ، ولو قال : « فكساها » لكان ترشيحاً ، بيد أن في الإذاقة مبالغة لأن الذوق أبلغ في الاحساس ، وأدخل في الايلام من كساها ، ولأن التعبير بالاذاقة إشعار بشدة الاصابه بخلاف التعبير بالكسوة ، لأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من غير عكس .

يقول صاحب الإيضاح : قال أذاقها ولم يقل كساها ، لأن المراد بالإذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس كأنه قال فأصابها الله بلباس الجوع والخوف .

قال الزمخشري : الإذاقة جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد ، وما يمس الناس منها . فيقولون : ذاق البؤس والضر

---

(١) النحل ١١٢
(٢) من بلاغة القرآن ٢٢٠

وأذاقة العذاب ، شبه مايدرك من أثر الضر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع(١) .

فإن قيل : الترشيح أبلغ من التجريد ، فهلا قيل : فكساها الله لباس الجوع والخوف ؟ قلنا لأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من غير عكس ، فكان فى الإذاقة إشعار بشدة الإصابة بخلاف الكسوة .

فإن قيل . لم لم يقل فأذاقها الله طعم الجوع والخوف ؟ قلنا : لأن الطعم وإن لاءم الإذاقة ، فهو مفوت لما يفيده لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عم أثرهما جميع البدن عموم الملابس(٢) .

كما يقول الشريف الرضى : إن حقيقة الذوق إنما تكون فى المطاعم والمشارب لا فى الكسى والملابس ، وإنما خرج هذا الكلام مخرج الخبر عن العقاب النازل بهم والبلاء الشامل لهم ،وقد عرف فى لسانهم أن يقولوا لمن عوقب على جريمة أو أخذ بجريرة:ذق غب فعلك ، وأجن ثمرة جهلك وإن كانت عقوبته ليست مما يحس بالطعم ويدرك بالذوق ، فكأنه سبحانه لما شملهم بالجوع والخوف على وجه العقوبة حسن أن يقول تعالى:فأذاقهم ذلك ، أى أوجدهم مرارته ،كما يجد الذائق مرارة الشىء المرير ، ووخامة الطعم الكريه .

وإنما قال سبحانه : «لباس الجوع» ولم يقل «طعم الجوع» لأن المراد بذلك —والله أعلم— وصف تلك الحال بالشمول لهم ، والاشتمال عليهم ، كاشتمال الملابس على الجلود ، لأن ما يظهر منهم عن مضيض الجوع

---

(١) البشع : كريه الطعم .

(٢) انظر الإيضاح جـ ٣ ص ١٤١ والكشاف جـ ٢ — ٤٣١

وألم الخوف ، من سوء الأحوال ، وشحوب الألون ، وضئولة الأجسام كاللباس الشامل لهم ، والظاهر عليهم(١) .

و كقول البحترى يمدح الفتح بن خاقان :

يؤدونَ التحيةَ من بعيدٍ
إلى قمرٍ من الإيوانِ بادِ(٢)

والإستعارة فى « قمر » .

فالقمر مستعار للمدوح بجامع الإشراق فى كل ، والقرينة يؤدون التحية من بعيد ، وقول الشاعر : «من الإيوان باد» تجريد لأنه من ملائمات الممدوح وهو المشبه :

وهذا . وسميت هذه الإستعارة «مجردة» لتجريدها عما يقويها ، لأن ذكر ملائم المشبه مضعف لتناسى التشبيه ، ومبعد لدعوى اتحاد المستعار له مع المستعار منه ، والدخول فى جنسه .

يقول الشيخ الدسوقى : تسمى مجردة لتجردها عما يقويها من إطلاق أو ترشيح لأن المشبه الذى هو المستعار له صار بذكر ملائمة بعيداً من دعوى الاتحاد التى فى الإستعارة ومنها تنشأ المبالغة(٣) .

٣ — المرشحة : وهى التى قرنت بما يلائم المستعار منه ، كقوله تعالى :

---

(١) تلخيص البيان ١٩٦

(٢) الإيوان : الصفة العظيمة لها سقف محول من الأمام على مقعد يجلس فيها العظماء أنظر : ديوان البحترى حـ ٢ — ٧٢٦ — تحقيق الصيرفى .

(٣) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص حـ ٤ — ١٢٨

« أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين »(١).

والإستعارة في «اشتروا» فقد شبه أختيار الضلالة على الهدى بالإشتراء بجامع ترك مرغوب عنه ، وأخذ مرغوب فيه ثم استعير المشبه به للمشبه ، واشتق من الشراء «اشتروا» بمعنى اختاروا على سبيل الإستعارة التصريحية التبعية ، والقرينة استحالة تعلق الإشتراء الحقيقي بالضلالة والهدى .

وقوله تعالى : «فما ربحت تجارتهم» يلائم المشبه به ، ومن ثم فالإستعارة مرشحة .

يقول الزمخشري : ومعنى اشتروا الضلالة بالهدى اختيارها عليه ، واستبدالها به على سبيل الاستعارة ، لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر . فإن قلت : كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى ؟ قلت جعلوا لتمكنهم منه وإعراضه لهم كأنه في أيديهم ، فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ، ولأن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة(٢) .

كما يقول الشريف الرضي في بيان معنى «اشتروا» : والمعنى أنهم استبدلوا الغي بالرشاد ، والكفر بالإيمان ، فخسرت صفقتهم ، ولم تربح تجارتهم ، وإنما أطلق سبحانه على أعمالهم اسم التجارة ، لما جاء في أول الكلام بلفظ «الشرى» تأليفاً لجواهر النظام وملاحمة بين أعضاء الكلام(٣) .

---

(١) البقرة الآية ١٦
(٢) الكشاف جـ ١ — ١٩١
(٣) تلخيص البيان ١١٤

وكقول الشاعر في وصف موقعة:

والموتُ يخطرُ في الجموعِ وحولَهُ أجنادُه من أنصلٍ وعوالي(١)

فقد شبه الشاعر الموت بقائد شجاع بجامع التغلب على الغير في كل ثم خذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «يخطر» على سبيل الإستعارة المكنية، والقرينة إثبات «الخطر» للموت، وفي ذكر الأجناد والأنصل والعوالي ترشيح.

وسميت هذه الإستعارة «مرشحة» لأن الترشيح معناه التقوية وفي ذكر الملائم للمشبه به إبعاد لها عن الحقيقة. وتقوية لدعوى الإتحاد التي هي مبنى الإستعارة.

يقول الشيخ الدسوقي سميت الاستعارة التي ذكر فيها مايلائم المستعار منه «مرشحة» لأنها مبنية على تناسي التشبيه. حتى كأن الموجود في الأمر هو المشبه به دون المشبه، فإذا ذكر مايلائم المشبه به دون المشبه، كان ذلك موجباً لقوة ذلك المبنى، فتقوى الاستعارة بتقوى مبناها لوقوعها على الوجه الأكمل(٢).

هذا. والترشيح أقوى، ثم الاطلاق، ثم التجريد، ومرجع ذلك إلى أن مبنى حسن الاستعارة — كما علمت — على تناس التشبيه، وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل تحت جنسه، فكل ما أعان على ذكر الملائم للمستعار منه يجعل حديث التشبيه بعيداً عن الأذهان.

أما الاطلاق فهو ترك الاستعاره على حالها دون أن يذكر مايقويها أو يضعفها.

---

(١) الأنصل: جمع نصل، وهو حديدة السيف، والعوالي: الرماح.

(٢) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص حـ ٤ — ٣٠

وفى التجريد رجوع إلى حديث التشبيه ، حيث عاد المتكلم بعد الاستعارة إلى ذكر ما يناسب المشبه ، فأشار إلى مكانه من الجملة فهو بذلك يضعف من شأن الاستعار :

كما ينبغى — أيضاً — أن يعلم أن ترشيح الاستعارة هو تقوية لها وحدها ، فلا ينافى ذلك أن يكون التجريد أبلغ منه فى بعض الأحيان بالنسبة لجملة الكلام ، كما مر بك ذلك فى قوله تعالى : « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف » فقد تقتضى بلاغة الكلام جملة التجريد(١) .

---

(١) أسرار البيان ١١٢

التهكمية والتمليحية

قد ينزل التضاد أو التناقض منزلة التناسب ، ويستعمل اللفظ فى ضد معناه أو فى نقيضه ، فإن كان الغرض الدافع لذلك الاستعمال التهكم والاستهزاء بالمقول فيه كانت الاستعارة تهكمية .

وإن كان الغرض هو بسط السامعين ، وإزالة السآمة عنهم بالاتيان بشىء مستظرف مليح كانت الاستعارة تمليحية ، والمقام هو الذى يحدد المراد .

يقول الشيخ الدسوقى : التهكمية والتمليحية بمعنى ، إلا أن الفارق بينهما من جهة أنه إن كان الغرض الحامل على استعمال اللفظ فى ضد معناه الهزء والسخرية بالقول فيه كانت تهكمية ، وإن كان الغرض الحامل على ذلك بسط السامعين وإزالة السآمة عنهم بواسطة الإتيان بشىء مليح مستظرف كانت تمليحية ، فإذا أطلق الأسد على الجبان فقد نزل التضاد منزلة التناسب تهكما أو تمليحا ، وشبه الجبان بالأسد بجامع الشجاعة الموجودة فى المشبه وهو الجبان تنزيلا ، والموجودة فى المشبه به وهو الأسد حقيقة . واستعير اسم الأسد للجبان استعارة مصرحة(١) .

ومن الاستعارة التهكمية قوله سبحانه : « فبشرهم بعذاب أليم(٢) » .

والاستعارة فى « فبشرهم » بمعنى : فأنذرهم .

يقول القرطبى : أى اجعل ذلك بمنزلة البشارة(٣) .

كما يقول صاحب المطول : أى أنذرهم ، استعيرت البشارة التى هى

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص حـ ٤ — ٧٨

(٢) الإنشقاق ٢٤

(٣) تفسير القرطبى ٧٠٧٣ ط الشعب

الإخبار بما يظهر سرور المخبر به للإنذار الذي هو ضدها بإدخاله في جنسها على سبيل التهكم ، وكذا قولك رأيت أسدا تريد جبانا على سبيل التمليح والظرافة أو الاستهزاء(١) — وكما ترى — فقد نزل التضاد بين التبشير والإنذار بالتبشير بجامع السرور المترتب على كل منهما تحقيقا في التبشير وتنزيلا في الإنذار، ثم استعير المشبه به، للمشبه ثم اشتق من البشارة بمعنى الانذار بشرهم بمعنى أنذرهم على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية التهكمية. والقرينة هي «عذاب»المجرور بالباء لأن التبشير بمعناه الحقيقي وهو الإخبار بما يسر لا يتعدى إلى العذاب .

وقوله عز وجل : « فاهدوهم إلى صراط الجحيم(٢) » .

والاستعارة في « فاهدوهم» بمعنى «جروهم» .

يقول الزمخشري في معنى « فاهدوهم » فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها ، هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين(٣) .

— وكما ترى — فقد نزل التضاد بين الهداية التي هي الدلالة بلطف، وبين الأخذ بجامع الشيء وجره بقهر وعنف منزلة التناسب ، ثم شبه الأخذ بالعنف والقهر بالهداية بجامع ما يترتب على كل من الخير والفلاح؛ وإن كان تنزيلا في المشبه، تحقيقا في المشبه به ، ثم استعير المشبه به للمشبه ، واشتق منه « اهدوهم » بمعنى «جروهم» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية التهكمية ، والقرينة «صراط الجحيم » المجرور بإلى ، لأن الهداية بمعناها الحقيقي لا تتعدى إلى صراط الجحيم .

---

(١) المطول ٣٦٥

(٢) الصافات ٢٣

(٣) الكشاف ح٣ — ٢٣٨

قرينة الاستعارة

لما كانت الاستعارة نوعا من المجاز — كما علمت — والمجاز لا بد فيه من قرينة تفصح عن المعنى المراد، فإن الاستعارة لا بد لها من قرينة تصرف عن إرادة المعنى الحقيقي للفظ.

وهذه القرينة تكون من ملائمات المستعار له في الاستعارة التصريحية كما تكون من ملائمات المستعار منه في الاستعارة المكنية — كما رأيت.

هذا: وقد تكون القرينة:

لفظية: وهي لفظ يذكر في الكلام ليصرفه عن معناه الحقيقي ويوجهه إلى المعنى المجازي المراد كقول المتنبي:

فلم أرَ قبلي من مَشَى البحرُ نحوهُ ولا رجلاً قامتْ تعانقه الأُسْدُ

— وكما ترى — الاستعارة في كلمة «بحر» في الشطر الأول، وكلمة «أسد» في الشطر الثاني، والقرينة هي لفظ «مشى» لأن البحر الحقيقي لا يمشي، وإنما الإنسان المشابه للبحر، وكذلك لفظ «تعانقه» لأن الأسد الحقيقية لا تعانق، وإنما يعانق الإنسان المشابه لها.

وغير لفظية: وهي أمر خارج عن اللفظ يصرف الكلام عن إرادة معناه الحقيقي.

وذلك كدلالة الحال: كأن تقول «أرى ليثا» وأمامك رجل شجاع، أو «أرى بحرا» وأمامك رجل كريم معطاء، وكقوله تعالى: «اهدنا الصراط المستقيم»(1).

---

(1) الفاتحة ٦

فقد شبه الدين القويم بالطريق المعتدل بجامع أن كلا منهما يوصل إلى المطلوب ويحقق الهدف المنشود ، ثم استعير الصراط المستقيم للدين القويم على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية . والقرينة حالية .

وقوله جل شأنه : « أو من كان ميتا فأحييناه »(١) .

والمعنى : أو من كان ضالا فهديناه . فاستعير الميت للضال، كما استعير الإحياء للهداية .

فقد شبه الضلال بالموت بجامع عدم النفع فى كل، ثم استعير المشبه به للمشبه ، ثم اشتق من الموت « ميتا » بمعنى «ضالا» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

كما شبهت الهداية بالإحياء بجامع النفع فى كل ، ثم استعير المشبه به للمشبه ، ثم اشتق من الإحياء « أحييناه» بمعنى هديناه على سبيل الاستعارة التصريحيه التبعية .

— وكما ترى — القرينة فى الاستعارتين «حاليه» يدل عليهما المقام .
أو استحالة المعنى : كقوله تعالى : «إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية(٢)» فقد شبه كثرة الماء بالطغيان بجامع مجاوزة الحد فى كل، ثم استعير الطغيان للكثرة ، ثم اشتق منه « طغى » بمعنى كثر حتى جاوز الحد على سبيل الاستعارة التصريحية التبعيه ، والقرينة : استحالة صدور الطغيان بمعناه الحقيقى من الماء .

يقول الشيخ الدسوقى : فإن قلت : حاصل القرينة فى هذه الأمثلة استحالة قيام المسند بالمسند إليه: وقد تقدم أن استحالة قيام المسند بالمسند إليه

---

(١) الأنعام ١٢٢ (٢) الحاقة ١١

من قرائن المجاز العقلي . قلت : لا يضر ذلك لأن المقصود بالقرينة ما يصرف عن إرادة المعنى الحقيقي ، وهذه كذلك وإن صلحت للمجاز العقلي(١).

هذا . وتأتي القرينة في الاستعارة أمرا واحدا ، كالأمثلة السابقة ، وقد تتعدد فتكون أمرين كقول الشاعر :

فإن تَعافُوا العدلَ والإيمانَا
فإنَّ في أيمانِنا نيرانا(٢)

والاستعارة في « نيران » بمعنى السيوف التي تلمع وتهلك .

يهدد الشاعر الكفار الذين يكرهون العدل الانصاف ، ويرفضون التصديق بما جاء به رسول الإسلام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، بأنهم إذا استمروا في عنادهم وكفرهم وضلالهم استحقوا أن يحاربهم المسلمون بسيوف كالنيران في الإهلاك واللمعان .

— وكما ترى — قد استعير لفظ « النيران » للسيوف بجامع الإهلاك واللمعان في كل ، وقد جعلت « النيران » استعارة لأن الذي يدعو إلى العدل والإيمان متمسك بمبادىء الدين الحنيف الذي يعاقب الخارجين بحد السيف لا بالإحراق بالنار .

والقرينة هي كل من « العدل » و « الإيمان » نظرا لتعلق « تعافوا » بهما .

---

(١) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص حـ ٤ — ١٢٤
(٢) تعافوا : تكرهوا ، والإيمان في الشطر الأول بكسر الهمزة : التصديق بما جاء به الرسول ﷺ والأيمان في الشطر الثاني بفتح الهمزة : جمع يمين : اليد اليمنى .

يقول الشيخ الدسوقي : وإنما جعل كل واحد قرينة ولم يجعل أحدهما قرينة والآخر تجريداً ، لأن مجموع الأمرين بمنزلة الشرط فهما بمنزلة شيء واحد ، لكن لو انفرد كل واحد منهما لصح قرينة (١) .

وقد تأتي القرينة معان ملتئمة تضامنت وارتبط بعضها ببعض فيكون الجميع قرينة كقول البحتري يمدح أبا سعيد :

وصاعقةٍ من نَصْلِه تنكفي بها
على أرؤسِ الأقرانِ خمسُ سحائبِ (٢)

يقول الشاعر : رب ضربة قوية بحد سيفه البتار تهوى بها على أرؤس الأعداء أنامله الخمس التي هي في الجود والعطاء والفيض والسخاء كالسحائب.

وبهذا فقد ضمن الشاعر مدحه بالشجاعة مدحه بالسخاء أيضا :

والاستعارة في «سحائب» بمعنى أنامل الممدوح .

فقد شبه الشاعر أنامل الممدوح بالسحائب بجامع عموم النفع في كل ثم استعار المشبه به للمشبه ، والقرينة مجموع أشياء تضامت والتأمت وارتبطت ببعضها وهي ذكر الصاعقة ، وكونها ناشئة من حد سيفه ، وانقلابها على

---

(١) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص جـ٤ — ٧٣ — يعلق الشيخ الدسوقي على القول بتعدد القرينة بقوله : وهو الحق ، وقال بعضهم لا يجوز تعدد القرينة ، لأنه إن كان الصرف عن إرادة المعنى الحقيقي بجميع تلك الأمور فلا نسلم تعدد القرينة ، وإن كان بكل واحد فلا حاجة لما عدا الأول وحينئذ فيجعل تجريد أو ترشيحا ـ حاشية الدسوقي جـ٤ — ٧٣

(٢) الصاعقة : في الأصل نار سماوية تهلك ما أصابته والمراد هنا الضربة القوية ـ النصل : حد السيف تنكفي : تنقلب ـ الأقران : جمع قرن بكسر القاف الكفء في الشجاعة .

أرؤس الأقران ، وكون المنقلب بها خمساء ، وبهذا اتضح أن المراد بالسحائب أنامل الممدوح .

والقرينة هنا ليست متحدة ، كما وجدت في الاستعارة السابقة لأن الاستعارة هنا لا تتضح الاتضاح الكامل إلا بمجموع هذه الأمور ، إلى جانب أن مجيئها بغير طريق العطف يؤكد هذا الارتباط ، وهذا لا يمنع أن يكون بعضها كافيا لأن يكون قرينة على الاستعارة ، بيد أن مجموعها يضيف إلى الاستعارة وضوحاً أكثر وبياناً أتم .

يقول الشيخ الدسوقي : والحاصل أن الدلالة الواضحة على المراد متوقفة على الجميع ، وهذا لا ينافي كفاية بعضها في أصل الدلالة على المراد (١) .

---

(١) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص حـ ٤ — ٧٥

الاستعارة المكنية

علمت أن الاستعارة تنقسم باعتبار ذكر أحد الطرفين إلى تصريحية، ومكنية، وقد انتهى الكلام فى الاستعارة التصريحية، وإليك الحديث عن المكنية.

عند الجمهور: هى لفظ المشبه به المحذوف، المستعار فى النفس للمشبه المرموز إليه بإثبات لازمه للمشبه، كقوله تعالى: واخفض لهما جناح الذل من الرحمة(١).

فقد شبه الذل بطائر، واستعير فى النفس لفظ المشبه به وهو الطائر للمشبه، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الجناح، فالاستعارة المكنية فى الآية الكريمة هى لفظ الطائر المحذوف، والقرينة إثبات الجناح للذل. وهذه القرينة استعارة تخييلية.

واختيار كلمة «الجناح» فى هذا الموضع يوحى بما ينبغى أن يظل الإبن أباه من رعاية وحب، كما يظل الطائر صغار فراخه(٢).

يقول الشريف الرضى: وهذه استعارة عجيبـــة، وعبارة شريفة، والمراد بذلك، الاخبات للوالدين(٣)، والإلانة القـول لهما، والرفق واللطف بهما.

وخفض الجناح فى كلامهم عبارة على الخضوع والتذلل، وهما ضد العلو والتعزز إذ كان الطائر إنما يخفض جناحه إذ ترك الطيران، والطيران هو العلو والارتفاع وقد يستعار ذلك لفرط الغضب والاستشاطة.

---

(١) الإسراء ٢٤ (٢) من بلاغة القرآن ٢٢٢

(٣) الإخبات. الخشوع.

وإنما قال سبحانه : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » ، ليبين تعالى أن سبب الذل لهما الرأفة والرحمة ، لئلا يقدر أنه الهوان والضراعة وهذا من الأغراض الشريفة والأسرار اللطيفة(١) .

وكقول الشاعر :

وإذا العنايةُ لاحظتكَ عيونُها   نَمْ فالمخاوفُ كلهن أمانُ

فقد شبهت العناية بإنسان ، ثم تنوسى التشبيه، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، ثم استعير في النفس لفظ المشبة به للمشبه ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو العيون ، والقرينة إثبات العيون للعناية ، وهذه القرينة إستعارة تخييلية .

هذا . وقد سميت هذه الاستعارة — كما علمت — «مكنية» لعدم التصريح بالمشبه به ، والكناية عنه بذكر بعض خواصه أو لوازمه ففيها نوع من الخفا. ، كما سميت — أيضا — « استعارة بالكناية » أي الاستعارة الملابسة للكناية بمعنى الخفاء .

والقرينة — كما رأيت في المكنية إثبات لازم المشبه به للمشبه كإثبات الجناح للذل في الآية الكريمة ، والعيون للعناية في قول الشاعر السابق ، وهذا الإثبات يسمى استعارة تخييلية » .

وسمى « استعارة » لأن اللازم المذكور ، وهو الأمر المختص بالمشبه به ، أستعير للمشبه ، وأثبت له ، كما سمى «تخييلا » لأن اللازم عند ما نقل وأثبت للمشبه به خيل للسامع أن المشبه من جنس المشبه به .

ومن ثم فإن قرينة المكنية استعارة تخييلية ، وعلى ذلك فإن المكنية لا تنفك عن التخييلية .

---

(١) تلخيص البيان ٢٠٠

كما أن طرفى الاستعارة التخييلية مستعملان فى معنيهما الحقيقيين ، «فالعناية» والعيون» — فى قول الشاعر السابق — كلاهما مستعمل فى المعنى الموضوع له . والتجوز فى إثبات العيون للعناية، لأن العناية لا عيون لها، فهو من إثبات الشيء لغير ما هو له .

* * *

عند الخطيب :

يرى الخطيب القزوينى أن المكنية هى : « التشبيه المضمر فى النفس ، المتروك أركانه سوى المشبه . المدلول عليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه .

يقول الخطيب : قد يضمر التشبيه فى النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حسا أو عقلا ، أجرى عليه إسم ذلك الأمر للمشبه استعارة تخييلية(١) .

وعلى رأيه ، فإن الاستعارة المكنية تخرج عن المجاز اللغوى ، لأنها تصير فعلا من أفعال النفس ، ولا وجه حينئذ لتسميتها استعارة ، لأن الاستعارة — كما علمت — لها تعريفان :

أحدهما بالمعنى الإسمى وهو : اللفظ المستعمل فى غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى والآخر بالمعنى المصدرى ، استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى .

---

(١) الإيضاح جـ٣ — ١٥٤

والتشبيه المضمر فى النفس ليس لفظاً ، ولا استعمالا للفظ ، وإنما هو فعل من أفعال النفس ، وعلى هذا فتسميته : « استعارة » فيه مسامحة .

أما تسميتها بالمكنية عنده ، فلعدم التصريح فيها بالتشبيه ، وإنما كنى عنه بذكر لازم المشبه به وإثباته للمشبه .

هذا . وقد التمس بعض العلماء وجهاً لهذه التسمية : يقول ابن يعقوب .

« وأما تسميتها بالاستعارة فجرد تسمية اصطلاحية عارية عن المناسبة » .

وقيل فى بيان المناسبة : إنه لما ذكرت اللوازم وأثبتت للمشبه دل ذلك على أن المشبه ادعى دخوله فى جنس المشبه به ، حتى استحق خواصه ، وادعاء الدخول شأن الاستعارة فسمى ذلك التشبيه لأجل ذلك استعارة(١) .

وعلى رأى الخطيب فإجراء الاستعارة فى بيت أبى ذؤيب الهذلى :

وإذا المنيـــةُ أنشبتْ أظفارَها ... ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

شبه الشاعر المنية بالسبع فى اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار تشبيها مضمرا فى النفس ، ثم تنوسى التشبيه ، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، ثم أثبت لازم المشبه به وهو الأظفار للمشبه وهو المنية . والقرينة إثبات الأظفار المنية ، وهذه القرينة استعارة تخييلية .

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ج ٤ — ١٥٢ .

رأى السكاكى :

وى السكاكى أن الاستعارة المكنية هى : لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به بادعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه ، وإنكار أن يكون غيره بقرينه ذكر اللازم .

يقول السكاكى : الاستعارة بالكناية هى : أن تذكر المشبه وتريد به المشبه به دالا على ذلك بنصب قرينة تنصبها(١) .

التبعية ترد إلى المكنية

يجوز فى الاستعارة التبعية أن ترد إلى المكنية ، ويكون ذلك بنقل الاستعارة التبعية من موطنها إلى قرينتها فتصير استعارة مكنية .

تقول فى قوله تعالى : ولما سكت عن موسى الغضب(٢) .

شبه انتهاء الغضب بالسكوت بجامع الهدوء فى كل ، ثم استعير المشبه

---

(١) المفتاح ١٧٩ — على رأى السكاكى : المراد بالمنية فى قول الشاعر السابق : « وإذا المنية أنشبت أظفارها » : هو السبع بادعاء أن السبعية لها ، وإنكار أن تكون شيئاً غير السبع بقرينة إضافة الأظفار التى هى من خواص السبع إليها .

وفى هذا الرأى نظر . لأن الشاعر عندما قال : « وإذا المنية أنشبت أظفارها » : لم يستعمل المنية بمعنى السبع ، وإنما استعملها فى المعنى الموضوعة له وهو الموت .

(٢) الأعراف ١٥٤

به للمشبه ، ثم اشتق من السكوت : « سكت » بمعنى هدأ وانتهى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، والقرينة إسناد سكت إلى الغضب .

كما يجوز لك أن تقول: شبه الغضب بإنسان، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو السكوت وإثبات السكوت للغضب استعارة تخييلية وهي قرينة المكنية .

كما تقول — أيضاً — في قول الشاعر :

ولئن نطقتُ بشكرِ برك مفصحاً
فلسانُ حالي بالشكاية أنطقُ

شبهت الدلالة بالنطق بجامع إيضاح المعنى في كل ، ثم استعير النطق للدلالة ثم اشتق من النطق بمعنى الدلالة « أنطق » بمعنى « أدل » على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية . والقرينة إسناد أنطق إلى ضمير لسان حالي .

ويجوز لك أن تجري الاستعارة في القرينة فتقول : شبه الحال بإنسان ناطق في الدلالة على المقصود ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اللسان ، وإثبات اللسان للحال استعارة تخييلية وهي قرينة المكنية .

وينبغي أن تعلم أنك إذا أجريت الاستعارة المكنية ، امتنع أن تجري الاستعارة التبعية ، لأن القرينة حينئذ تكون مستعملة في معناها الحقيقي .

هذا . وإذا كان الفضل لذويه أحق أن ينسب ، فإن صاحب الفضل في هذا الاتجاه ، أبو يعقوب يوسف السكاكي الذي أراد بهذا الاختيار تقليل أقسام البيان .

يقول السكاكى : « ولو أنهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة بالكناية ، بأن قلبوا فجعلوا فى قولهم : نطقت الحال بكذا ، الحال التى ذكرها عندهم قرينة الاستعارة بالتصريح استعارة بالكناية عن المتكلم بوساطة المبالغة فى التشبيه على مقتضى المقام . وجعلوا نسبة النطق إليه قرينة الاستعارة(١) .

المجاز المركب

المجاز اللغوى نوعان : مفرد ومركب — كما علمت — وقد سبق الكلام فى المجاز المفرد ، وإليك المجاز المركب .

المجاز المركب : هو اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى .

فإن كانت العلاقة المشابهة كان تمثيلا ، أو استعارة تمثيلية ، وإذا كانت غير المشابهة فهو المجاز المرسل المركب .

الاستعارة التمثيلية

الاستعارة التمثيلية : هى اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى .

كقوله تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمنا قليلا ، فبئس ما يشترون »(٢) .

---

(١) المفتاح ١٧١ (٢) آل عمران ١٨٧

يقول الشريف الرضى : وهذه استعارة والمراد بها : أنهم غفلوا عن ذكره وتشاغلوا عن فهمه ، يعنى الكتاب المنزل عليهم ، فكان كالشىء الملقى خلف ظهر الإنسان ، لا يراه فيذكره ، ولا يلتفت إليه فينظره (١).

— وكما ترى — الاستعارة فى « فنبذوه وراء ظهورهم » .

فقد شبهت هيئة من أخذ عليهم الميثاق فأهملوه ولم يأخذوا به بهيئة من كان معه شىء تافه لاقيمة له فى اعتباره ، فطرحه وراء ظهره بجامع الهيئة الحاصلة من شىء يهمل احتقاراً لشأنه، ثم استعير اللفظ المركب الموضوع للمشبه به للمشبه ، على سبيل الاستعارة التمثيلية والقرينة حالية .

وكقول الوليد بن يزيد لمروان بن محمد عندما بلغه توقفه عن البيعة أما بعد فإنى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام(٢) .

فقد شبهت هيئة تردده فى المبايعة بهيئة من قام ليذهب فى أمر فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى بجامع الحيرة فى كل ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة حالية .

المثل : إذا اشتهرت الاستعارة التمثيليـــة وشاع استعمالها باقية على هيئتها سميت « مثـلا » ومن ثم فكل الأمثال السائرة من قبيل الاستعارة التمثيلية .

ويلزم تبعاً لذلك أن يراعى فى كل مثـل المعنى الذى ورد فيه أولا فيخاطب به المفرد والمثنى والجمع مذكراً كان أو مؤنثاً بدون تغيير فى العبارة الواردة ومن ذلك :

(١) تلخيص البيان ١٣٦ .
(٢) الإيضاح حـ٣ — ١٤٧

أحشفاً وسوء كيلة .

ويضرب هذا المثل لمن يظلم من وجهين ، وأصله : أن رجلا أشترى تمراً من آخر ، فإذا هو ردىء وناقص الكيل ، فقال المشترى هذه العبارة .

ويقال فى إجراء الاستعارة فيه : شبهت هيئة من يظلم من وجهين بهيئة رجل باع آخر تمراً رديئاً وناقص الكيل ، بجامع الظلم من وجهين فى كل ، ثم أستعير اللفظ المركب الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية والقرينة حالية .

ونحو : ومن خطب الحسناء لم يغله المهر .

ويضرب لمن ينشد الشىء الحسن ، فقد شبهت حال من يجتهد فى تحصيل العلم ، أو كل أمر فيه خير ومنفعة ، فينفق ماله وصحته للحصول على درجة رفيعة ، أو منزلة عالية ، بحال من يخطب الحسناء فلا يهوله عظم مهرها ، بجامع البذل الكثير فى كل للحصول على الغاية المرجوة والهدف المنشود ، ثم أستعير اللفظ المركب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة حالية .

ونحو : تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها .

ويضرب لمن يعتز بكرامته ولا يفرط فيها ، فقد شبهت هيئة الرجل الكريم الأصل ، العزيز النفس الذى لا يفضل الدنايا على الرزايا عندما تنزل به القدم أو تنتابه الخطوب ، بهيئة المرأة التى تفضل جوعها على إجارتها للإرضاع عند فقرها ، بجامع ترجيح الضرر على النفع فى كل ، واستعير اللفظ المركب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية والقرينة حالية .

ونحو : رمية من غير رام .

ويضرب لمن يصدر منه فعل حسن ليس أهلا له ، فقد شبهت هيئة من يصدر منه عمل ليس أهلا له ، بهيئة من يرمى السهم فيصيب الرمية ، وهو لا يحسن الرماية ، بجامع صدور الشيء من غير أهله ، ثم أستعير اللفظ المركب الدال على المشبه به للمشبه والقرينة حالية .

هذا ، والاستعارة التمثيلية لها منزلة رفيعة عند أرباب البلاغة وأساطين البيان لأن مبناها تشبيه التمثيل ، كما أن بلاغتها تتحقق فى إصابة الشبه بين الهيئتين ، وإذا كانت مثلا فإن جمالها وروعتها وحسنها وبهاءها يتوقف على إصابة المضرب المناسب لها .

وينبغى أن تعلم أنه إذا أطلق « التمثيل » فإنه ينصرف إلى الاستعارة التمثيليـــة .

يقول ابن يعقوب المغربى معللا لسر هذه التسمية : « أما تسميته تمثلا فلأن وجه الشبه منتزع من متعدد ، وقيد على سبيل الاستعارة ليطابق الاسم المسمى ، لأن الواقع فى هذا المجاز أنه تشبيه حال بأخرى على وجه المبالغة بإدخال جنس الأولى فى الثانية ، ثم يستعمل لفظ الثانى فى الأولى ، وذلك شأن الاستعارة فزيد لتبيين مطابقة الاسم للمسمى(١) » .

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص حـ ٤ — ١٤٥

بلاغة الاستعارة

وإذا كانت الاستعارة تبدأ من حيث ينتهي التشبيه ، والتشبيه — كما رأيت — فيه من الجمال ما فيه ، فهو يوضح الخفي ، ويدني القصي ، ويذلل العصي ، ويكسب المعنى جمالا وبهاء ، وروعة ورواء ، فإن الاستعارة تفوق التشبيه ، لأنها مبنية على تناسيه ، والمبالغة بإدعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، وداخل تحت جنسه ، كما تجعلك تعيش في صورة جديدة تنسيك روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي مستور .

هذا إلى جانب أنها تؤكد المعنى المجازي المراد ، بما تتحلى به من تجسيم الأشياء المعنوية ، وعرضها في صورة مرئية محسوسة ، مما يضفي عليها لونا من الجمال زاهيا وتأثيرا في القارىء والسامع قويا ، وأثرا في النفس والقلب عظيما .

يقول الإمام عبد القاهر : إن الأشياء تزداد بيانا بالأضداد ، ومثاله قولك : رأيت أسدا ، وأنت تعني رجلا شجاعا ، وبحرا تريد رجلا جوادا وبدرا وشمسا تريد إنسانا مضئ الوجه متهللا ، وسللت سيفا على العدو تريد رجلا ماضيا في نصرتك ، أو رأيا نافذا ، وما شاكل ذلك ، فقد أستعرت أسم الأسد للرجل ومعلوم أنك أفدت بهذه الاستعارة مالولاها لم يحصل لك وهو المبالغة في وصف المقصود بالشجاعه ، وإيقاعك منه في نفس السامع صـــورة الأسد في بطشه وإقدامه وبأسه وشدته ، وسائر المعاني المركوزة في طبيعته مما يعود إلى الجرأة ، وهكذا أفدت باستعارة البحر سعته بالجود وفيض الكف ، وبالشمس والبدر مالهما من الجمال والبهاء ، والحسن المالىء للعيون والباهر للنواظر(١) .

---

(١) أسرار البلاغة ٣٨ ، ٣٩ .

وإذا رمت الشواهد الناصعة ، والدلائل الباهرة ، على جمال الاستعارة وبلاغتها ، وما تضفيه على المعنى من حسن وبهاء - إلى جانب ماسبق ذكره من الآيات البينات ، والشواهد النيرات - فانظر إلى قوله تعالى : حكاية عن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام : « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »(١)

إن حقيقة الهوى النزول من علو إلى انخفاض كالهبوط ، والمراد به هنا المبالغة فى صفة الأفئدة بالنزوع إلى المقيمين بذلك المكان ، ولو قال سبحانه : « تحن اليهم » لم يكن فيه من الفائدة مافى قوله سبحانه « تهوى إليهم » لأن الحنين قد يوصف به من هو مقيم فى مكانه ، والهوى يفيد انزعاج الهاوى من مستقره(٢)

وقوله تعالى : « وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة »(٣)

فإن حقيقة القصم كسر الشىء الصلب ، وجعل ههنا مستعارا للعبارة عن إهلاك الجبارين من أهل القرى ، أصلب ما كانوا عيدانا وأمنع أركانا(٤)

وتأمل — أيضا — قول أبى العتاهية فى تهنئة المهدى بالخلافة :

أتته الخلافة منقادةً إليه تجرر أذيالها

فإنك تجد أبا العتاهية قد صور الخلافة فى صورة غادة هيفاء مدللة تأتى للمهدى فى دلال وجمال تجر أذيالها فى زهو وخيلاء .

---

(١) إبراهيم ٣٧
(٢) تلخيص البيان ١٣٣
(٣) الأنبياء ١١
(٤) تلخيص البيان ٢٢٧

- وكما رأيت - تتدرج الاستعارة فى الأبلغية . وأبلغ أنواعها الاستعارة التمثيلية لمجيئها فى الهيئات المنتزعة من أمور متعددة، وما تستلزمه من كثرة الاعتبارات ، ويليها الاستعارة المكنية لأن قرينتها إثبات لازم المشبه به للمشبه ، وتأتى بعد ذلك الاستعارة التصريحية وهى تتفاوت فأبلغها المرشحة فالمطلقة فالمجردة .

وإنه لجدير أن يختم الحديث عن بلاغة الاستعارة بكلام شيخ البلاغة الإمام عبد القاهر الذى أشاد بهذا اللون من البيان لما يضفيه على المعنى من حسن وجمال .

يقول الإمام عبد القاهر : أعلم أن الاستعارة هى أمـــد ميدانا وأشد افتنانا(١) وأكثر جريانا ، وأعجب حسنا وإحسانا ، وأوسع سعة وأبعد غورا ، وأذهب نجدا فى الصناعة وغورا ، من أن تجمع شعبها(٢) وشعوبها(٣) وتحصر فنونها وضروبها ، نعم وأسحر سحرا ، واملأ بكل ما يملأ صدرا ، ويمتع عقلا ويؤنس نفسا ، ويوفر أنسا ، وأهدى إلى أن تهدى اليك عذارى قد تخير لها الجمال ، وعنى بها الكمال ، وأن تخرج لك من بحرها جواهر ان باهتها الجواهر مدت فى الشرف والفضيلة باعا لا يقصر ، وأبدت من الأوصاف الجليلة محاسن لا تنكر وردت تلك بصفرة الخجل ، ووكلتها إلى نسبتها من الحجر ، وأن تثير من معدنها تبرا لم تر مثله ، ثم تصوغ فيها صياغات تعطل الحلى ، وتريك الحلى الحقيقى ، وأن تأتيك على الجملة بعقائل(٤) يأنس اليها الدين والدنيا ، وشرائف لها من الشرف الرتبة العليا ، وهى أجل من أن تأتى الصفة على حقيقة حالها ، وتستوفى جملة جمالها ،

---

(١) افتن فى كلامه : أخذ فى فنون وضروب من القول
(٢) جمع شعبة : الفرقة من الشىء ،
(٣) جمع شعب بفتح الشين القبيلة العظيمه
(٤) جمع عقيلة : من كل شىء أكرمه

ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة، تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا، وانك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد، حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة وخلابة(١) مرموقة، ومن خصائصها التي تذكر بها، وهو عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجنى من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر، وإذا تأملت أقسام الصنعة التي بها يكون الكلام في حد البلاغة، ومعها يستحق وصف البراعة وجدتها تفتقر إلى أن تعيرها حلاها، وتقصر عن تنازعها مداها، وصادفتها نجوما هي بدرها، وروضا هي زهرها، وعرائس مالم تعرها حليها فهي عواطل. وكواعب مالم تحسنها فليس لها في الحسن حظ كامل، فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقا، والأعجم فصيحا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية(٢)

---

(١) الخلابة: الخديعة.

(٢) أسرار البلاغة ٤٩-٥٠.

حسن الاستعارة

لكى تؤتى الاستعارة ثمارها المرجوة ، وتحقق هدفها المنشود ، ينبغى أن تراعى أمور لابد من توافرها ، إذ أن الاستعارة — كما هو معلوم — مبنية على التشبيه ، ومن ثم فلكى تكون حسنه يجب أن يراعى فى التشبيه أسباب حسنه ودواعى جماله وذلك بأن يكون وافياً بالغرض المأمول .

يقول الشيخ الدسوقى ، فإذا كان الغرض تزيين وجه أسود فيشبه بمقلة الظبى ، ثم يستعار له لفظ المقلة ، فهذا واف بالغرض ، ولو شبه لإفادة هذا الغرض بالغراب ، واستعير لفظ الغراب له فات الحسن(١)

كذلك ينبغى ألا يشم فيها رائحة التشبيه لفظا ومن ثم فقد قالوا من شأن الاستعارة فى قول الشاعر :

لاتعجبوا من بِلَى غِلالته
قد زُرَّ أزرارهُ على القمرِ

ورأو أنها قليلة الحسن لما فيها من إشمام رائحة التشبيه ، بسبب ذكر مايدل على المشبه وهو الضمير فى « غلالته » والضمير المستتر فى « ذر » والضمير فى « أزراره » ومن ثم فإن الكلام لم يبعد عن التشبيه .

يقول ابن يعقوب المغربى : وإنما شرط فى حسن الاستعارة أن لا يشم رائحة التشبيه كما فى قوله : « قد زر أزراره على القمر » لأن إشمام رائحته يبطل كمال الغرض من الاستعارة .

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ ٤ - ٢٢٣

ومعلوم أن كمال الغرض من إيجاد الشيء هو حسنه ، ونقصانه قبحه في الجملة ، وإنما أبطل كمال الغرض لأنه أعني الغرض من الاستعارة إظهار المبالغة في التشبيه ، ويحصل ذلك الإظهار بادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به . وادعاء أنهما مشتركان في الحقيقة الجامعة لهما(١)

ولما كان الوجه في التشبيه هو الجامع في الاستعارة ،فإنه مما يضفي على الاستعارة الحسن والبهاء ، أن يكون وجه الشبه غير مبتذل ، كما رأيت في الاستعارة الخاصية ، كما أن بعد الاستعارة عن الحقيقة بترشيحها يقوى دعوى الاتحاد بين الطرفين ، ويكسبها القوة والجمال ، ومن هنا كانت الإستعارة المرشحة أجمل وأروع من المطلقة والمجردة — كما علمت —

ولكي تحسن الاستعارة — أيضاً — وتتبوأ مكانا رفيعا ، فإنه يلزم ألا يكون وجه الشبه خفيا جدا ، كأن تقول : كلمت اليوم حمارا وأنت تريد رجلا صبورا ، أو كلمت حية وأنت تريد امرأة جميلة ، لأن انتقال الذهن حينئذ يكون باعتبار المعنى المشهور فيها ، فيكون الشبه في الإستعارة الأولى هو البلادة ، وفي الثانية « الإيذاء الشديد» وتصير الاستعارة ضربا من التعمية والألغاز .

يقول الشيخ الدسوقي : والحاصل أنه إذا خفي وجه الشبه إنما تكون الاستعارة ألغازا عند عدم اشمام رائحة التشبيه ،لأن عدم الإشمام يبعد عن الأصل ، وخفاء الوجه يزيد ذلك بعدا(٢)

---

(١) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص جـ ٤ - ٢٢٣

(٢) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص جـ ٤ - ٢٢٥

الفرق بين التشبيه والاستعارة

علمت أن التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى مشترك بينهما بإحدى أدوات التشبيه لفظا أو تقديراً لغرض يقصده المتكلم سواء ذكر الطرفان ووجه الشبه والأداة ، أو حذفت الأداة وبقى الطرفان ووجه الشبه ، أو حذف الوجه وبقى الطرفان والأداة أو حذف الوجه والأداة ، وبقى الطرفان ، وكان المشبه خبرا للمشبه أو فى حكم الخبر - كما مر بك من الأمثلة البينة ، والشواهد الكثيرة النيرة(١) .

أما الاستعارة — فقد علمت أيضاً — بأنها اللفظ المستعمل فى غير ماوضع له ، لعلاقة المشابهة بين ماوضع له وما استعمل فيه مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى ، وقد مرت بك شواهدها العديدة فى أثواب قشيبة وحلل زاهية .(٢)

ولعلك بعد هذا العرض الوافى ، والبيان الشافى، قد وضح أمامك الفرق بين التشبيه والاستعارة .

فالتشبيه لابد فيـــه من ذكر الطرفين ولو تقديراً على وجه ينبىء عن التشبيه .

بخلاف الاستعارة فإنها تخلو من ذكر أحد الطرفين ، وهو المشبه فى الاستعارة التصريحية ، أو المشبه به فى الاستعارة المكنية ، كما تخـــلو — أيضا — من ذكر وجه الشبه ومن الأداة لفظا وتقديرا .

هذا إلى جانب أن الاستعارة لابد فيها من تناسى التشبيه ، والمبالغه بادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل تحت جنسه .

---

(١) انظر صـ ٥٦ وما بعدها .

(٢) انظر صـ وما بعدها .

كما أن الاستعارة يحسن فيها ألا يشتم رائحة التشبيه لفظا ومن ثم فقد قالوا من شأن الاستعارة — كما علمت — فى قول الشاعر :

لاتعجبوا من بلى غلالته قد زر أزراره على القمر

وذلك لأنه ذكر مايدل على المشبه بثلاثة ضمائر تعود على المشبه بخلاف التشبيه .

الكناية

الكناية لغة : أن تتكلم بشيء وتريد غيره .

وهي مصدر كنيت بكذا عن كذا ، إذا تركت التصريح به ، وبابه رمى يرمى .

وقد ورد كنوت بكذا عن كذا ، من باب دعا يدعو .

أنشد أبو زياد الكلابي :

وإني لأكنو عن قذور بغيرها
وأعرب أحياناً بها فأصارح

والأول أفصح ، بدليل قولهم « كناية » ولم يسمع « كناوة »(١)

واصطلاحا : اللفظ الذي يراد به لازم معناه ، مع جواز إرادة ذلك المعنى .

وللعلماء في الكناية ثلاثة آراء :

الرأي الأول : أنها من قبيل الحقيقة ، لأنها لفظ استعمل في المعنى الحقيقي ، لينتقل منه إلى لازمه ، والحقيقة أعم من أن يكون المراد باللفظ فيها المعنى الحقيقي وحده أو مع إرادة المعنى الكنائي ، كما في الكناية ،

والرأي الثاني : أنها من قبيل المجاز ، لأن اللفظ فيها مستعمل في غير

---

(١) قذور : اسم امرأة — انظر : لسان العرب والمعجم الوسيط ، مادة « كنى »

ماوضع له فقد أطلق اللفظ، وأريد به معنى آخر غير معناه الأصلي(١)

والرأي الثالث : أنها واسطة بين الحقيقة والمجاز .

يقول الشيخ الدسوقي : قد علم مما ذكره المصنف أن الكناية واسطة بين الحقيقة والمجاز فهي ليست حقيقة، لأن اللفظ لم يرد به معناه ؛ بل لازمه ولا مجازا ؛ لأن المجاز لابد له من قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له(٢) .

هذا - ومدار الفرق بين المجاز والكناية ؛ أن المجاز لابد فيه من قرينه مانعة من إرادة الحقيق مع المعنى المجازي ؛ فلا يصح في قولك : « رعت الماشية الغيث » أن تريد معنى الغيث ؛ مع إرادة النبات ؛ وفي قولك : كلمني أسد » أن يراد منه الحيوان المفترس ؛ لأن في قولك قرينة تمنع من ذلك وهي « رعت الماشية » في المثال الأول ؛ « وكلمني في المثال الثاني إذ أن الغيث لا يرعى ؛ والكلام من شأن الإنسان .

بخلاف الكناية ؛ فقرينتها غير مانعة من إرادة المعنى الحقيقي ؛ ففي قولك : محمد طويل النجاد »(٣) كناية عن طول قامته ؛ فالمعنى الحقيقي لهذا اللفظ : هو أن نجاد محمد طويلة ؛ وليس هذا مرادا ؛ إنما المراد لازم هذا المعنى ؛ وهو أن محمدا طويل القامة ؛ إذ يلزم عادة من طول النجاد ؛ أن تكون القامة طويلة ويصح مع هذا إرادة المعنى الحقيقي أيضا بأن يراد

---

(١) المثل السائر جـ ٣ - ٥٥

(٢) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص جـ ٤ - ٢٣٨

(٣) النجاد : مايقع على العاتق من حمائل السيف ؛ وفيه إشعار بأن الممدوح من أرباب السيف.

المعنيان جميعا ، طول النجاد ، وطول القامة ، وإن كان المقصود بالذات المعنى الثانى .

وقولك : « محمد نظيف اليد » كناية عن نزاهته ، فالمعنى الحقيقى للفظ هو أن يده نظيفة ، ولكنه ليس مرادا ، بل المراد: لازم هذا المعنى ،وهو أنه نزيه ، لا يفعل ما يلوث شرفه ويجوز إرادة المعنيين .

وقولهم « هند نؤوم الضحى » كناية عن أنها مترفة مخدومة ، لها ما يكفيها أمرها ، ويقوم بشئونها .

فالمعنى الحقيقى للفظ أن المرأة المذكورة تنام إلى الضحى ، وليس هذا مرادا ، وإنما المقصود ، ما يلزم هذا المعنى وهو أنها من ذوات الترف والنعمه ، عندها من يقوم بتدبير أمرها ، وإصلاح حالها ، وتجوز إرادة المعنيين معا .

يقول الإمام عبد القاهر : أولا ترى أنك إذا قلت : هو كثير رماد القدر أو قلت : طويل النجاد ، أو قلت فى المرأة : نؤوم الضحى ، فإنك فى جميع ذلك لا تفيد غرضك الذى تعنى من مجرد اللفظ ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذى يوجبه ظاهره ، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا ، هو غرضك كمعرفتك من كثير رماد القدر أنه مضياف « ومن طويل النجاد ، أنه طويل القامة ، ومن نؤوم الضحى فى المرأة ، أنها مترفة مخدومة ، لها من يكفيها أمرها(١)

وليس بلازم فى الكناية أن يكون المعنى الحقيقى للفظ المكنى به متحققا فى الواقع . إذ يصح أن تقول : فلان طويل النجاد ، كناية عن

---

(١) دلائل الإعجاز ١٨٤

طول قامته، وإن لم يكن له نجاد، بل تصح الكناية، حتى مع استحالة المعنى الحقيقى كما فى قولهم: «محمد المجد بين برديه، والكرم تحت ردائه» كناية عن إثبات المجد والكرم للممدوح، فإن المعنى الحقيقى لكل من العبارتين، وهو حلول المجد بين البردين. وحلول الكرم تحت الرداء مستحيل الحصول، إذا أن الحلول الحسى بين الأشياء أو تحتها من شأن الأجسام لا المعانى.

وكما فى قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى»[١] كناية عن الاستيلاء والملك.

فالمعنى الحقيقى للاستواء هو الجلوس، وهذا المعنى مستحيل على الله سبحانه.

ومن ثم يعلم أن الشرط فى الكناية جواز إرادة المعنى الحقيقى، لا إرادته بالفعل، لامتناع إرادته فيما ذكرنا.

يقول الشيخ الدسوقى: إن المراد بجواز إرادة المعنى الحقيقى فى الكناية هو أن الكناية من حيث أنها كناية، أى لفظ أريد به لازم معناه، بلا قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى، لاتنافى جواز إرادة المعنى الحقيقى.

نعم قد تمتنع تلك الإرادة فى الكناية من حيث خصوص المادة، لاستحالة المعنى، لجواز الإرادة من حيث إنها كناية، ومنعها من حيث خصوص المادة[٢]

---

(١) طه ٥

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص حـ ٤ — ٢٤٠، ومذكرة فى البلاغة الأستاذ عونى ١١٧

وتنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام :

١ — كناية يطلب بها صفة(١)

٢ — « « « موصوف .

٣ — « « نسبة صفة إلى موصوف .

---

(١) المراد بالصفة : المعنى القائم بالغير ، كالشجاعة ، والجود وطول القامة لا النعت النحوى .

الكناية عن صفه

وضابطها : أن يصرح بالموصوف، وبالنسبة اليه ، ولا يصرح بالصفة المطلوب اثباتها ، ولكن يذكر مكانها صفة تستلزمها :

كقول عمر بن أبي ربيعة :

بعيــدةُ مَهْوَى القرطِ اما لنوفلٍ
أبوها واما عبد شمس وهاشم

فقد كنى عن طول العنق بقوله : « بعيدة مهوى القرط » .

يقول قدامه بن جعفر : وانما أراد الشاعر أن يصف طول الجيد ، فلم يذكره بلفظه الخاص به ، بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد ، وهو بعد مهوى القرط (١)

وقول جرير :

وَيُقْضَى الأمرُ حِــينَ تغيبُ تيمٌ
ولا يُسْتأمرونَ وهم شُهُودُ

فقد رماهم الشاعر بالذلة والهوان ، وأتى بالكناية للدلالة على صدق دعواه وتأييدا لما رماهم به ، فقد بلغ بهم الهوان أن الناس يحسمون الأمور وهم غائبون ، وإذا حضروا لم يؤخذ برأيهم استهانة بهم .

---

(١) نقد الشعر ١٥٧

وقول ابن هرمة :

لا أمتعُ العوذَ بالفصالِ ولا أبتاعُ الا قريبةَ الأجل(١)

فإن حرمانه « العوذ » من أن ترى فصالها ، وتمتع بها ، يدل على أنه ينحرها ولا يبقيها ، وهذا دليل كثرة القرى الدال على وفرة الجود ، كذلك ابتياعه لما قرب أجلها ، دليل أنها لا تبيت عنده حية ، ومعنى هذا أنه ينحرها . وهذا دليل كثرة القرى الدال على السماحة والجود .

وقوله أيضا :

ومايكُ فِيَّ من عيبٍ فإنى جبانُ الكلبِ مهزولُ الفصيل

فقد كنى عن جوده ، وكثرة قراه للأضياف ، بجبن الكلب ، وهزال الفصيل إذ ينتقل الذهن من جبن الكلب عن الهرير فى وجه من يدنو من دار صاحبه ، إلى أستمرار مايوجب نباحه ، وهو أتصال مشاهدته وجوها إثر وجوه ، ثم ينتقل من هذا إلى كون صاحبه مقصد الدانى والقاصى ، ومن هذا إلى أنه يقرى الأضياف ومنه إلى صفة الجود .

كذلك ينتقل الذهن من هزال الفصيل إلى فقد أمه بنحرها ، أو إلى أخذ اللبن منها إلى تقديمه للضيفان ،ومنه إلى قوة الداعى إلى نحرها ،لكمال عناية العرب بالنوق ، ومنه ينتقل الذهن إلى إعدادها للطبخ ، ومنه إلى أنه مضياف كريم .

وقوله أيضا :

يكادُ إذا ما أبصرَ الضيفَ مقْبِلاً
يكلمهُ من حبِّــهِ وهو أعجمُ (١)

---

(١) العوذ : بضم العين: جمع عائذ ،وهى الناقة الحديثة النتاج . والفصال جمع فصيل وهو ولد الناقة .

(١) الضمير فى « يكاد » عائد على الكلب .

فإن حب الكلب للضيف ، حتى إنه ليكاد يكلمه ، دليل شدة معرفته به وهذا يدل على كثرة مشاهدته إياه لكثرة تردده ، وذلك دليل وفرة الجود فى المزور(١) .

وقول نصيب بن رباح فى مدح عبد العزيز بن مروان :

وكلبكَ آنسُ بالزائرينَ   من الأمِّ بابنتها الزائرة (٢)

وقول الخنساء فى رثاء أخيها صخر :

طويلُ النِّجادِ رفيعُ العمادِ   كثيرُ الرمادِ إذا ما شتا (٣)

ومن الكنايات العربية : قولهم : فلان نقى الثوب ، كناية عن العفة والطهارة .

وقولهم : يشار إليه بالبنان ، كناية عن الشهرة وعلو المكانة .

وقولهم : رحب الذراع ، كناية عن الكرم .

وقولهم : نفخ شد قيه ، كناية عن الكبر .

وقولهم . ورم أنفه ، كناية عن الغضب .

وقولهم : لبس له جلد النمر : كناية عن كثرة العداوة والبغضاء .

وقولهم : ناعمة الكفين ، كناية عن الترف والعيش فى رخاء .

ومن أروع الكنايات ما جاء فى كتاب رب العالمين ، كقوله تعالى

---

(١) مذكره فى البلاغة للأستاذ عونى ١٢٢

(٢) أنظر ص ١٧   (٣) أنظر ص ١٦

« تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » (١) .

فالغل إلى العنق كناية عن البخل ، وفى الكناية تصوير محسوس لهذه الصفة الذميمة فى صورة منفرة ، والبسط كناية عن الإسراف والتبذير وهو تصوير محسوس ، يجعل المعنى قويا مؤثرا .

وقوله تعالى : وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها ، وهى خاوية على عروشها » (٢)

وقوله تعالى :« ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول ياليتنى أتخذت مع الرسول سبيلا » (٣) .

فإنك ترى الندم فى الآيتين قد بدا للأعين ، وتمثل أمام الناظرين ، بما يصحبه من حركات محسوسة تدل عليه ، وتشير إليه .

يقول الزمخشرى : تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر ، لأن النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن ، كما كنى عن ذلك بعض الكف (٤) .

وقوله تعالى : « فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان »(٥) .

فقصر الطرف كناية عن العفة، وأن نساء أهل الجنة يقنعن بأزواجهن فلا يتطلعن لغيرهم .

---

(١) الإسراء ٢٩ (٢) الكهف ٤٢
(٣) الفرقان ٢٧ (٤) الكشاف حـ٢ — ٤٨٥
(٥) الرحمن ٥٦

إنك ترى فى « قصر الطرف » تصويرا للمظهر المحسوس ، لحلة العفة ولو أنه استخدم « عفيفات » ما كان فى الآية هذا التصوير المؤثر ، ولا رسم هؤلاء العفيفات فى تلك الهيئة الراضية القانعة التى لا يطمحن فيها إلى غير أزواجهن » (١) .

يقول السيوطى : الأصل « عفيفات » وعدل عنه للدلالة على أنهن مع العفة لا تطمح أعينهن إلى غير أزواجهن ، ولا يشتهين غيرهم (٢).

وقوله تعالى : « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت » (٣) كناية عن الهول والشدة .

تأمل ما وراء ذهول المرضعة عن طفلها الذى ألقمته ثديها ، وتأمل هذا الذهول الذى يحيط بالكافة ، فيشمل كل مرضعة ، لا تشذ عنه واحدة بين إنسان أو حيوان على اختلاف طبائعه فى الشعور بالأمن والفزع ، واختلاف قوة ، غريزة الأمومة ، وطغيانها أو اعتدالها (٤).

وقوله تعالى : « أو جاء أحد منكم من الغائط » (٥) كناية عن قضاء الحاجة .

قال الزركشى : إن الغائط كناية عن النجو ، وإنما هو فى الأصل اسم للمكان المنخفض من الأرض إذا أرادوا قضاء حاجتهم أبعدوا عن العيون إلى منخفض من الأرض فسمى لذلك (٦) .

---

(١) من بلاغة القرآن ٢٢٧
(٢) الإتقان فى علوم القرآن حـ ٢ — ٤٨
(٣) الحج ٢ (٤) التصوير البيانى ٢٧٩
(٥) النساء (٦) البرهان فى علوم القرآن حـ ٢ — ٣٠٤

وقوله تعالى : « ولكن لا تواعدوهن سرا » (١) كناية عن الجماع .

قال الزركشي : فكنى عن الجماع بالسر . وفيه لطيفه أخرى ، لأنه يكون من الآدميين فى السر غالبا ،ولا يسره ماعدا الآدميين — إلا الغراب فإنه يسره .

ويحكى أن بعض الأدباء أسر إلى أبى على الحاتمى كلاما ، فقال : « ليكن عندك أخفى من سفاد الغراب ، ومن الراء فى كلام الألثغ » فقال نعم ياسيدنا ، ومن ليلة القدر وعلم الغيب (٢).

وقوله تعالى : « فالآن باشروهن » (٣)

وقوله تعالى : « أولامستم النساء(٤) كناية عن الجماع أيضا لمافيه من التقاء البشرتين ،كما لا يخلو عن الملامسة .

— وكما ترى — إنها معان سامية فى تربية النفس ، والترفع عن ذكر حاجات الجسد .

وقوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون » (٥) فكشف الساق كناية عن شدة الروع والفزع .

يقول ابن قتيبه : أى عن شدة فى الأمر ، كذلك قال قتادة ، وقال ابراهيم عن أمر عظيم .

---

(١) البقرة ٢٣٥ (٢) البرهان فى علوم القرآن حـ٢ — ٣٠٣

(٣) البقرة ١٨٨ (٤) النساء ٤٣

(٥) القلم ٤٢

وأصل هذا أن الرجل إذا وقع فى أمر عظيم يحتاج إلى معاناته والجد فيه شمر عن ساقه ، قال دريد بن الصمة :

كَمِيشُ الإزارِ خارجٌ نصفُ ساقه
صبورٌ على الجلاَّء طلاعُ أنجد

وقال الهذلى :

وكنتُ اذا جَارِى دعـا لمضوفة
أشمر حتى ينصف الساقَ مِئْزَرِى (١).

---

(١) تأويل مشكل القرآن ١٣٧

الكناية عن موصوف

ضابطها : أن يصرح بالصفه ، وبالنسبة ، ولا يصرح بالموصوف المطلوب النسبة إليه ، ولكن يذكر مكانه صفة أو أوصاف تختص به ، وتدل عليه .

كقوله تعالى : « وحملناه على ذات ألواح ودسر »(١) .

فقد كنى بالألواح والدسر عن السفينة ، لأن مجموع الأمرين ، وصف مختص بالسفينة .

يقول الزمخشري : أراد السفينة ، وهو من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها ، وتؤدى مؤداها ... ، ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة ، وبين هذه الموصوفات لم يصح ، وهـــذا من فصيح الكلام وبديعه(٢) .

هذا . ويمكن أن يقال . إن الكناية عن السفينة بذات الألواح والدسر ، ليس بيانا لمكانتها وقوتها ، وأنها يأمن من فيها ، وإنما هو تهوين لها ، وأنها لا تحفظ أحدا ، وإنما كان الحفظ بعناية الله وحدها ، وكأنهم في وسط هذا الموج الهادر الذي ابتلع الحياة ، والأحياء آمنون ، وهم على ألواح لا تغنى عنهم من الأمر شيئا ، لأن عناية الله كانت هي التي تحفظ ، وفي هذا تكريم لهؤلاء الذين آمنوا ، وأنهم لم ينجوا بسفينة ناجيه ، وإنما نجوا على سطوح ألواح هينة .. وفي هذا بيان الكرامة التي كانت من الله لنوح ، والذين معه ، وأنهم كانوا كأنهم فوق ذرا الواح لا تغنى عنهم شيئا ، ولكن الله أمسكهم بقدرته وإكرامه(٣) .

---

(١) القمر ١٣

(٢) الكشاف حـ٤ — ٣٨

(٣) التصوير البياني ٤١٨

وقوله تعالى : « أوَ من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين »(١) .
كناية عن المرأة .

يقول السيوطى كنى عن النساء بأنهن ينشأن فى الترفه والتزين الشاغل عن النظر فى الأمور ، ودقائق المعانى ، ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك والمراد نفى ذلك عن الملائكة(٢) .

— وكما ترى — فى هذه الكناية رمز إلى النعومة التى ليست من أوصاف الرجال الذين أعدوا للمجالدة وتعمير الأرض(٣) .

وقول البحترى :

فَأَتْبَعْتهَا أخرى فأضللتُ نَصْلَهَا
بحيث يكون اللُّبُّ والرعبُ والحقدُ(٤)

يريد : أتبعت طعنه بطعنة ، أخفيت بها حديدة السيف فى القلب الذى هو موطن هذه الأشياء .

— وكما ترى — فقوله « بحيث يكون اللب والرعب والحقد » ثلاث كنايات ، كل منها يراد به القلب ، إذ هو موطن لكل واحد منها ، وذلك وصف خاص به ، فصح أن يكون كناية عنه .

وقول شوقى :

إن الذى ملأ اللغات مَحَاسِناً جعل الجمالَ وَسِرَّهُ فى الضَّادِ

---

(١) الزخرف ١٨
(٢) الاتقان فى علوم القرآن ج٢ — ٤٧
(٣) التصوير البيانى ٤١٩
(٤) النصل : حديدة السيف

فقد كنى « بالضاد » عن اللغة العربية ، لأن حرف الضاد من خصائصها التى تدل عليها .

وقد اجتمعت الكناية عن صفة ، وعن موصوف ، فى قول المتنبى يمدح سيف الدولة لما ظفر ببنى كلاب :

فمَسَّاهم وبسطهمُ حريرٌ وصبَّحهم وبسطهمُ ترابُ
ومَنْ فى كفهِ منهم قناةٌ كمن فى كفه منهم خضابُ(١)

ففى البيت الأول ، كناية عن صفه ، إذ كنى بـ « بسطهم حرير » عن السيادة والعزة ، وكنى بـ « ببسطهم تراب » عن المهانة والذلة .

وفى البيت الثانى ، كنايه عن موصوف ، أذ كنى بـ « من فى كفه منهم قناة » عن الرجل ، وكنى بـ « من فى كفه خضاب » عن المرأة .

---

(١) القناة : عود الرمح — الخضاب : ما يختضب به مثل الحناء .

الكناية عن نسبة

ضابطها : أن يصرح بالموصوف والصفة ، ولا يصرح بالنسبة بينهما ، ولكن يذكر مكانها نسبة أخرى تستلزمها .

وهذه النسبة إما أن تكون إثباتا أو نفيا(١) .

فالإثبات كقولك : « المجد بين بردى محمد » كناية عن إثبات المجد له فقد صرح فى هذه الكناية بالموصوف وهو « محمد » وصرح بالصفة ، وهى : « المجد » ولكن لم يصرح بنسبة المجد إلى « محمد » ، وإنما ذكر مكانها نسبه أخرى هى نسبة « المجد » إلى برديه إثباتا ، وهى تستلزم نسبة المجد إليه ، من حيث وجوده بين برديه الخاصين به ، واستحالة قيام المجد بنفسه ووجوب قيامه بمحل صالح له .

يقول الشيخ الدسوقى من المعلوم أن حصول الكرم والمجد فيما بين الثوبين ، لا يخلو عن موصوف بهما هنالك ، وليس إلا صاحب الثوبين ، لأن الكلام فى الثوبين الملبوسين ، فأفاد الثبوت للموصوف بطريق الكناية ، والكرم والمجد ، مذكوران فلا يطلبان ، وإنما طلب ثبوتهما لموصوفهما ، فكانت الكناية هنا مما طلب بها النسبة(٢) .

وكقول زياد الأعجم فى مدح ابن الحشرج :

إِنَّ السماحةَ والمروءةَ والنَّدَى
فى قبةٍ ضُرِبَتْ على ابنِ الحشرجِ(٣)

---

(١) المراد بالنسبة : إثبات أمر لأمر ، أو نفيه عنه .

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص حـ٤ — ٢٦١

(٣) القبة : شبه الخيمة ولكنها أعظم منها ، وتقام للرؤساء وعلية القوم وابن الحشرج هو عبد الله بن الحشرج من ولاة الدولة الأموية .

فقد كنى عن إثبات هـذه الثلاثة : « السماحة ، والمروءة ، والندى » للممدوح بإثباتها لقبه ضربت عليه ، لأنه إذا أثبت الأمر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبته له . لاستحالة قيام الأمر بنفسه ، ووجوب قيامه بمحل صالح له

يقول الإمام عبد القاهر : أراد — كما لا يخفى — أن يثبت هذه المعانى والأوصاف ، خلالا للممدوح وضرائب فيه ، فترك أن يصرح فيقول : « إن السماحه والمروءة والندى مجموعة فى ابن الحشرج ، أو مقصورة عليه أو مختصـــة به » وماشا كل ذلك مما هو صريح فى إثبات الأوصاف للمذكورين بها ، وعـدل إلى ما ترى من الكناية والتلويح ، فجعل كونها فى القبة المضروبه عليه ، عبارة عن كونها فيه ، وإشارة إليه ، فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة وظهر فيه ما أنت ترى من الفخامة ، ولوأنه أسقط هذه الواسطة من البيت ، لما كان إلا كلاما غفلا ، وحديثا ساذجا(١) .

وقول أبى نواس يمدح الخصيب أمير مصر :

فما جازَهُ جودٌ ولا حَلَّ دُونَهُ ولكن يصيرُ الجودُ حيث يصير

— وكما ترى — ففى البيت كنايتان ، أريد بهما اختصاص الممدوح بالجود ، وقصره عليه إحداهما ، فى قوله « فما جازه جود ولا حل دونه والثانية : فى قوله « ولكن يصير الجود حيث يصير ، وقـــد تلطف أبو نواس فى إثباتهما أحسن تلطف وصاغة أدق صياغة ، حيث نكر الجود فى الشطر الأول ، فنفى جميع أفراد الجود ، لأن النكرة فى سياق النفى تعم ، ثم نفى أن يجوز ويتعدى ممدوحه ، ويحل دونه . وحيث لا يوجد شىء من الجود عند غير الممدوح ، فقد ثبت له الجود كله واختص

---

(١) دلائل الإعجاز ٢١٣

به . ثم تراه يعرف الجود في الشطر الثاني باللام المفيدة للعموم ، ثم يحله في ذات المكان الذي يحل فيه الممدوح ، وبذلك يفيد اختصاصه بل على أبلغ وجه وآكده(١) .

والكناية عن النسبة نفياً ، كقول الشنفرى ، يصف امرأة بالعفة :

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها ... إذا ما بيوت بالملامة حلت

فقد صرح الشاعر بالموصوف ، وهو الضمير في « بيتها » العائد على المرأة ، وصرح بالصفة ، وهي اللوم المنفي ، في قوله « بمنجاة من اللوم » ولم يصرح بنسبة نفي اللوم عنها ، ولكن ذكر مكانها نسبة أخرى ، هي نفي اللوم عن بيت يحتويها ، وهذا يستلزم نفي اللوم عنها .

يقول الإمام عبد القاهر : توصل إلى نفي اللوم عنها ، وإبعادها عنه بأن نفاه عن بيتها ، وباعد بينه وبينه(٢)

— وكما ترى — فقد عبر الشاعر بلفظ « يبيت » دون « يظل » . لأن الليل مسرح للآثام والفجور .

وكقولك : « مثلك لا يبخل » كناية عن نفي البخل عن المخاطب ، على أبلغ وجه ، لأنه إذا نفى البخل عمن هو على أخص صفاته ، فقد نفى عنه بالطريق الأولى ، وهو أبلغ من التعبير بقولك : « أنت لا تبخل » لأنها دعوى تفتقر إلى الدليل .

يقول الزمخشري : نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته

---

(١) البلاغة التطبيقية ٢٤٣

(٢) دلائل الإعجاز ٣١١

قصدوا المبالغة فى ذلك، فسلكوا به طريق الكناية، لأنهم إذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على أخص أوصافه، فقد نفوه عنه، ونظيره قولك للعربى «العرب لا تخفر الذمم»، فإنه أبلغ من قولك: «أنت لا تخفر الذمم»(1).

هذا، ومن الأسرار البلاغيه للكناية:

١ — أنها تعطيك الحقيقة بصحبة دليلها، والقضية وفى طيها برهانها.

٢ — تعرض المعنى بصورة محسوسة، فيزداد المعنى تعريفا ووضوحا.

٣ — المبالغة فى الوصف.

٤ — الإيجاز فى العبارة.

٥ — التعبير عن المعانى غير المستحسنة بألفاظ، لا تعافها الأذواق ولا تنفر منها الطباع السليمة.

---

(1) الكشاف جـ ٤ — ١٩٦

التعريض

التعريض لغة : خلاف التصريح(١) .

واصطلاحا: المعنى الحاصل عند اللفظ لا به.

والمقصود : أن يراد باللفظ معنى بمعونة السياق ، وقرائن الاحوال من غير أن يقصد استعمال اللفظ فيه .

كقوله تعالى : « قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ، قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون »(٢) .

ففي قول إبراهيم عليه السلام : « فاسألوهم إن كانوا ينطقون » تعريض بجهلهم ، وضعف عقولهم ، فكأنه يقول لهم : كيف تعبدون مالا يجيب إن سئل ولا ينطق إن كلم ، وتجعلونه شريكا لمن له الخلق والأمر ، وذلك المعنى لم يدل عليه اللفظ، بل دل عليه السياق وقرائن الأحوال .

يقول صاحب البرهان: إن غرضه بقوله «فاسألوهم» على سبيل الإستهزاء وإقامة الحجة عليهم «بما عرض لهم به ، من عجز كبير الأصنام عن الفعل» مستدلا على ذلك بعدم إجابتهم إذا سئلوا، ولم يرد بقوله : «بل فعله كبيرهم هذا» ، نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم ، فدلالة هذا الكلام عجز كبير الأصنام عن الفعل بطريق الحقيقة(٣) .

---

(١) لسان العرب مادة « عرض » ، وسمى بذلك لأنك تميل الكلام إلى جانب ، وأنت تشير به إلى جانب آخر ، يقال : نظر بعرض وجهه أى جانبه .

(٢) الأنبياء ٦٢ ، ٦٣

(٣) البرهان فى علوم القرآن ج٢ — ٣١١

وقوله تعالى : « إنما يتذكر أولو الألباب »(١) .

فليس الغرض أن يعلم السامعون ظاهره ، ولكن أن يذم الكفار ، وأن يقال إنهم من فرط العناد، ومن غلبة الهوى عليهم - في حكم من ليس بذى عقل وإنكم إن طمعتم منهم في أن ينظروا ويتذكروا ، كنتم كمن طمع في ذلك من غير أولى الألباب(٢).

وقوله تعالى: « وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت »(٣) ، فإن سؤالها لإهانة قاتلها وتوبيخه(٤) .

وقوله ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

فالحديث الشريف كناية عن نفى الاسلام عن كل مؤذ ، فإذا قصد به نفى الاسلام عن مؤذ معين بالذات ، كان ذلك تعريضا بنفى الاسلام عن ذلك الشخص المعين المفهوم من سياق الكلام .

— وكما ترى — فإن معناه الصريح ، حصر الاسلام فى غير المؤذى . ويلزم منه نفى الإسلام عن كل مؤذ، وهذا هو المعنى الكنائى ، والمقصود من السياق ، نفى الاسلام عن المؤذى المعين ، كزيد وهذا هو المعرض به(٥) .

---

(١) الرعد ٩

(٢) دلائل الاعجاز ٣٥٣

(٣) التكوير ٨ ، ٩

(٤) الاتقان فى علوم القرآن ٤٩

(٥) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص ج ٤ — ٢٦٨

ومن التعريض، ماروى أن عجوزاً تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت له: يا أمير المؤمنين: مشت جرذان بيتي على العصى، فقال لها: ألطفت فى السؤال، لاجرم، لأردنها تثب وثب الفهود، ولأملأن بيتها حباً.

فقد فهم سليمان بن عبد الملك ما تحتاج إليه، وما تقصد من كلامها، وذلك من حالتها، ومقابلتها له وقدرته على إغاثة الملهوف، وهذا ما يسمى بالسياق وقرائن الأحوال.

— وكما ترى — فإن هذا القول، لو صدر من غير محتاج، أو كان المخاطب به ليس أهلا لقضاء الحاجات، لكانت هذه الأقوال، من قبيل الحقيقة وليست من التعريض.

ومن التعريض — أيضاً — قولك فى مجلس يضم كذابا: «لست بكذاب» أو يضم شارب خمر: «أنا لا أعتقد حل الخمر» أو تدخل على قوم، وتقصد إلى الجلوس بجانب شخص بعينه، فتقول: أنا أجلس بجانب الشجاع أو الكريم، أو الصادق، أو الصالح، تعريضاً بجبن غيره من الجالسين، أو ببخله أو بكذبه، أو بفسقه، وإنما كان هذا تعريضاً؛ لأن هذه المعاني لم تستفد من الألفاظ، بل من السياق وقرائن الأحوال.

هذا. والفرق بين الكناية والتعريض:

١ — أن التعريض مفهوم من جهة السياق، فلا تعلق له باللفظ، بخلاف الكناية.

٢ — الكناية تقع فى اللفظ المفرد، والألفاظ المركبة، بخلاف التعريض، فإنه لا موقع له فى اللفظ المفرد.

٣ — التعريض أخفى من الكناية، لأن دلالة الكناية مدلول عليها من جهة اللفظ، بخلاف التعريض، فدلالته من جهة السياق والاشارة وقرائن الأحوال .

ومن بلاغة التعريض ، أن أثره فى النفوس كبير ، فهو يعين صاحبه على إخفاء ما يريد من عتاب ونقد ، أو سؤال أو شكوى ، على الحاضرين، حتى لا يفهم مراده إلا من يقصده بالتعريض ، لما علم من أن التعريض إنما يفهم من أحوال خارجة عن اللفظ — لا من اللفظ — وهذه الأحوال قد تكون معلومة للمقصود بالكلام دون سائر الحاضرين .

ومن ثم كان التعريض وسيلة ناجحة يستخدمها العالم البليغ فى تقويم من تأخذهم العزة بالاثم إذا أمروا بمعروف ، أو نهوا عن منكر ، وذلك بأن يوجه الخطاب إلى غيرهم بإنكار ما يفعلونه ، ذاكرا ماورد فيه من الزجر والوعيد فى الكتاب والسنة والسيرة الطيبة للسلف الصالح وهم يسمعون (١) .

وقد أثنى على هذا اللون من الكلام الزركشى ، إذ يقول : ووجه حسنه ظاهر ، لأنه يتضمن إعلام السامع على صورة لا تقتضى مواجهته بالخطاب المنكر كأنك لم تعنه ، وهو أعلى فى محاسن الأخلاق ، وأقرب للقبول (٢) .

وبعد هذه الشواهد الساطعة ، يتبين ما لأسلوب الكناية والتعريض من أثر عظيم فى إبراز المعانى وتصويرها أجل تصوير وأبهاه .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم ،

---

(١) البلاغة التطبيقية ٢٥٩

(٢) البرهان فى علوم القرآن ج ٢ — ٣١٣

أهم المرجع

١ — أسرار البلاغة للإمام عبدالقاهر الجرجاني .
٢ — أسس النقد الأدبي عند العرب د/أحمد بدوى .
٣ — أسرار البيان د/ على العمارى .
٤ — أصول النقد الأدبي للأستاذ أحمد الشايب .
٥ — أمالي المرتضى للشريف المرتضى .
٦ — الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى .
٧ — الايضاح للخطيب القزوينى .
٨ — الأساس فى النقد والبلاغة د/أحمد الحوفى .
٩ — البرهان فى علوم القرآن للزركشى .
١٠ — البلاغة الطبيقية د/أحمد موسى .
١١ — بغية الايضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدى .
١٢ — تنزية القرآن عن المطاعن للقاضى عبد الجبار .
١٣ — تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .
١٤ — تلخيص البيان فى مجازات القرآن للشريف الرضى .
١٥ — تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة .
١٦ — التصوير الفنى فى القرآن للأستاذ سيد قطب .
١٧ — التصوير البيانى د/محمد أبو موسى .
١٨ — تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى
١٩ — تفسير القرطبي لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى .
٢٠ — ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للخطابى والرمانى وعبد القاهر الجرجانى .
٢١ — الجمان فى تشبيهات القرآن لابن ناقيا البغدادى .

٢٢ — حاشية الدسوقي على شرح السعد للشيخ محمد بن محمد عرفه الدسوقي
٢٣ — حاشية السيد على المطول للسيد شريف .
٢٤ — الحيوان للجاحظ .
٢٥ — الحديث النبوي من الوجهة البلاغية د/عز الدين السيد .
٢٦ — خطوات التفسير البياني د/محمد رجب البيومي .
٢٨ — دلائل الاعجاز الامام عبد القاهر الجرجاني .
٢٨ — ديوان المتنبي لأبي الطيب المتنبي .
٢٩ — ديوان البحتري لأبي عبادة البحتري .
٣٠ — دفاع عن البلاغة للأستاذ أحمد حسن الزيات .
٣١ — سر الفصاحة لابن سنان .
٣٢ — شروح التلخيص للتفتازاني والمغربي والسبكي .
٣٣ — شرح القصائد العشر تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
٣٤ — الصناعتين لأبي هلال العسكري .
٣٥ — العمدة لابن رشيق .
٣٦ — علم البيان د/عبد العزيز عتيق .
٣٧ — عروس الأفراح بهاء الدين السبكي .
٣٨ — فن التشبيه د/علي الجندي .
٣٩ — الكامل للمبرد .
٤٠ — الكشاف للزمخشري .
٤١ — مفتاح العلوم للسكاكي .
٤٢ — المثل السائر لابن الأثير .
٤٣ — المطول لسعد الدين التفتازاني .
٤٤ — الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي .
٤٥ — معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للشيخ عبد الرحيم العباسي
٤٦ — من بلاغة القرآن د/أحمد بدوي .

٤٧ — مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص لابن يعقوب المغربي .
٤٨ — مذكرة في البلاغة أ/ الأستاذ حامد عوني .
٤٩ — مجاز القرآن لأبي عبيدة.
٥٠ — نقد الشعر لقدامة بن جعفر .
٥١ — النابغة الذبياني د/أحمد زكي العشماوي .
٥٢ — الوساطة بين المتنبي وخصومة لعلي بن عبد العزيز الجرجاني.

دليل الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٣
مقدمة الطبعة الأولى	٥
تمهيد	٧
وضع نظرية البيان ومنزع الدلالات	٧
البيان	١٠
تعريف البيان لغة وإصطلاحا	١٠
الدلالة وأقسامها	١٨
مكان البيان من البلاغة	٢٢
أبواب علم البيان	٣٣
التشبيه	٣٦
نبذة عن التشبيه عند المتقدمين من البلاغيين	٣٦
تعريف التشبيه	٥٦
التشبيه كنز البلاغة وانسان مقلتها	٦٣
أركان التشبيه	٨٠
مبحث الطرفين	٨٢
المحسوس والمعقول	٨٢
الخيالى والوهمى	٩٥
الإفراد والتركيب	١٠٢
تعدد الطرفين أو أحدهما	١١٨
وجه الشبه	١٢٥
التحقيق والتخييلى	١٢٥

الموضوع	الصفحة
المفرد والمركب والمتعدد	١٢٩
الحسى والعقلى	١٣٢
تشبيه التمثيل	١٣٧
المفصل والمجمل	١٤٤
القريب المبتذل والبعيد الغريب	١٤٩
تحويل القريب المبتذل الى بعيد غريب	١٥٧
أداة التشبيه	١٦٢
المرسل والمؤكد	١٦٧
التشبيه المقلوب	١٦٩
التشبيه الضمنى	١٧٣
أغراض التشبيه	١٧٩
التشبيه المقبول والمردود	١٨٨
مراتب التشبيه	١٩٢
المجاز	١٩٥
المجاز المفرد	١٩٥
المجاز المرسل وعلاقاته	١٩٨
بلاغة المجاز المرسل	٢١١
الاستعاره	٢١٤
التصريحية والمكنية	٢١٥
الأصلية والتبعية	٢١٧
الاستعارة الأصلية	٢١٧
الاستعارة التبعية	٢٢٠
العامية والخاصية	٢٣٠
المطلقة والمجردة والمرشحه	٢٣٨

الموضوع	الصفحة
الاستعاره المطلقه	٢٣٨
الاستعارة المجردة	٢٤٠
الاستعارة المرشحة	٢٤٣
التهكميه والتمليحية	٢٤١
قرينة الاستعارة	٢٤٩
الاستعارة المكنية	٢٥٤
التبعية ترد إلى المكنية	٢٥٨
المجاز المركب	٢٦٠
الاستعارة التمثيلية	٢٦٠
بلاغة الاستعارة	٢٦٤
حسن الاستعارة	٢٦٨
الفرق بين التشبيه والاستعارة	٢٧٠
الكناية	٢٧٢
التعريض	٢٩١
المراجع	٢٩٥
دليل الكتاب	٢٩٨

كتب للمؤلف

١ — دراسات فى البيان	دار الطباعة المحمدية بالقاهرة
٢ — قطوف من النصوص الأدبية فى الجاهلية وصدر الإسلام	دار الطباعة المحمدية
٣ — دراسات بلاغية فى القرآن الكريم والحديث الشريف	دار الطباعة المحمدية
٤ — نصوص مختارة من الأدب العباسى	دار الطباعة المحمدية
٥ — قبس من البيان القرآنى	دار الطباعة المحمدية
٦ — من وجوه إعجاز القرآن الكريم والبيان النبوى الشريف	دار الطباعة المحمدية
٧ — لباب المعانى	دار الطباعة المحمدية
٨ — لباب البيان	دار الطباعة المحمدية
٩ — لباب البديع	دار الطباعة المحمدية

رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٨٧/٨٢٠٠